الجامعة الإسلامية في لبنان
كلية الآداب
والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رسالة ماجستير بعنوان

الحجاز في العهد العباسي الاول
(١٣٢هـ - ٢٣٢هـ)

دراسة في تاريخه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي

إعداد الطالب
فراس العلو

إشراف
د. إبراهيم بيضون

الحجاز في العهد العباسي الأول (١٣٢هـ - ٢٣٢هـ)

دراسة في تاريخه الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والثقافي

مخطط البحث:

١- مقدمة

٢- تمهيد :

مدخل علم

٣- الباب الأول: الحجاز في العهد العباسي(الحياة الاجتماعية والاقتصادية)

الفصل الأول: التحولات السياسية والاجتماعية:

أ- طبيعة المجتمع الحجازي في العهد العباسي:

١- البدو (القبائل)

٢-الحضر

٣-الموالي والرقيق

ب- العلاقات السكانية داخل مجتمع الحجاز :

١- علاقة الحضر مع أهل البادية

٢- علاقة العرب مع الموالي

الفصل الثاني:التحولات الاقتصادية في الحجاز في العهد العباسي

١- التجارة

أ- التجارة الداخلية والأسواق

ب- التجارة الخارجية

٢- الزراعة والحرف

الباب الأول:

الحجاز في العهد العباسي(الحياة الاجتماعية والاقتصادية)

الفصل الأول:

التحولات السياسية والاجتماعية

أ- طبيعة المجتمع الحجازي في العهد العباسي

١- البدو(القبائل)

٢- الحضر

٣- الموالي والرقيق

ب- العلاقات السكانية داخل مجتمع الحجاز

١-علاقة الحضر مع أهل البادية

٢-علاقة العرب مع الموالي

الفصل الثاني :

التحولات الاقتصادية في الحجاز في العهد العباسي

١- التجارة

أ- التجارة الداخلية والأسواق

ب- التجارة الخارجية

٢ - الزراعة والحرف

الباب الثاني :

الحياة الثقافية في الحجاز

الفصل الأول:

العلوم الدينية وفروعها

أ- علم الحديث

ب-علم الفقه

ج- علم التفسير

الفصل الثاني:

الحياة الأدبية

أ – الأدب والشعر والغناء

ب - مدرسة المدينة وإسهاماتها العلمية(علم التاريخ)

مقدمة :

منْ الحجاز أشرقَ نور الإسلام وقامت دعوتهُ ، وتأسست دولتهُ ، ومنه خرج الفاتحون، فهو مركز الإسلام الأول متمثلا ببيت الله الحرام الذي فيه المناسك والمشاعر والمواقيت، وفيه مدينة الرسول(ص)،التي فيه تشكلت دولة الإسلام، وفيه كان الخلفاء الراشدين والأنصار، وبه عقدت رايات المسلمين وقويت أمور الدين.

ففي مكة قامت الدعوة الإسلامية بقيادة الرسول الأعظم "محمد بن عبد الله" (ص)وسط معارضة قومه من القرشيين، قبل أن يهاجرإلى المدينة ليجد المناصرة من أهلها الأوس والخزرج الذين لقبوا بالأنصار، أنصار رسول الله (ص)،فاستقر الرسول مع صحابته من المهاجرين فيها ؛ ليشكلوا أول دولة في الإسلام ومنها تمّ فتح الجزيرة العربية.

وبعد فتح مكة في العام الثامن للهجرة لم ينسَ الرسول فضلّ المدينة وبقي فيها دون أن يقلل من أهمية مكة، فعمل على تطهيرها من الأصنام.ولكن ما إن انتقل الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى حتى بدأ العهد الراشدي فبقي خلفاء هذا العهد حتى عهد الإمام علي بن ابي طالب(عليه السلام) في المدينة،فتمتع الحجاز في عهد خليفتة الأول أبي بكر الصديق بالاستقرار والوحدة بعد قضائه على المرتدين والمتمردين وانطلاقة حركة الفتوح.وجاء الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي توسعت في عهده الفتوحات الإسلامية ،إلا أن مركز الحجاز لم يهتزّ بل ازدهر ، ومدّ سلطته على الأمصار المفتوحة، حتى حدثت الفتنة في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي عين أقاربه ولاة على الأمصار المفتوحة، فجاءت ثورة الأمصار ضده لتؤكد بدء انتقال مركز السلطة إلى خارج الحجاز.

وهذه الفتنة أدت إلى مقتل الخليفة عثمان واختيار الإمام علي خليفة،و الذي اضطرّإلى الخروج من الحجاز إلى العراق ؛لمواجهة المتمردين في البصرة، بعد معرفته بصعوبة هذه المواجهة من الحجاز الذي أُفرغ بشريا واقتصاديا بعد تحَوّل معظم أبنائه إلى مناطق الفتوح ، والاستقرار فيها في موجة الفتوحات التي شهدها على نطاق واسع عهد الخليفة الثاني، وقد أدى نقل الخلافة من الحجاز إلى الكوفة على يد الإمام علي (عليه السلام) إلى إضعاف الحجاز لدوره السياسي. وجاء دور بني أمية الذين استلموا السلطة بعد تنازل الإمام الحسن (عليه السلام) عن الخلافةِ لمعاوية بن أبي سفيان حقناً لدماءالمسلمين، فأختار الأمويون دمشق عاصمة للخلافةِ؛ ليؤكدوا ظنون

الحجازيين بأن خروج الإمام علي (عليه السلام) من المدينة كان نقطة النهاية لمركز الحجاز السياسي.

غير أن الحجازَ لم يقبل بالأوضاع الجديدة التي ترتبت على نقل السلطة منه ، فقد قام بالعديد من الثورات ضد السلطة المركزية التي تتابعت بدءاً من ثورة الإمام الحسين(عليه السلام) ،وثورة عبد الله بن الزبير ضد السلطة الأموية.

وبعد انتقال الحكم إلى العباسيين توسم الحجاز الخير بوصول أقارب الرسول (ص) من العباسيين إلى السلطة بعد قضائهم على الحكم الأموي إلا أن رغبتهم وأمانيهم بإعادة السلطة ومركز الدولة الإسلامية إلى الحجاز لم تتحقق بعد نقل العباسيين السلطة إلى العراق وليس إلى الحجاز.

فتتابعت الثورات الحجازية بدءاً بثورة محمد (النفس الزكية)ومن بعده ثورة الحسين بن علي،والتي كانت آخر المحاولات التي بذلها الحجاز لاستعادة نفوذه السياسي .

إن ما توصلنا إليه من معلومات كانت عن طريق دراسات المؤرخين والباحثين الذين تناولوا التاريخ الإسلامي من جانبه السياسي فقط تاركين بقية الجوانب من اقتصادية واجتماعية وثقافية ، وما لها من دور في سير الأحداث فجاءت كل الدراسات مجرد سرد لأحداث مضت ، ومفتقرة غالباً الى الجانب التحليلي ، فمن هنا تزداد قناعتنا بصعوبة دراسة تاريخنا الإسلامي عامة، وتاريخ الحجاز خاصة إن لم ندرسْ الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيه بما تُمكِننا من فهم الأبعاد الإنسانية عامة وليس السياسية فقط، وإلى جانب هذا فإن دراسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي يبيّن التواصل الحضاري في تاريخ الأمة فيتداخل بذلك ما هو اقتصادي واجتماعي وثقافي بما هو سياسي وفق علاقة ترتكز على التكامل. ودراسة هذه الجوانب تقدم لنا صورة ناضجة عن تجربة الأمة في مجال التنظيم والقدرة على التفاعل والاستجابة للتطورات والأوضاع الجديدة في المجال الاقتصادي والثقافي ، وتدلّ على عبقريتها وإبداعها الفكري ، وتضعناأمام حياة الناس وأسلوب حَياتهم وانتِظامهم في تشكيلات اجتماعية، وتُجنبُنا مِحور الدراسات السياسية التي لم تستطع أن تمدنا بصورةٍ وافية عن مجمل الأحداث في تاريخنا .

ومن الأسباب التي دفعتني إلى دراسة أوضاع الحجاز الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في العهد العباسي الأول هي :

- إنَّ هذه الفترة شَهدت عهد الازدهار والتوسع الإسلامي في جميع المجالات، فأردتُ معرفة موقع الحجاز من هذا التطور والازدهار.

- إنَّ الدراسات التي تناولت الحجاز في القرن الأول كانت مُستفيضَة، وأمدتنا بمعلومات كافية عن أوضاعه بالرغم من تركيز معظمها على الجانب السياسي ، إلا أن هذه الدراسات إختفت في القرنين الثاني والثالث الهجريين،فلم تزودنا المصادر إلا بالنزراليسيرعن أوضاع الحجاز في تلك الفترة، واقتصرت على النواحي السياسية ، مما دفعني لدراسة أوضاع الحجاز في تلك الفترة الغامضة من تاريخه .

ولعل أكثر الصعوبات التي واجَهتني هي قِلة المصادر التي تناولت هذا المنظور في تلك الفترة ، بالإضافة إلى صعوبة معرفة ميول واتجاهات المؤرخين، وما انطوت عليه من آراء عديدة إن لم نقل متناقضة أحيانا بشأن تفسير حدث ما أو حالة تاريخية أو اقتصادية أو اجتماعية ، مما تطلب مني اليَقظة والنقد لمعرفة أصولها ودوافعها، بالإضافة إلى عدم وجود دراسة شاملة لكافة المسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

وتبرزُ أهمية هذا الموضوع في سدّ جزء من الغموض في تاريخ الحجاز الاجتماعي و الاقتصادي والثقافي وإظهار دور الحجاز في هذا المجال وموقعه بين الأمصار،وإظهار مكانته الدينية وموقفه من الخلافة العباسية، وموقف الخلافة العباسية منه والدوافع الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية التي أدت إلى وقوف الحجازإلى جانب الثورات التي قامت ضدّ العباسيين،ومناقشتها أو محاولة ذلك من خِلال رؤية نقدية تحليلية .

وقد قمت بتقسيم البحث إلى بابين وكل باب إلى فصلين، وقد اعتمدت فيه على المنهج التحليلي ، وقد ارتأيت أن أبدأ أولا ً:

بمدخل تاريخي عن الحجاز: تناولت فيه جغرافية الحجاز وأوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية قُبيل الإسلام،وفي العهد الإسلامي الأول ودورالرسول(ص)في إدارة السلطتين المدنية والدينية والعلاقات الاجتماعية من خلال تنظيمات الرسول وأبعادها الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية مع بعض المقارنة بين أوضاع الحجاز في العهدين الراشدي والأموي لأصل إلى العهد العباسي وهو موضوع البحث .

أما في الباب الأول فتطرقتُ فيه الى التحولات الاجتماعية و الاقتصادية في الحجازوقد ضمّ هذا الباب فصلين:

الفصل الأول :أ- عناصر المجتمع الحجازي وهم:

١- العرب وينقسمون إلى: - القبائل (أهل البادية)

- الحضر (سكان مكة والمدينة والطائف)

فذكرت أسماء القبائل الموجودة وموقع استقرارها ،وممارستهم للزراعة وحيازتهم لأراضي، ومحاولة العباسيين ضرب القبيلة من خلال إحداث جيش حكومي دائم بدل القوات القبلية.

وهذا يشعر أن القبيلة استنفدت مكانتها عسكريا ، بعد أن أصابها التمزق نتيجة الحزبية (كثرة الأحزاب)، و العصبية الحادة.

وتحدثتُ عن سكان الحواضر من الأنصار وقريش وثقيف ،ودورهم في الخلافة العباسية وموقفهم منها وموقف العباسيين منهم وانشطتهم الاقتصادية وأعمالهم الإدارية ، وتنظيماتهم الاجتماعية ، وممارستهم للتجارة .

٢- الموالي:أصولهُم ، أعمالهم وأوضاعهم. أن أفق الدعوة الجديدة والأمة التي كانت تبلور رؤيتها في الحياة والمجتمع،والظروف الموضوعية قد أتاحت لأبناء الأمة الإسهام المتكافئ في بناء التجربة ، كما أتاحت للموالي أداء الدور الطبيعي بما يؤهلهم مع العرب لإنضاج العقيدة،وإيصال ضوء التجربة للبشرية ، وتناولت ايضا التنظيم الاجتماعي للموالي ، وطبيعة أوضاعهم الاجتماعية في المجتمع الجديد مما يشكل رؤية جديدة تسعى لإضعاف الرؤية القبلية بشأن الولاء،والفعاليات الاقتصادية للموالي ،ودورهم الثقافي في مجتمع الحجاز وخاصة في المجال العلمي والأدبي.

٣- الرقيق والجواري:أصولهم وتنظيماتهم الاجتماعية وأعمالهم الفكرية، ودورهم الاقتصادي ، وتولي التجارة نيابة عن أسيادهم مع ذكر لرأي الإسلام في العبودية.

ب- العلاقات الاجتماعية بين سكان الحجاز:فتناولت فيه العلاقات السكانية داخل مجتمع الحجاز،من خلال علاقة العرب مع الموالي كالعلاقات الاجتماعية ، كالزواج ونظرة أهل الحَضر للموالي، ونظرة بعض القبائل لهم، ودور الموالي من الناحية الاجتماعية، وأعمالهم الاقتصادية من تجارة وزراعة وحرث ،وطبيعة النظرة إلى هذا الأمر من خلال مفهومين: - الأول :مدني ، والثاني: قبلي .

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني: وتناولت فيه التنظيمات الاقتصادية في مجال التجارة والأرض والأسواق، فتحدثت عن دور التجارة في غنى سكان الحجاز منذ القديم وخاصة أنها الحرفة التي اتقنها سكان مكة، فالتجارة حرفة قديمة ومؤثرة في تاريخ العرب وكان لها شأنها في الإسلام على مستوى النظرية والتطبيق ، سواءً كانت التجارة الداخلية داخل الإقليم أو التجارة الخارجية مع الأمصار.

فذكرت أسماء القبائل الموجودة وموقع استقرارها ،وممارستهم للزراعة وحيازتهم لأراضي، ومحاولة العباسيين ضرب القبيلة من خلال إحداث جيش حكومي دائم بدل القوات القبلية.

وهذا يشعر أن القبيلة استنفدت مكانتها عسكريا ، بعد أن أصابها التمزق نتيجة الحزبية (كثرة الأحزاب)، و العصبية الحادة.

وتحدثتُ عن سكان الحواضر من الأنصار وقريش وثقيف ،ودورهم في الخلافة العباسية وموقفهم منها وموقف العباسيين منهم وانشطتهم الاقتصادية وأعمالهم الإدارية ، وتنظيماتهم الاجتماعية ، وممارستهم للتجارة .

٢- الموالي:أصولهُم ، أعمالهم وأوضاعهم. أن أفق الدعوة الجديدة والأمة التي كانت تبلور رؤيتها في الحياة والمجتمع،والظروف الموضوعية قد أتاحت لأبناء الأمة الإسهام المتكافئ في بناء التجربة ، كما أتاحت للموالي أداء الدور الطبيعي بما يؤهلهم مع العرب لإنضاج العقيدة،وإيصال ضوء التجربة للبشرية ، وتناولت ايضاً التنظيم الاجتماعي للموالي ، وطبيعة أوضاعهم الاجتماعية في المجتمع الجديد مما يشكل رؤية جديدة تسعى لإضعاف الرؤية القبلية بشأن الولاء،والفعاليات الاقتصادية للموالي ،ودورهم الثقافي في مجتمع الحجاز وخاصة في المجال العلمي والأدبي.

٣- الرقيق والجواري:أصولهم وتنظيماتهم الاجتماعية وأعمالهم الفكرية، ودورهم الاقتصادي ، وتولي التجارة نيابة عن أسيادهم مع ذكر لرأي الإسلام في العبودية.

ب- العلاقات الاجتماعية بين سكان الحجاز:فتناولت فيه العلاقات السكانية داخل مجتمع الحجاز،من خلال علاقة العرب مع الموالي كالعلاقات الاجتماعية ، كالزواج ونظرة أهل الحَضر للموالي، ونظرة بعض القبائل لهم، ودور الموالي من الناحية الاجتماعية، وأعمالهم الاقتصادية من تجارة وزراعة وحرث ،وطبيعة النظرة إلى هذا الأمر من خلال مفهومين: - الأول :مدني ، والثاني: قبلي .

ثم انتقلت إلى الفصل الثاني: وتناولت فيه التنظيمات الاقتصادية في مجال التجارة والأرض والأسواق، فتحدثت عن دور التجارة في غنى سكان الحجاز منذ القديم وخاصة أنها الحرفة التي اتقنها سكان مكة، فالتجارة حرفة قديمة ومؤثرة في تاريخ العرب وكان لها شأنها في الإسلام على مستوى النظرية والتطبيق ، سواءً كانت التجارة الداخلية داخل الإقليم أو التجارة الخارجية مع الأمصار.

وحاولت أن أظهر ما أصاب التجارة من تطور بسبب الظروف الموضوعية الناتجة عن الفتوحات،ونمو الثروات، واتساع رقعة الدولة الإسلامية،ووضع الفضة والذهب قيد التداول بين أيدي السكان، ووصول مؤثرات فكرية إلى الحجاز ،وظهورمراكز تجارية جديدة .

ثم تناولت الأسواق والقائمين عليها في الحجاز،ودور الأسواق في تنشيط الدورة الاقتصادية من خلال عَرض منتجات الحجاز وخاصة أثناء مواسم الحج، وتحدثت عن المشرفين على الأسواق ،وكيفية مراحل تطورها وتخطيطها؛ لأتوصل إلى نتيجة في نهاية هذا الباب (وهي موقع الحجاز الاقتصادي بالنسبة لباقي الأمصار التي تقع تحت السلطة العباسية) ، ودور الاقتصاد في التطور المعاشي وتحديد أساليب العيش .

ثم انتقلت للحديث عن ملكية الأرض في الحجازوأنواعها (ملكيات لبيت المال، وملكيات خاصة)،وسعي السكان من حضر وقبائل لامتلاك الأراضي الزراعية من خلال إدراكهم لقيمة الأرض هذا الإدراك الذي كان مبكراً في المدينة لأنهّا موطن ومستقر زراعي بالدرجة الأولى ، مما يُسهم في النمو الاقتصادي وتحدثت عن أهم النشاطات الزراعية في هذا الإقليم ونوع الزراعة، وخاصة زراعة الذرة المنتشرة جنوبي الطائف واستثمارات سكان مكة منذ القديم في الطائف .

ثم تناولت الحرف والقائمين عليها في الحجاز، كحرفة دباغة الجلود وصناعة السيوف وممارسة الزراعة والتجارة.

أما الباب الثاني فتناولت فيه الحياة الثقافية في الحجاز في العهد العباسي الأول ، وقسمت هذا الباب إلى فصلين :

في الفصل الأول : تناولت العلومُ الدينية ،من عِلم الحديث والفقه والتفسير، وأسباب ازدهارها ومنافسة مدرسة الحديث في الحجاز بقيادة الإمام مالك، ومدرسة الرأي في العراق بقيادة أبي حنيفة ، وموقف الخلفاء العباسين من المدرستين، وإقبال طلاب العلم من جميع الأمصار؛لأخذ العلم من مصادره في الحجاز، وظهورعلم الفقه؛ ليقضي للناس حاجاتهم ومعاملاتهم المدنية ، الرجوع إلى القرآن والحديث فاستخرجوا منها شريعة نظموا بها أحكامهم،وليحكم بها القضاة بين الناس،وتسابق الأمويون لإرضاء فقهاء الحجاز على عكس العباسيين ، مما أدى إلى وقوف بعض فقهاء المدينة مع الثائرين على الحكم العباسيّ ،بالإضافة الى قيامي بمقارنة بين مدرسة المدينة والمدارس الأخرى.

وفي الباب الثاني: تطرقت فيه عن الحياة الثقافية والفنية وقسمت هذا الباب أيضاً إلى

فصلين:في الفصل الأول :عالجت فيه موضوع الشعر، وأغراضهُ من مديح وهجاء ، وغزل .....قبل أن أنتقل للحديث عن أهم شعراء الحجاز في تلك الفترة بالإضافة الى تناول موضوع الغناء والموسيقى وموقف الحجازيين منه ، ودور الجواري في الغناء ، وموقف الفقهاء من انتشار هذه الظاهرة في الحجاز ، (المركز الديني الأول للمسلمين) ، وتأثير الوضع الاقتصادي في انتشار هذه الظواهر بعد الترف الذي نعمت به الحجاز سواء في العهد الأموي أو في بعض مراحل العهد العباسي ، بالإضافة إلى ازدهار التجارة، وظهور معلمين متخصصين لتعليم الجواري الغناء ، ودعم الخلفاء للشعراء والمغنين والجواري ،ومنح أموال طائلة لهم.

أما الفصل الثاني: فتناولت فيه علم التاريخ فتطرقت فيه إلى تطور مدرسة المدينة وإسهاماتها التاريخية ،فعالجت مراحل وأسباب الاهتمام بعلم التاريخ في تلك الفترة، مع مقارنة بين مدرسة الإخباريين في الكوفة ومدرسة الروائيين في المدينة.

وفي النهاية أتمنى أن أصل إلى الهدف المنشود وهو فهم وتقييم موقع الحجاز الثقافي والاقتصادي بالمقارنة مع بقية العالم الإسلامي الواقع تحت الحكم العباسي في تلك الفترة،وأتمنى أن تغطي دراستي جزءا من تاريخ الحجاز الغامض في تلك الفترة وخاصة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية .

ومن أهم المصادر المعتمدة:

١- تاريخ خليفة بن خياط (خليفة بن خياط الشيباني البصري ت ٢٤٠هـ/٨٤٥م):

وقد رتبه مؤلفه على طريقة الحوليات وهو يتناول تأريخ فترة من تاريخ الإسلام تمتد حتى سنة اثنتين وثلاثين ومئتين، وقد افتتحه بحديث عن وضع التأريخ وميلاد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ثم أخذ يسوق أخبار كل سنة على حدة ابتداء من السنة الاولى للهجرة باسطا ما جرى فيها من أحداث ومغاز وثورات، حتى إذا فرغ من ذلك ذكر من أدركتهم الوفاة في تلك السنة،مع أنه لم يعطِ تفصيلات كثيرة عن التراجم والأعلام، إلا أنه أفادنا في تحديد وفاة كل شخص .ولكن مايؤخذ عليه هو توسعه في أحداث العهد الأموي وأختصاره في العهد العباسي الذي عاصر كثيرا من أحداثه .ولكن فائدته كانت في تطرقه للثورات العلوية في عهد المأمون .

٢- أنساب الأشراف للبلاذري (أحمد بن يحيى ت ٢٧٩هـ) :

للكتاب فائدة كبيرة فهو من جهة كتابيتحدث عن الأنساب، ومن جهة أخرى كتاب أخبار وتاريخ واستقصاء وشرح ،وبه أخبار اقتصادية واجتماعية وسياسية،اضافة الى ذكره لكثير من الأعلام في تلك الفترة ،فأسهم بذلك في تقديم معلومات قيمة عن حياتهم وأعمالهم،ودورهم في الحياة العامة ، بالرغم من عدم التقيد بالتسلسل الزمني للأحداث.

٣- تاريخ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ت٢٩٢هـ/٩٠٥م) :

وقد استهله مؤلفه بنشوء الخلق ، وحتى الفترة التي سبقت وفاته بأكثر من ربع قرن أي حتى عام(٢٠٩ هـ /٨٧٢م) ويمكن تقسيم كتابه إلى فترتين :

أ: الفترة الأولى:

وتشمل ما قبل الإسلام ،وتبحث في تاريخ الأنبياء والرسل والأمم القديمة الغابرة .

ب- الفترة الإسلامية :

وتبحث في عصر الرسول (ص)، ثم العصر الراشدي، فالأموي،فالعباسي حتى نهاية عهد الخليفة العباسي المعتمد عام (٢٥٦هـ/٨٦٩ م)وتميز اليعقوبي بإيراده أسماء الأمراءوالقادة والفقهاء في نهاية كل عهد،بالإضافة الى ذكره لبعض الأسواق

وأعمال الخلفاء العباسيين،فما أورده عن حكم الخلفاء العباسين،والأحداث الهامة في عهد كل منهم ، قد أفادت في إظهار الأحداث المتعلقة بالحجاز سواء من الناحية السياسية أو الاجتماعية في عهد كل خليفة من الخلفاء العباسيين.

٤- المسالك والممالك :(عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه، ت ٣٠٠هـ/٩١٢م).

وهو كتاب جغرافي ،تبرز أهميته في ما قدمه من معلومات جغرافية عن الحجاز، بالإضافة الى تطرقهِ الى بعض الحوادث التاريخية المتعلقة بموضوع البحث،فبالرغم من أنه كان مختصراً ، الا إنه كان ذا فائدة كبيرة من خلال تطرقه إلى أهم الطرق التجارية في تلك الفترة ، وخاصة الطرق التجارية المارة في الحجاز ، وطبيعة المواد المتاجر بها.

٥- تاريخ الأمم والملوك : (محمد بن جرير بن يزيد الطبري

ت٣١٠هـ /٩٢٣ م) :

وقد بدأ كتابه أيضا بمعلومات حول نشوء الخليقة وحتى عام(٣٠٢ هـ /٩١٥) وامتاز كتابه بأنه:

أ- اتبع أسلوب الحوليات، وذلك بسرد أحداث كل عام على حدة وفقاً للتسلسل الزمني.

ب - استخدم طريقة الإسناد: أسوةً بخليفة بن خياط.

ج- أورد العديد من الروايات بالنسبة للحادثة التاريخية الواحدة.

د- ذكر في نهاية كل عام أهم الأحداث التي حصلت فيه .

وبذلك يكون قد أمدنا بمعلومات عن أوضاع الحجاز من الناحية السياسية ، والولاة الذين تعاقبوا على حكم مدن الحجاز،والأحداث الهامة في عهد بعضهم ،بالإضافة إلى إسهابه في الحديث عن ثورة (النفس الزكية).

٦- العقد الفريد : لابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد ت ٣٢٧هـ):

وهو عبارة عن موسوعة أدبية علمية اجتماعية تاريخية تنقسم إلى خمسة وعشرين باباً،تناول كل باب منها موضوعاً من المواضيع كالسلطان والحروب وتواريخ الخلفاء وأيام العرب ، ويختلط التاريخ بالأدب بالعادات والتقاليد الاجتماعية ولكن بدون إسناد ،وقد أسهم في إغناء الحياة الثقافية من خلال تطرقه في الجزء الخامس إلى أبرز الشعراء والمغنين ، في تلك الفترة.

٧- مروج الذهب : المسعودي (علي بن الحسن ت ٣٤٦هـ) :

تضمن أخباراً عن الخلفاء وقصصاً عن الأنبياء وأقوام العرب البائدة وذكر مكة وأخبارها وملوك الشام من الغساسنة، وأخبار عن ديانات العرب، وأفاد في تبيان الظروف التي أسهمت في نهاية الدولة الأموية.

٨- الأغاني للأصفهاني : أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين (ت ٣٥٦هـ) :

وهو من أشهر كتب الأدب في القرن الرابع الهجري، فهو موسوعة أدبية قديمة تفخر بها مكتباتنا العربية ؛لذكرها كثير من الأعلام عن حياتهم وأهم أعمالهم، فهو أوسع مصدر نملكه في تراجم شعراء العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري،

وكان غرض المؤلف الأول من كتابه تثبيت أشهر أغاني عصره بكلماتها والحانها، وكان مصدراً هاماً وغنياً في معالجة الناحية الثقافية ، وخاصةً الشعر والغناء، من خلال ذكر أهم الشعراء والمغنيين وأعمالهم ،ونبذة مختصرة عن حياتهم العامة الاجتماعية .

٩- ابن حوقل : (ت ٣٦٧هـ /٩٧٧م) صورة الأرض .

كان تاجراً ورحالة،وداعية سياسي انطلق من بغداد، وزار أنحاء العالم الإسلامي في ثلاثين عاماً .

وجمع في كتابه (صورة الأرض)أخبار بلاد الإسلام إقليماً إقليماً ،فأعطى صورة جغرافية واضحة عن معالم وحدود (الحجاز الجغرافية)،وتطرق إلى نواحي تاريخية.

لكن ما يؤخذ على هذا الكتاب هو ذِكره فقط للمسافات بين المدن الحِجازية أو غيرها من مدن الأمصار دون التطرق إلى أسماء الأماكن والقرى التي تربط المدن ببعضها،بالإضافة إلى أنه كان مختصراً ولم يشر إلى الناحية الاجتماعية أو السياسية. لكنه أفاد في الناحية الاقتصادية من خلال تطرقه إلى مينائي الجار وجدة ، وأهم الزراعات حول مكة والأودية التي تحيط بها خارج الحرم.

١٠- الكامل في التاريخ لابن الأثير (أبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ) : وهوالمؤرخ الذي تحرى الأخبار،ورتبها كالطبري مشيراً إلى تلخيصه للتاريخ الكبير لأبي جعفر الطبري وكيف عدله بالزيادة والنقصان ، ورتبَ كتابه على نظام الحوليات ، ولكنه اختلف عن الطبري من خلال التحدث عن الحادثة في موضع واحد فجاءت الحادثة مجمعة ،أما الطبري فقد أورد الحادثة حسب السنة فجاءت مجزأة . وبدأابن الأثير كتابه بالكلام عن تاريخ البشرية منذ أول الخليقة إلى عام /٦٢٨هـ/ فأحتوى بذلك على مادة قيّمة عن تاريخ العصر الجاهلي والعصور الإسلامية ، وفترة موضوع البحث وخاصة من الناحية السياسية والاجتماعية .

١١- البداية والنهاية (ابن كثير إسماعيل بن عمر بن كثير ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م):

اتبع أسلوب الحوليات في تاريخه أسوة بمن سبقه من مؤرخين كما سار على منوال ابن الأثير في الاستغناء عن تعدد الأسانيد في الرواية الواحدة، وقد ركز على الأحداث الهامة التي جرت في كل عام. و أورد في نهايتها أسماء عدد من الشخصيات الهامة السياسية أو الدينية.وتميز سرده للأحداث بالدقة والموضوعية، مما أسهم في التّعرف على رجال الفقه في تلك الفترة .

١٢- العبر وديوان المبتدأ والخبر (ابن خلدون):

لابن خلدون عبد الرحمن بن زيد(ت ٨٠٨هـ)، يحتوي على أخبار العرب والشعوب الأخرى، وبخاصة البربر وتمثل مقدمة هذا الكتاب مكانة خاصة في تاريخ الدولة العربية ،فقد تتبع ظروف المجتمع العربي منذ نشأته، وتتبع تطوره وكتب مقدمته بالأصل كمقدمة لكتابه التاريخي، ولتكون شرحاً وتمهيداً لفهم حوادث التاريخ على ضوئها، وأشار إلى قواعد النقد التاريخي وشككَ في صِحة الأنساب التي كثيراً ما تُرفع إلى إسماعيل وإبراهيم ونوح،اضافة الى تعاريفهِ الشاملة للعلوم الدينية والأدبية، وتطرقه الى الناحية الاجتماعية من خلال التحَدّث عن المَوالي والعبيد ، وأفاد في توسعه لثورة محمد بن عبدالله(النفس الزكية)من خلال تبيان أسبابها وأهم أحداثها ،ودور فقهاء الحجاز فيها .

١٣-أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (محمد بن أحمد المقدسي،ت٩٩٠هـ):

وقد أشتهر هذا الكتاب بأسم صاحبهِ (رحلة المقدسي) ؛حيث زار الأقاليم الإسلامية ، وجمع في كتابه أخبار بلاد الإسلام إقليماً إقليماً ،فأعطى صورة جغرافية واضحة عنها ،فقدم للبحث صورة واضحة عن معالم وحدود الحجاز الجغرافية ،وتطرق إلى النواحي التاريخية، والاقتصادية من خلال ذكره الأسواق الحجازية والمواد المُتاجر بها، والطرق التجارية التي كانت مُعتمدة في تلك الفترة وبعدها ،فكان شاملاً على عكس ابن خرداذبة والبكري اللذان اوجزوا كثيراً في ذكر الحجاز.

تمهيد:

مدخل عام للحجاز

تشكل شبه الجزيرة العربية هضبة صحراوية ، كانت في العصور القديمة على اتصال بالقارة الإفريقية ، حتى تم الفصل بينهم بأخدود انهدامي طولاني ، والذي حدث في الزمن الجيولوجي الثالث فنشأ عنه البحر الأحمر ، فأحيطت بثلاثة بحار[1]،بحر فارس والذي يبدأ من عبادان وهو مصب نهر دجلة في الخليج العربي، ثم يتجه إلى البحرين ، ويمتد حتى عُمان ، ثم ينحرف إلى حضرموت وعدن ويسمى بحر العرب ، ثم إلى جدة ثم إلى الجار ومدين وينتهي إلى آيلة (العقبة) ويسمى بحر القلزم(البحر الأحمر) [2].وتكون حدودها واضحة عند الجهة الشمالية ، فلا يوجد فاصل بينها وبين بلاد الشام ، وقد قسمت إلى خمسة أقاليم وهي :

١ - تهامة ٢- نجد ٣- اليمن ٤- الحجاز ٥- اليمامة [3].

ويقع إقليم الحجاز من شبه جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية الغربية. وقد بقي إقليم الحجاز جغرافياً غير واضح وثابت الحدود فترة من الزمن، فكان متداخلاً مع إقليم آخر حيناً ، ومنحسراً حيناً آخر ؛ فكانت تدخل يثرب في نجد القريبة منها ، أو تضم مكة إلى تهامة اليمن ، وتعد أحياناً اليمامة جزءاً من الحجاز مع مكة والطائف ، فلم يأخذ ملامحه إلا في القرن السادس الميلادي عندما أصبح مركز التجارة الأول، ومحور الحركة التجارية في الجزيرة العربية [4] .

ويعرف جيرالد دي غوري الحجاز بأنه: (الأرض الحاجزة ، وهو عبارة عن نتوء كبير بارز فوق سطح الأرض ، وتتخلله تجاويف قليلة مزينة ببعض الأشجار) [5] .

وأشهر حواضر الحجاز :

مكة : مركز الحجاز ،وهي مدينة بين شعاب الجبال ، ويبلغ طولها من الأعلى إلى الأسفل حوالي الميلين ، وهو من الحد الجنوبي إلى الشمالي [6].

المدينة : وهي أقل من نصف مكة ، وهي في حرة سبخة الأرض ، مما جعل

---

١ - توفيق برو : تاريخ العرب القديم ، ، ص١٩ .
٢ - ابن حوقل (أبي القاسم بن حوقل ،ت ٣٦٧ هـ) : صورة الأرض ، ص ٢٧ .
٣- الهمداني(أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب):صفة جزيرة العرب، ص٥٨ .
٤ - شكران خربوطلي : الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام ،إشراف سهيل زكار، ص٣ .
٥ - جيرالد دي غوري : حكام مكة ، ص١٣ .
٦ - الأصطخري (ابراهيم بن محمد الفارس،ت٩٥٧هـ) : المسا لك والممالك ، ص ٢١ .

أراضيها خصبة ،وتكثر فيها الأبار .

الطائف : وهي حاضرة صغيرة ، كثيرة الشجر والثمر وهي على ظهر جبل غزوان ، وتشتهر بهوائها العليل لارتفاعها ووفرة مياهها[1] .

وتتعدد الجبال وتكثر في الحجاز وتختلف بارتفاعها وانخفاضها بين منطقة وأخرى ومن الجبال المشهورة في كل من مكة والطائف : جبل أبي قبيس ، ويشرف على الصفا،وعلى الكعبة المشرفة ،وجبل قعيقعان المشرف على المروة[2]،وجبل طيء والذي يشمل جبلي أجا وسلمى،وبين مكة والطائف جبل(كرا) وارتفاعه حوالي(٢٠٠م) ، وفي جنوبيها الغربي جبل عير ، وجبل النور في الشمال الغربي ، وجبل عرفات وجبل الرحمة في الشرق ، ثم جبل ثور في الجنوب، وجبل قعيقعان وجبل عمر ويحيطان بمكة وجبل غزوان ، وهو أبرد مكان في الحجاز ولربما تجمد الماء في ذروته[3]،وهذا سبب اعتدال المناخ في مدينة الطائف ، والتي اصبحت مصيفاً لأهل مكة .

ولكن بالرغم من كثرة هذه الجبال في الحجاز ، لا يوجد نهر كبير معروف ، مثل نهر دجلة أو الفرات ، بل فيها أنهار صغيرة ، لذلك عدت من البلدان قليلة الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يغلب عليها الجفاف ، ولكن مع ذلك فإنه لا يخلو من الأودية التي تطغى عليها السهول عند سقوط الأمطار ، فتصبح وكأنها نهر،وهي في الغالب طويلة تسير في اتجاه مَيل الأرض،وتجف في وقت الجفاف،أما الأودية التي تصب في البحر الأحمر فإنها قصيرة بعض الشيء ، وذات مجرى أعمق وانحدارأشد .

ومن الأودية المشهورة : وادي الحمض، ويسيل إلى جنوب شرقي حرة خيبر، ويتفرع عند المدينة إلى وادي العقيق وفيه أعذب الأبار.ووادي القرى يتصل به ، وهناك وادي الرمة عند حرة مذل وإلى القسيم [4].ووادي ودان جنوبي المدينة على مسافة أربعة أيام[5] .

وبالنسبة لتكوين الحجاز من الناحية السياسية والاجتماعية فقد بدأ في مكة منذ اللحظة التي تسلم فيها قصي بن كلاب القرشي إمرة الحرم بعد قبيلة خزاعة،وأهم أعماله هي بناء دار الندوة

---

١ ـ ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ٣٧ ، ٣٩ .
٢ ـ البكري(عبد الله بن عبد العزيز البكري،ت ٤٧٨هـ): المسالك والممالك ،٣٩٨ ، ٤٠١ .أبي البقاء (محمد بن أحمد بن الضياء ، ت ٨٥٤ هـ) : تاريخ مكة المكرمة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة ، ص ١٩٠ .
٣. ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله الرومي)(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م) ،معجم البلدان،ج٤،ص٩.
٤ ـ البكري: المصدر السابق،ص ٤١٨. الأصطخري:المصدر السابق،ص٢٣ .
٥ـ القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ،ت٨٢١هـ) :صبح الأعشى ، ج٢ ، ص ١٤٠ .

للتشاور في أمور مكة [١]. ونتيجة ظهور مكة وازدهارها بدأت المنافسات بين أبناء عبد مناف وأبناء عبد الدار أبناء قصي بن كلاب الذين خلفوا جدهم هاشم لنيل مكاسب أكثر.فظهر حلف المطيبين بزعامة أبناء عبد مناف ، وحلف الأحلاف بزعامة أبناء عبد الدار، وضم كل وفد عدد من البيوتات القرشية لجانبه،إلا أن هذا الصراع انتهى بالصلح وتوج بحلف الفضول الذي كان يهدف إلى الأخذ بنصرة الضعيف، وهو حلف قديم جدد في عهد قريش[٢] .

أمّا الحاضرة الثانية في الحجاز: فهي الطائف، واشتهرت في عهد قبيلة ثقيف بعد هزيمتها لقبيلة عامر بن صعصعة من هوازن[٣] .ولقرب الطائف من مكة فقد كانت هناك مصالح مشتركة وعلاقات بين قريش وثقيف .

والحاضرة الثالثة: فهي يثرب ، التي كانت أقل استقراراً من سابقتيها؛ لوجود عناصر سكانية مختلفة. فقد كانت تتنازعها الحروب سواء بين الأوس والخزرج القادمين من اليمن، أو بينهم وبين اليهود، في ظل سيطرة اليهود في تلك الفترة على الأمور الاقتصادية فيها.

أما بالنسبة للبادية فقد عاشت فيها قبائل متفرقة أنتجت الظروف الصحراوية القاسية في الحجاز،أن يكون الأساس في حياتها التنقل طلباً للكلأ والماء،والاعتماد على الغزو والسلب ، وتضامنوا على أساس رابطة الدم.وفي المناطق المجاورة للحجاز سواء في اليمن أو بلاد الشام أو العراق ،فهناك صراع فارسي بيزنطي على مدّ النفوذ والسيطرة على الطرق الإستراتيجية فأقاموا قبائل عربية كخط دفاع أول في وجه الأخرى ،فاعتمد الفرس على لخم اليمنية والروم على الغساسنة[٤].

ومن الناحية الاقتصادية ساعد موقع الحجاز بين اليمن وبلاد الشام أن يكون عقدة تتجمع فيها القوافل ،وكانت بداية ظهور وبروز التجارة القرشية في مكة عندما أقام هاشم الإيلاف مع القبائل العربية وقيصرالروم؛ للسماح للتجار القرشين بالمرور بأراضيه وتابع من بعدهِ أخوته مع كسرى فارس وملك الحميريين في اليمن والنجاشي في الحبشة[٥].

ونتيجة هذه العقود أصبح لتجار مكة متاجر في جميع المناطق المجاورة مما زاد في مكانة قبيلة قريش وثرائها ،وارتفاع شأن مكة،حيث كان لها مواسم للحج مشهورة فتنفق فيها البضائع المجلوبة والأمتعة .وكان أول هذه المواسم في رجب والثاني موسم الحج . وذلك كله نتيجة

١- عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٤٠٧ هـ) : سيرة ابن هشام، ص١٠١.(اختصاراً ابن هشام)
٢- ابن هشام : المصدر نفسه،ص٧١ .
٣- ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن علي ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،الكامل في التاريخ ، ج١ ،ص٦٨٤ .
٤- عماد الدين خليل: دراسة في السيرة ، ص٣٦٤.
٥- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير ،ت ٣١٠هـ): تاريخ الأمم والملوك ،ج١،ص١٣،١٢.

استغلال الحجاز للاضطرابات القائمة في اليمن من تنافس فارسي بيزنطي لمدّ النفوذ إليه والسيطرة على طريق التجارة الرئيسي فيه. بالإضافة إلى إغلاق طريق الخليج العربي؛ نتيجة الحروب بين الطرفين. ونافس أهل الطائف مكة في السيطرة على خطوط التجارة ،وحاولوا جلب القوافل إليهم، وجعل مدينتهم مركزاً للتجارة، ونجحوا بذلك وخاصة عندما استولى الفرس على اليمن ،ومرروا لطائم كسرى عن طريق الطائف .لكن أهل مكة مدوا نفوذهم إلى الطائف عن طريق إقراض سادتها بالأموال وشراء الأراضي في الطائف ،وإقامة علاقات مصاهرة مع أهل الطائف من ثقيف[1].وبهذا رسخت السيادة المكية على طرق التجارة من جديد، وقطع الطريق على المنافسين من الطائف. وبعد ظهور الإسلام تابع الحجاز ازدهاره التجاري، وخاصة بعد الفتوحات، وتحول المدينة إلى عاصمة الإسلام الأولى ،ومركز الاستقطاب الأول للمسلمين بالإضافة إلى مكة. وفي العهد الأموي وخاصة بعد استقرار الأمور في العهد المرواني، اعتمد خلفاء دمشق بعد نقل العاصمة الإسلامية إليها على ميناء عدن ، وخط التجارة القديم المار بالحجاز؛ للتزود بما يحتاجون من منتجات الشرق الأقصى[2].

ومن الناحية الثقافية:فقد كان العرب قبل الإسلام يعانون من اضطراب فكري تجلى في اضطراب العقائد والأديان، فظهرت في بلاد فارس ثلاثة مذاهب منها (الزرادشتية ،والمزدكية، والمانوية وفي بلاد الروم ظهرت المسيحية).وفي المجتمع العربي في اليمن قبل الغزو الحبشي اختلطت الديانات وتزاحمت العقائد فكان من العرب من يعبد الأوثان ، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، ومنهم صابئة عبدت الكواكب ، وقليلون حنفاء على دين إبراهيم ،ومن العرب من تسربت إليه اليهودية والمسيحية كما في يثرب واليمن [3].

وقد تميزت هذه الفترة بظهور الشعر الذي كان له دور في إظهار الحوادث التي حدثت[4]،وكان للأسواق التجارية التي برزت في الحجاز كعكاظ ومجنة وذو المجاز،دور في إيجاد لهجة ولغة عربية موحدة.فكانت هذه الأسواق تخصص لتبادل الأفكاروالشعر،فيلقي الشعراء أشعارهم، والخطباء خطبهم، ويخضع الجميع لمقياس واحد هو مقياس قريش في الفصاحة واللغة، وكان الشاعر عالم القبيلة وفارسها ومؤرخها، والشعرمقياس الذكاء عند

١- جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ،ج١،ص٢٠٨، هاشم الحسيني : سيرة المصطفى، ص٢١٩.

٢- أحمد بدر : الحضارة العربية الاسلامية ، ص ١٠٢ .

٣- ابن هشام: المصدر السابق،ص٢١ ،٢٢ .

٤- لويس أميلي سيديو:تاريخ العرب العام ،ص ٤٨.

البدو،فيقال(الشعر ديوان العرب)[1].واعاد المؤرخ (ول ديورنت)الغناء العربي إلى ما قبل اختلاطهم بالأعاجم؛فشعراء الجاهلية كانوا ينشدون أشعارهم على نغمات الموسيقى فجمعوا بين الشعر والموسيقى في صورة واحدة [2].وهذا يدل على أن أصل الغناء عربي وليس أعجمياً كما ادعى كثير من المؤرخين والأدباء .

ومن أشهر الشعراء العرب في تلك الفترة أصحاب المعلقات الذين كُتبَت أشعارهم وعُلِقت على جدار الكعبة.ومنهم امرؤ القيس،وطرفة بن العبد، وعنترة بن شداد لكثرة الأشعار التي تناقلها عنهم أصحاب كتب الأدب.

وعرف العرب التوقيت بالنجوم والأهلة، وكانوا ينسئون الشهور ويكبسونها إلحاقاً السنة القمرية بالسنة الشمسية، ويؤرخون من الحوادث العظام كعام الفيل ، وبناء الكعبة ونحوهما .

وسط هذه التجاذبات والأوضاع ظهر النبي العربي محمد بن عبد الله (ص)، داعياً إلى عبادة إله واحد في مكة وسط قومه قريش، فواجه الكثير من المتاعب من قومه الذين رفضوا دعوته إلا أقلية منهم اتبعوه. إلا أن إرادة الله قد هيأت له السبل لنشر الدين عندما التقى في السنة الحادية عشرة والثانية عشرة للبعثة وفوداً من قبيلة الخزرج اليثربية فبايعوه ووعدوه المناصرة، فهاجر الرسول (ص) تاركاً مكة ومؤامرة تستهدف اغتياله[3]. ومع وصول الرسول (ص) إلى يثرب التي أصبحت تدعى مدينة الرسول،باشر الرسول فور إقامته ببناء المسجد الذي بدأ يمارس به المسلمون شعائرهم الدينية ،من خلال تعليمات الرسول لهم، وهذا المسجد لم يكن فقط للأمور الدينية بل كان دائرة عسكرية لتوجيه الرسول(ص) غزواته ، ومركز اجتماعي ثقافي.

ونظم الرسول (ص) المجتمع المسلم وحدد العَلاقة بينه وبين غيره من أهل المدينة غير المسلمين من خلال إصدار الصحيفة[4] ، فكانت الصحيفة نواة الدولة الإسلامية التشريعية الأولى ؛من خِلال إيجاد مزاوجة عضوية في السلطة، واستيعاب العصبيات القبلية والإقليمية في إطار(الجماعة الإسلامية)،واعتبرت الصحيفة أنّ المسلمين أمةً واحدةً ،وهذا من شأنه إضعاف العصبية القبلية ،فأحل الرسول رابطة العقيدة مكان رابطة الدم .

وأخى الرسول بين الأنصار وهو الاسم الجديد (للاوس والخزرج) أنفسهم أو بينهم وبين

١- فليب حتي :العرب تاريخ موجز، ص٣٢.
٢- ول ديورنت :قصة الحضارة،ترجمة محمد بدران، ج١٣ ،ص ١٥.
٣- ابن هشام :المصدر نفسه، ص٢٢٢،عماد الدين خليل : المرجع السابق، ص١٥٤ .
٤- إبراهيم بيضون :الحجاز والدولة الإسلامية،ص١١٧.

المهاجرين،الذين هاجروا من مكة إلى المدينة.وحدد الرسول علاقتهُ مع اليهود في المدينة من خلال الصحيفة. هذا عمل الرسول على الصعيد الداخلي امّا علاقته مع الخارج فقد بدأها الرسول بإرساله للسرايا والغزوات على قوافل قريش التجارية؛ لأنها عصب الحياة القرشية، واستمرت هذه الغزوات حتى كللها الرسول بفتح مكة، وإخضاع شبه الجزيرة للدين الإسلامي بعد تسع سنوات من هجرته[1]. فحقق الرسول من هجرته إلى المدينة مايلي:

١- نفي العصبية القبلية.

٢- تصفية الأحقاد القديمة.

فتحسنت أوضاع المدينة الاقتصادية، ونشطت فيها التجارة فقد كانت محدودة قبل وصول الرسول(ص)؛ لفقدان الأمن ووجود الصراعات[2].

أمّا بالنسبة للحياة الثقافية في عهد الرسول (ص) فقد بقيت كما هي، فظهر كثيرٌمن الشعراء الذين وجهوا أشعارهم لخدمة الدين، والرد على هجاء قريش للرسول (ص)، والدين الإسلامي .ومن الشعراء البارزين حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة، كعب بن زهير. وليس كما يدعي ابن خلدون ، بضعف الشعر نتيجة انشغال المسلمين بالوحي والنبوة [3].

وقد كانت السلطة الدينية والدنيوية بيد الرسول (ص)، فهو المشرّع الأول للمسلمين من خلال الوحي بما يَنزل على النبي من آيات قرآنية لمشكلاتهم الحياتية، والرسول(ص)هو القائد الأعلى في الغزوات ، وتوجيه السرايا. ومن خلال نصوص الصحيفة فإن الرسول هو المسؤول عن حل الخصومات بين المسلمين أنفسهم وبين المسلمين و اليهود.

وما إن انتقل الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى حتى كادت العصبية القبلية التي ناضل الرسول للقضاء عليها أن تعود من خلال السقيفة والتي بدأها الحباب بن المنذر الأنصاري؛عندما دعا إلى إخراج المهاجرين من المدينة[4]،إلا أن المتخاصمين سرعان ما اتفقوا على تولية أبي بكرخليفة للمسلمين، والذي واجهته مشكلة خروج القبائل على سلطة المدينة، وارتداد بعض القبائل عن الأسلام، وخروجهم على سلطة المدينة من خلال اتباع أنبياء كاذبون ، فلقد كان

١- حسين مؤنس :مجلة العربي، محمد في إعماله العسكرية ،العدد ١٩٦٧/١٠٩ ،ص ٧٨، أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية العامة ، ص ٨٨.

٢- عبد الحميد السحار: محمد رسول الله والذين معه، ج١١ ، ص٢٤.

٣- ابن خلدون (عبد الرحمن محمد بن خلدون ت ٨٠٨ هـ):مقدمة ابن خلدون، ص٤٧١.

٤- ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) :الإمامة والسياسة ، ج ١ ،ص ١٥ .

سلطة النبي قوية في الحجاز ؛ لأنه عاش بنفسه في هذه المنطقة .أمّا المناطق البعيدة فقد أرسل لهم الرسول(ص)الدعاة والجباة ، لذلك بقيت العصبية لديهم قوية.فجاءت هذه الردة كمظهر للتصادم بين الإسلام والقبلية ، فكان لتمرد هذه القبائل اكثر من معنى منها:

- تعبيرا عن الرفض للسلطة المركزية ، وخضوع القبيلة لسيطرة خارجية .
- الرغبة في تكوين قوى منافسة للأمة .
- في حين إنها بمتابعتها للأنبياء الكاذبين تشعر بعجز الأحلاف القبلية على الوقوف بوجه الدعوة الإسلامية.

وهذه الردة كانت بالنسبة للسلطة المركزية في المدينة تعني توحيد العرب سياسياً وعقائدياً في دولة واحدة ،وهذا ما سعى إليه الخليفة الأول (أبي بكر) الذي سرعان ما تمكن من تجاوز الأزمة والقضاء على حركة الردة وإعادة الوحدة للجزيرة العربية ، فأرسل الجيوش للفتوحات مستهدفاً نشر الدين الإسلامي من جهة ،وثانيا للقضاء على هذه العصبية، فازدهر الحجاز نتيجة لهذه للفتوحات، واندفعت الأموال إلى المدينة، وجاء إليها السوالي،فنشأت حضارة جديدة إختلط فيها العرب بالشعوب الأعجمية، وعاش عرب المدينة حياة الترف. وبدأت المدينة تأخذ شكل المؤسسات منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب؛ بعد كثرة الثروات وإيجاده للدواوين، واتخاذ الأسبقية في الإسلام في العطاء.وبقي الحجاز مركز الثقل في الدولة الإسلامية ، واستمر ثراء المدينة في عهد عثمان بن عفان خليفة عمر بن الخطاب ، وورث أولاد الصحابة آباءهم في الثراء. وحول عثمان الميناء من الشعبية ميناء مكة القديم إلى ميناء جدة لأنه أكبر وأوسع[1] .

وقد استمر تمركز التجارة في مدن الحجاز واليمن ، إلا أنه ونتيجة لفتح طريق الخليج العربي بعد فتح العراق تحول قسم من التجارة إليه. ولكن حركة التجارة الموسمية أثناء موسم الحج بقيت مزدهرة ؛ نتيجة كثرة الوافدين إلى الحجاز في هذه الفترة ،وبدء تنظيم العمليات التجارية سواء بين المسلمين أو غير المسلمين القادمين من خارج البلاد الإسلامية فأوجد عمر بن الخطاب العشر بأخذها من التجارغير المسلمين،وأوجد أيضاً الحسبة للإشراف على الأسواق وتحديد الأسعار[2] . فنتيجة لهذا التحول بدأ أصحاب الأملاك الزراعية في الحجاز ببيع أراضيهم والهجرة إلى الأمصار حيث مصدر الثروات.

ومن الناحية الدينية فقد كثر الفقهاء بعد وفاة الرسول (ص)، ويأتي الصحابة في

١-عارف عبد الغني : تاريخ أمراء مكة، ص١٠٦.
٢-أحمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ،ص٢٣٣. ،مصطفى الرافعي :نظام الحسبة في الأسلام ،مجلة الفيصل ، العدد ١٣٩٩،٢٦هـ/١٩٧٩م،ص٦٨.

طليعة القائمة فقد انحازوا بعد الفتح إلى كل مدينة .فجماعة في الكوفة وجماعة في دمشق وهذا يفسر لنا كيفية انتقال أحاديث الرسول (ص) إلى الأمصار.

وبالنسبة للحياة الأدبية فقد أزدهرت نتيجة هذا الثراء ، فبرز عدد من الشعراء أمثال: (عمر بن أبي ربيعة الشاعر الغزلي ، والفرزدق وجرير والأخطل) . بالإضافة إلى بعض شعراء العصر الإسلامي الأول (كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحه).

إلا أن هذا الازدهارالذي نعم به الحجاز لم يستمر نتيجة الفتنة التي أدت إلى مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ،وانتقال الخليفة الراشدي الرابع إلى الكوفة واتخاذها عاصمة ،فأدى ذلك إلى انتقال مركز الثقل الإسلامي إلى خارج الحجاز .وخاصة بعد اغتيال الإمام علي(عليه السلام) ، وتسلم معاوية الخلافة ونقل العاصمة إلى دمشق، وتوليته لابنه يزيد بعد وفاته، فحدثت الكثير من الحركات الحجازية، مما أدى إلى عدم استقرار الحجاز، و هدف الحجاز من وراء ثورات (الحسين، ثورة المدينة،وثورة ابن الزبير) كان إعادة مركز الحجاز السياسي، من جهة والتخلص من الظلم الأموي من جهة أخرى، فأمسكت السلطة الأموية بزمام السلطة، فلم يجعلوا حتى لأقاربهم السلطة المطلقة وعملوا بالمداورة في الولاية حتى لا تقوى شوكتهم[1]. ومنذ عهد معاوية بدأت أحوال الحجاز تتغير؛ لأنهم لم يقفوا إلى جانبه أثناء حربه مع الإمام علي فقد ضيق عليهم معاوية بقطع العطاء على أهل المدينة،فارتفعت أسعار المواد الغذائية[2]. مما أضطرهم الى بيع أراضيهم بأسعار زهيدة، وليس كما ذكر شاكر مصطفى من أن معاوية أسهم في النهوض الاقتصادي في الحجاز بل اهتم فقط بالأراضي التي صادرها أو اشتراها بأبخس الأثمان من أهلها مستغلاً أوضاعهم المادية السيئة والذي كان هو سببها[3]. وهذه الأزمة لم تستمر سوى بضعة عقود، فبعد مقتل عبد الله ابن الزبير وتسلم عبد الملك بن مروان الخلافة بدأت أحوال الحجاز بالتحسن بغدقه الأموال على الحجاز ؛ لصرفهم عن التفكير بالأمور السياسية.

فبالنسبة لأوضاع الحجاز في العهد الأموي من الناحية الاجتماعية فقد تعقدت فيه الحياة الاجتماعية ؛نتيجة كثرة الموالي والجواري ولأن الرقيق أصبح يتولى تربية الطفل العربي .وبدأ

١-ابن الأثير :المصدر السابق،ج٢ ،ص٥٩ ،٦٠ .

٢- ابن قتيبة الدينوري:المصدر السابق،ج١،ص١٧٧ .

٣ - شاكر مصطفى :المدن في الإسلام ، ج٢ ،ص٤٩٨.

الترف يشتد في الحجاز بصورة خاصة ؛ لانصراف الحجاز راضين أو كارهين عن أعمال السياسة العليا إلى لذاتهم .

وبالنسبة للناحية الاقتصادية فقد ازدهر الاقتصاد الحجازي من خلال اهتمام أهالي الحجاز بالزراعة والتجارة، وقيام الخلفاء الأمويين بتنظيم شبكات للري، وتنظيم جرّ المياه (لوجود أراضي لهم في المدينة) ، فواحة فدك التي أوهبها معاوية لمروان بن الحكم كانت تغل وحدها أيام عمر بن عبد العزيز و الذي أرجعها إلى آل البيت عشرة آلاف دينار[1] .واعتمد الأمويون على ميناء عدن وخط التجارة القديم المار بالحجاز ؛للتزود ببعض ما يحتاجونه من منتجات الشرق الأقصى؛وذلك لذكر كثير من الرحالة لهذا الطريق ومنهم ابن خردانبة [2]– الذي سنتوسع به في بحث التجارة-.

وشهدت الحياة العلمية تطوراً أيضاً من خلال ظهور عدد كبير من التابعين الفقهاء وعلى رأسهم ،(الحسين بن علي عليه السلام)،الذي نقل الحديث عن كثير من صحابة رسول الله وأبيه وابن عباس.(ومحمد بن علي بن الحسين عليه السلام)،وروى عن ربيعة الرأي وابن جريج وابن شهاب الزهري[3].ولهذا حافظ الحجاز على مركزه الديني سواءً بوجود الأماكن المقدسة أو بوجود طبقة من هؤلاء العلماء الذين كانوا مقصد كل طالب علم من العلوم الدينية .

- وشهد نهاية القرن الأول الهجري بدء الاهتمام بالروايات التاريخية التي كانت على شكل أحاديث تتناقل في المجالس عن طريق رواية الأحاديث عن الرسول(ص)، ومن أشهر الرواة (عروة بن الزبير وإبان بن عثمان).

ومن أشهر المؤلفات التي ظهرت في العصر الأموي (مثالب العرب) المنسوب لزياد بن أبيه وكتاب (الملوك وأخبار الماضين) لعبيد بن شريه،وتضمن أخباراً عن اليمن وخلافة معاوية بن أبي سفيان [4].

أما الناحية الثقافية: شهدت ظهور الشعر السياسي من جديد بعد اختفائه في العصر الراشدي، ويعود سبب عودته وجود المعارضة ضد الخلافة الأموية التي استولت على الحكم بحد السيف .

١- ابن سعد(أبو عبد الله محمد بن سعد البصري ،ت٢٣٠هـ):الطبقات الكبرى،ج٥ ،٢٨٧.
٢- ابن خردانبة: (عبيد الله بن عبد الله بن خردانبة ،ت ٣٠٠ هـ) : المسالك والممالك ،ص١٥٣ .
٣- ابن كثير(أبي الفداء اسماعيل بن كثيرت ٧٧٤ هـ) :البداية والنهاية، ج٩ ،ص ١٢٧،١٢٦ ، ٣٥٩.
٤- ابن النديم (أبي الفرج محمد بن يعقوب، ت ٩٩٥هـ) :الفهرست ،ص٨٩.

ومن شعراء الفترة الأموية: الأخطل وجرير والفرزدق. ومنهم من امتدح الخلفاء الأمويين. لكن ما ميز الحجاز في فترة الرخاء والترف هو ظهور المغنين بشكل كبير وظهور مدارس لتعليم الغناء ، من أمثال طويس بن عبد الله في المدينة ،وابن سريج الذي ضرب بالعود في مكة[١].

بقيت الأوضاع مستقرة في الحجاز سياسياً حتى عام(١٣٠هـ) عندما خرج أبو حمزة الحروري على السلطة الأموية، واستولى على الحجاز، وقتل عدداً كبيراً من أهلها ، إلا أنه سرعان ما هزم وقتل ،فأعاد الأمويون السيطرة على الحجاز[٢] .

ولكن المقام لم يطل للأمويين خصوصاً بعد سيطرة أبي مسلم الخراساني على خراسان داعية العباسيين. وإعلان أبي العباس السفاح خليفة في الكوفة، وإنهاء الحكم الأموي بعد هزيمة آخر الخلفاء الأمويين على يد عم أبي العباس السفاح عبدالله بن علي في معركة الزاب (١٣٢هـ) وفراره إلى مصر ومن ثم مقتله هناك[٣]، لتطوى بذلك مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامي، أستمرت أكثر من تسعين عاماً ، كان له إيجابياتها وسلبياتها بالنسبة للأمة الإسلامية عامة ً وللحجاز خاصة.وتبدأ بعدها مرحلة جديدة هي الخلافة العباسية التي سيكون لها تأثيرات على أوضاع الحجاز، سواءً من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو الثقافية وهذا ما سنبحثه في الفصول الآتية .

١- عبد السلام الترمانيني: إحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين، ج١ ، مجلد ١ ،ص ٦٢١ ،٦٤٩ .
٢- اليعقوبي(أحمد بن يعقوب بن واضح ، ت ٢٧٤ هـ): تاريخ اليعقوبي،ج٢،ص٣٣٩ ، ٣٤٠ .
٣- المسعودي(علي ابن الحسين ت٢٤٥هـ) :مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج٣ ،ص ٢٤٥.

الفصل الأول: الأوضاع السياسية والإجتماعية

أ- طبيعة المجتمع الحجازي في العهد العباسي:

انقسم المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية عامة وفق نظرية ابن خلدون في دراسته للعمران الإنساني إلى عمران بدوي وعمران حضري ،وفق التجمعات السكانية . ونستطيع أن نلتمس ذلك في بحثه في قوله " ...أن أهل البدو هم المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام ...ويتخذون البيوت من الشعر والوبر...فمن كان معاشه على الزراعة....هؤلاء سكان المدر"[1].وإذا شرعنا في التماس المعيار الذي استند إليه المفكر العربي ابن خلدون في تقسيمه للسكان إلى أهل بدو وأهل مدر،نجد أن المعيار الاقتصادي هو المعتمد في الموضوع بشكل رئيسي،بالإضافة إلى أنه أخذ بعين الاعتبار أيضاً معيار خصائص المجتمعات. وقد وضع (Siegel.Shryoch) خمسة معايير يمكن اعتمادها في تصنيف الريف والحضر وهي: ١- التصنيف الإداري للمنطقة : والذي يرتكز على الحدود ٢- حجم السكان ٣- مناطق الحكومة المحلية ٤- الخصائص الحضارية(الأبنية) ٥- النشاط الاقتصادي [2]. وبهذا نستطيع أن نقول إن المجتمع الحجازي وفق هذه المعايير انقسم إلى بدو وحضر. أهل وبر وأهل مدر.

١-عناصر السكان في الحجاز:

أ- البدو (القبائل) : وهم أهل الوبر ، وقطان الصحارى ، وكانوا يعيشون على ألبان الإبل ولحومها ،ويتنقلون طلباً للكلأ والماء. وكان الجفاف هو الغالب على جزيرة العرب عامة ، فأدى ذلك إلى غلبة البداوة على الاستقرار، مما حال دون قيام مجتمعات كبرى قائمة على الاستقرار، واستثمار الأرض بالزراعة ، فالطبيعة إذاً هي التي غلبت عليهم البداوة عندما حرمتهم الماء، وطغى على مناخهم الحرارة الشديدة ، فاعتمدوا في نمط حياتهم على رعاية الماشية و الإبل باستخدام مصادر مياه قليلة . واعتمدوا أيضاً على إقامة علاقات مع التجار،من خلال تأمين الحماية لهم في المنطقة الخاضعة للقبيلة. ويتمثل مجتمع البدو في قبائلهم ، فالقبيلة بالنسبة لهم هي الحكومة والقومية في الجاهلية ، فكان البدوي ينظر إلى الحرف والمهن نظرة احتقار

١- ابن خلدون:مقدمة، ص٩٦.

2-Shryoch. Siegel:The methodesandmaterialof Demog raphy-byEdurard,p83.

للعاملين بها. والبدوي لا ينسى المعروف ولكنه لا ينسى من يسيء إليه،فكانت لهم عادات وتقاليد هي أشبه بدستور لا يستطيع أحد الخروج عليها ،و إلاتبرؤا منه، وأصبح صعلوكا بعد أن قاموا بخلعه أمام القبائل الأخرى. وقد عمل كثير من البدو على المحافظة على تقاليدهم وأعرافهم، ولكنهم كانوا يقبلون كل تغير فيه مصلحة لهم ولا يؤثر على تقاليد آبائهم[1] ولعل هذه العادات والأعراف والتقاليد القبلية هي التي قد تختلف من قبيلة الى أخرى في بعض التفاصيل والجزئيات أما أصولها واحدة وأيَّ باحث قد لايجد معلومات اجتماعية عن قبيلة مذحج مثلاً والعكس صحيح، لأن العادات واحدة ومتشابهة في أصولها وإن اختلفت بعض تفاصيلها والاختلاف هو أمر طبيعي يجري في المنطقة الواحدة بل ربما في العشيرة والأسرة الواحدة فما بالك في جزيرة مترامية الأطراف.وقد جرت عادة المؤرخين الأوائل حينما دونوا التاريخ الاجتماعي المتمثل في الأنساب وأيام العرب بأنهم كانوا يدونون ماوصل اليهم، ومااحتفظ من موروث ثقافي اجتماعي سواء عبر الشعر أو القصص والروايات التي عرفت بأيام العرب.فالمدون من هذا التاريخ الاجتماعي وإن لم يكن مفصلاً لكل قبيلة وعشيرة إلا أن الباحث يستطيع أن يجعله دراسة كاملة لكل أنحاء الجزيرة العربية ولنأخذ مثالاً على ذلك ، فكتاب (بلوغ الأرب في أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي) يحدثنا عن التجمعات القبلية في الجزيرة وعاداتهم وأعرافهم وتقاليدهم في الأفراح والأتراح وفي جميع نشاطاتهم الاجتماعية ولاتجد فرقاً كبيراً بين ماهو في شمال الجزيرة أو في جنوبها ولابين شرقها وغربها الا في بعض التفاصيل وربما بعض المسميات.. رغم أنه كما قلت لايذكر كل عشائر القبائل .إلا أن التداخل الاجتماعي واضح بشكل كبير لأن الأصول الاجتماعية واحدة، وليست مختلفة المشارب والجذور.

ومن القبائل التي كان لها دور في الحياة العامة في الحجاز في العهد العباسي:

- قبيلة جهينة: التي مارست الزراعة ، كانت تقيم على يمين المدينة ،ولكن هاجرت أعداد كبيرة منها إلى مصر وليبيا [2].

- قبائل هذيل وكنانة وفهم وعدوان: وهذه القبائل حافظت كل منها على قراها حول مكة ، كنانة ومدلج من مضر في الغرب ،وفهم وعدوان من الجنوب، وهذيل(بنو هلال وبنو سعد) في الشمال والشرق بجبل غزوان في الطائف[3]، ولكن هذيل شهدت نزوحاً كبيراً باتجاه الأمصار

١- جواد علي : المرجع السابق ،ج١، ص٢٧٧.
٢- ابن حوقل :المصدر السابق ،ص.٤١
٣- ابن حوقل :المصدر السابق ،ص ٣٩ ،٤١.الهمداني:المصدر السابق، ص٢٨٨.

مما أدى إلى استغراق وقت طويل لتعوض خسارتها البشرية التي لحقت بها جراء ذلك[١]. وهذا يدل على أن نشاط هذه القبائل اقتصر على ممارسة الزراعة، وتوقف أعمالها العدوانية باتجاه المدن ؛ ويعود ذلك إلى تغلغل المفاهيم الإسلامية في حياتها ، وضعف الروابط القبلية الذي كان له دور في إضعاف قوتهم العسكرية . وهذا أسهم في استقرار الأمن في المدن،وفي الطرق المؤدية إليها، وأبقت بذلك على حياة البادية الحجازية قائمة من خلال استمرارها في البقاء بها والتنقل للبحث عن الكلأ والمرعى.

- أما قبيلة غَطفان والتي كانت فرع من بطون قيس بن عِيلان ، فقد نزلوا مما يلي وادي القرى وجبل طيء، ووادي المدينة المنورة وفدك والحرار وماجاورها. ثم تفرقوا أثناء الفتوحات الإسلامية واستولت على مواطنهم قبائل طيء. وطيء من قبائل كهلان وكانت منازلهم باليمن، وخرجوا مع هجرات قبائل اليمن وطغى اسمهم على جبلي (أجا وسلمى) فسمي الجبلين طيء، واستقر قسم منهم في مواطن الفتوحات[٢].

وقبيلة أسد بن خزيمة : هي إحدى القبائل العدنانية ،وتنسب إلى أسد بن خزيمة بن مدركة، وقد كانت تسكن بلاد طيء في العام التاسع عشر للهجرة وقد نزلوا العراق[٣].

ومن القبائل التي هاجرت أعداد كبيرة من أفرادها من مواطنها في الجزيرة العربية إلى الأمصاربحثاً عن مصادر الثروة :

بجيلة: ينتسبون إلى أمهم بجيلة وهم بنو أغار بن أرش من القحطانية ،وكانت مساكنهم في سروات اليمن والحجاز ،وقد شاركوا في فتوحات العراق مع المثنى بن حارثة، واستقر قسم منهم في الكوفة سنة (١٧هـ)[٤] .

قضاعة: وتنسب إلى حمير بن سبأ،وكانت مساكنها اليمن،ثم أنتقلت إلى الحجاز . واشتهر من فروع قضاعة (قبيلة بلي بن عمرو بن قضاعه) والتي هاجرت أعداد كبيرة منها إلى مصر ، وبادية الشام مع قبيلة فزارة وبقي قسم منها في الحجاز[٥].

أشجع: بطن من غطفان، غلب عليهم اسم أبيهم أشجع بن ريث بن غطفان، وهم من أعراب المدينة المنورة، ولم يكن لهم دور يذكر في الحجاز ، هاجرت أعداد كبيرة منهم إلى المغرب الأقصى وبقي قسم منها حول المدينة .

١- ماكس فرايهر، وارش برونيلش ، فرانز كاسكل: البدو، تحقيق ماجد شبر ، ترجمة محمود كبيبو ، ج٢،ص٥٥٧،٥٥٨ . (اختصار مجموعة ماكس) .

٢- السويدي (أبي الفوز محمد آمين البغدادي): سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ، ص ١٢٠ ، ١٢٥ .

٣- الأصطخري :المصدر السابق،ص.٢٥

٤-القلقشندي: المصدر السابق،ج١،ص٣١٩. عمر رضا كحالة: معجم قبائل العرب القديمة والحديثة،ص٦٥.

٥- ابن حوقل :المصدر السابق ،ص ٤٢.القلقشندي:المصدر السابق،ج١،ص ٣١٦.

سليم : من قيس عيلان وأكثرها عدداً ، مواطنهم قرب خيبر ، في الحرة المسمى باسمهم حرة بني سليم على يسار المدينة[١].

وقد استهدف العباسيون إضعاف هذه القبائل جميعها بتشجيعها على الهجرة أو عدم الاعتماد على القوات القبلية ساعين إلى إضعاف عصبيتها ،فقد بينّ ابن خلدون إلى أن الأوطان التي تكثر فيها القبائل والعصبية يقل فيها إستحكام الدولة والحكم ،وتكثر فيها الانتفاض على الدولة ؛وذلك لإختلاف الاراء والأهواء ولأن كل عصبية تظن أنها في منعة وقوة [٢]. فيبدو أن هذه الأسباب وراء استباق العباسيين إضعاف القبائل وسطوتها بشكل عام ،مما أدى إلى عدم لعب قبائل الحجاز دور يذكر في العهد العباسي باستثناء وقوف بعضها إلى جانب ثورة النفس الزكية كقبيلتي مزينة وجهينة وخاصة بطن بنو شجاع الذين اختفى في مناطقهم (محمد بن عبد الله بن الحسن) بعد أن لاحقته عيون الخليفة أبي جعفر،وصبروا أثناء المعركة معه حتى قتلوا جميعاً، ومن القبائل التي ساندت هذه الثورة بني سلمة الذين استعان بهم (النفس الزكية) عند دخوله المدينة تيمناً بالسلامة ؛أما القبائل التي ساندت الخلافة ووقفت إلى جانب قائد أبي جعفر المنصور (عيسى بن موسى) قبيلة بني غفار حيث قاموا بفتح طريق له للدخول إلى المدينة مما أسهم في فشل ثورة النفس الزكية ، والقضاء عليها ،ومن القبائل التي استعان بها العباسيون قبيلة بني زهرة الذين جاء بهم والي المدينة رباح بن عثمان المري للأستعانة بهم في حال خروج (محمد بن عبد الله بن الحسن) [٣]. ولكن يبدو أن بني زهرة قد تخلوا عن رباح بن عثمان بدليل سيطرة (النفس الزكية) بسهولة على المدينة وأسر الوالي العباسي فيها وإطلاقه لسراح المسجونين دون مقاومة تذكر؛فلو أن جموع بني زهرة وقفوا إلى جانب الوالي لتأخر سيطرة الثائرين على المدينة ،فيكون بذلك موقف بني زهرة إما أنهم آثروا الانسحاب والانتظار لما ستؤول إليه الأمورأو أنهم شاركوا في هذه الثورة لصالح الثائرين .وهذا يدلنا على ما وصلت إليه القبائل الحجازية من ضعف بدليل قلة المشاركين في هذه الثورة سواء لصالح الثائرين أو الخلافة .

إلا أن الدور الأكبر الذي كانت القبائل قد لعبته هو خروجها على السلطة المركزية .

فقد قامت كل من قبيلة بني سليم وغطفان وبني هلال بقطع طريق الحجاج،وعاثت فساداً به سنة(٢٣٠هـ)، وهاجموا أسواق الحجاز وأخذوا بيوعها ،ونصبوا رجلاً من سليم ويدعى عزيزة بن قطاب السلمي الخفاجي(خليفة)وهزموا والي المدينة(محمد بن صالح بن علي)، وحازوا

١- الأصطخري:المصدرالسابق،ص٢٥ ،السويدي : المرجع نفسه ،ص٥٣ ، ١٢٣،١٢٤.
٢- ابن خلدون :مقدمة ،ص ١٢٥، ١٢٦.
٣- الطبري :المصدر السابق،ج٧،ص٥٥٤، ٥٥٩ ، ٥٩٠ ، أبن الأثير : المصدر السابق،ج٥، ص٥٢٩-٥٣٢
ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ،ج٣ ،ص ٢٣٦.

السلاح[١].فأرسل إليهم الخليفة العباسي الواثق بن المعتصم (٢٢٧-٢٣٢هـ) قائده بغا الكبير ،الذي كلف أحد قواده ويدعى حماد بن جرير الطبري بالمسير إلى المدينة لحمايتها من هجوم الأعراب ، فانظم إليه أهل المدينة من الأنصار وقريش ومواليهم ،فتوجهوا إلى منطقة الرويثة قرب المدينة حيث تعسكر قوات بني سليم مع الأعراب الموالية لهم بالإضافة إلى وصول إمدادات لبني سليم من البادية تمكنوا بهم من هزيمة حماد وأهل المدينة ،فتوجه بغا بنفسه لمواجهتهم فتمكن من هزمهم وأسر ١٣٠٠ رجلاً من سليم وبني هلال، وسجنهم في سجن المدينة، وعندما حاولوا الهرب قتلوا من قبل أهل المدينة جميعاً، ثم قضى بغا على تمرد بني فزارة ومرة الذين استولوا على فدك [٢]. وكان بغا قد تحالف مع بعض القبائل الحجازية من غطفان والموالين له من أشجع وفزارة وغفار وثعلبة ، وهاجموا بني كلاب وأسروا عدداً كبيراً منهم،وحبسهم في المدينة ،ثم قاد القبائل الحجازية الموالية له ،وجنوده من الترك والمغاربة باتجاه نجد واليمامة فهاجم بهم بني نمير،وبعض بني تميم ممن أظهر التمرد ،فالتقوا بموضع يسمى روضة الأبان ، تمكن بها بنو نمير من هزيمته ونهب الأموال من معسكره ، مما أضطر بغا إلى إرسال أحد أشراف الحجاز ويدعى (محمد بن يوسف الجعفري) الذي ناشدهم الرجوع إلى طاعة الخليفة الواثق لكنهم لم يستجيبوا له وذكروه بصلة الرحم التي تربطهم به التي قطعها بعد أن استعان بالعبيد والعجم عليهم ، فأيقن بغا أن لا أمل يرجى من استسلام بني نمير إلا بالخدعة ،فوجه إليهم نحو مائتي فارس تأتيهم من خلفهم فلما رأى بنو نمير ذلك ولوا هاربين بعد أن قتل منهم نحو ألف وخمسمائة، وأخذ نحو ألفي رجل إلى بغداد[٣]. ويعود السبب وراء مساعدة أهل المدينة في القضاء على الأعراب الفارين؛ هو خشيتهم منهم من جهة ومما سيلحقونه من فساد في المدينة؛ لكثرة أعدادهم، وأيضاً خوفهم من انتقام قائد الخليفة منهم .وهذا يدل على مدى خضوع قبائل الحجاز للسلطة المركزية،وسحاربتها إلى جانبها القبائل الأخرى في نجد والجزيرة خدمة لمصالحها، ولتفرض سطوتها على باقي قبائل الجزيرة العربية ،بعد هزيمة بني سليم.وهناك مجموعة من العوامل التي أدت إلى خروج هذه القبائل على السلطة المركزية بشكل كبيرمنها: تعويضها لخسائرها جراء الهجرات إلى الأمصار بعد مدة طويلة من الفتوح، بالإضافة

١- الطبري :المصدر السابق،ج٩ ،ص ١٣١ ، مجموعة ماكس: البدو ،ج٢،ص ٤٦١ .
٢- الطبري :المصدر السابق،ج٩،ص ١٣٠ ،١٣١ ، البلاذري (أحمد بن يحيى البغدادي ٢٧٩هـ):أنساب الأشراف ،ج ٣، ص ٣٢١ ،ابن خلدون :المصدر نفسه،ج٣، ص٣٣٣.
٣ – الطبري : المصدر السابق ،ج٩ ،ص ١٤٦- ١٤٨ ، ابن كثير: المصدر السابق ،ج١٠ ،ص ٧٥٥.

إلى تسلط العجم من فرس وترك،وتحكمهم بالبلاد والعباد ،وفقدان الأمن، ولرفض العباسيين للقبيلة، وإحداثهم جيش دائم في حروبهم بدلاً من القوات القبلية كما كان عليه أيام الأمويين، بالإضافة إلى كثرة الحملات التأديبية في القرن الثالث الهجري مما أثر على أوضاعهم الاقتصادية،فتأخرت الزراعة وحركة التجارة. ولكن قوة الواثق وحنكة قائده" بغا " جعل الأوضاع تعود إلى الحجاز والجزيرة مستقرة طوال عهده،ولترجع هذه القبائل من جديد إلى الهدوء الذي كانت عليه دون تحريك ساكن بعد أن أصبح الموالي من الترك أصحاب القول والفصل في عهد المعتصم .

ب- الحضر :

وهم أهل المدن ، وسكان القرى ، ويعيشون من الزرع والنخل والماشية، والضرب في الأرض والتجارة ، واقتصرت مراكزهم في الحجاز على بعض المناطق؛ وذلك بسبب طبيعة الحجاز الصحراوية التي لم تساعده على قيام مراكز حضارية كثيرة كاليمن التي غلبت فيه الحضارة على البداوة ؛ لوجود الأراضي الخصبة والمياه الوفيرة، ووجود حكومات قوية منظمة تضرب على أيدي البدو عند مهاجمتها لمراكز المدنية . بينما اقتصر في الحجاز على كل من (الطائف ، مكة ، المدينة)[١]،ولكن هذه الحواضر لم تكن بعيدة عن حركة النزوح باتجاه الأمصار شأنها شأن القبائل .فقد هاجر كثير من الأنصار والمهاجرين ، والثقفيين من الحجاز،واستقر قسم كبير منهم في الأمصار؛فلم يبق في حواضر الحجاز إلا طائفة من الطبقة المتوسطة وكثير جداً من الموالي[٢]. وهذا ما تنبأ به الرسول الكريم (ص) فقد روى سفيان بن أبي زهير حديثاً عن الرسول قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: " تفتح اليمن ،فيأتي قومٌ يبسون ،فيحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ،وتفتح الشام ،فيأتي قومٌ يبسون فيحملون بأهلهم ومن أطاعهم ، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون ، وتفتح العراق ....[٣]. وهذا يعني غلبة الموالي والعبيد على حواضر الحجاز، مما اتبع ذلك تغيرات اجتماعية في نمط الحياة العربية . فإذا رجعنا بالحياة الاجتماعية عند العرب المسلمين إلى القرن الأول الهجري نجد أنها في تغيير ، فالجيل الأول من العرب قد تثقف بثقافة عربية خالصة من خلال رعاية الأب والأم له ،أمّا الجيل الثاني فقد تعقدت به الحياة الاجتماعية من خلال رعاية العبيد للطفل العربي ، ورعاية شؤون المنزل ، بالإضافة إلى تفرغ أهل الحجاز

١- ول ديورنت :المرجع السابق،ج١٣،ص١٨.

٢-القلقشندي:المصدر السابق،ج١،ص٣٢٠. طه حسين : من تاريخ الادب العربي ، ج٢ ، ص٥٢.

٣- أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ):فتح الباري في شرح صحيح بخاري ،حديث ١٨٧٥،ج٤،ص١١٦.

عامة عن الشؤون السياسية والعسكرية والاشتغال مكرهين بالأمور الدينية والعلمية، أو البحث عن ملذات الحياة في حواضر الحجاز ومراكز الإسلام الأولى دون رقيب، بعد إغداق الأمويين الأموال على أبناء الصحابة الأوائل؛ لصرفهم عن التفكير بالأمور السياسية ، وكذلك عمل الخلفاء العباسيون. وهذا اغرى وقوف أهل الحجاز إلى جانب الثورات العلوية التي قامت ضد العباسيين؛ ساعين لإعادة هيبة العرب بعد اعتماد العباسيين كلياً على الموالي ، فساندوا ثورة النفس الزكية ؛ حيث لم يتخلف عن مناصرتها والوقوف إلى جانبها إلا نفر قليل من أهل المدينة وسادتها ،فأحكم (محمد بن عبد الله بن الحسن) سيطرته على المدينة المنورة،وشكل حكومة فيها (قاضي – صاحب شرطة – وديوان)[١]. ولكن فشلها دفع العباسيين الأنتقام من مسانديها والتضييق على أهل المدينة اقتصادياً، من خلال قطع الميرة التي تصل للحجاز من مصر، أوالتعذيب والسجن للمشتركين بهذه الثورة، ومصادرة أموال العلويين غير المشاركين من خلال مصادرة أموال الإمام (جعفر الصادق عليه السلام)[٢].وهذه السياسة أدت إلى قيام العبيد بثورة في المدينة المنورة، فقد قام جند والي الخليفة عبدالله بن الربيع بالتضييق على أرزاقهم ، حيث اجتمعت كلمة العبيد في المدينة على الوالي الذي فر إلى بطن نخلة ،فتدخل عقلاء المدينة لدى الثائرين لحل الأزمة .فتمكنوا بحكمتهم من إنهاء هذه المحنة[٣]. وهذا يدل على أن العبيد والموالي كانت حميتهم لتسلط جنود الوالي عليهم، وعلى أرزاقهم أشد من حمية العرب أصحاب الثروات المنغمسين بالترف، وأكثر حتى من الفقهاء الذين تجنبوا الصدام مع الخلافة؛خشيةً من غضب الخليفة.إلا أنّ خليفة أبي جعفر المنصور محمد المهدي عرف كيف يكسب أهل المدينة إلى جانبه؛ من خلال إنهاء الحصار الاقتصادي الذي كان والده قد فرضه، فقد وزع المهدي الأموال على أهل الحجاز ، وشكل حرساً خاصاً من الأنصار (قوامة ٥٠٠ رجل) ، وأمر باتخاذ المصانع ،وحفر الآبار على طريق مكة،وبناء قصور أوسع من قصور والده المنصور[٤]. وبقيت هذه السياسة حتى عهد الهادي الذي أوقف العطاء للعلويين في المدينة، وعوملوا بسوء من قبل الوالي العباسي الذي تعرض بالإهانة(للحسين بن علي بن الحسن)؛ بحجة أن من كَفلهم (الحسن بن محمد و مسلم بن جندب)الذين اتهموا بشرب الخمر، قد تخلفوا يومين عن الحضور .فأشعل

١- ابن الأثير : المصدر السابق ،ج٥،ص ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٣٣.

٢- الطبري :المصدر السابق،ج٧ ،ص ٦٠٣ ، ابن الأثير:المصدر السابق،ج٥ ،ص٥٤٤، ٥٥١ ، ابن خلدون :المصدر نفسه،ج٣، ص ١٩٢ ،١٩٣ .

٣- البلاذري:أنساب الأشراف ،ج٢ ،ص٤٣٦،٤٣٥.

٤- ابن كثير : المصدر السابق ،ج١٠ ،ص ٥٥٤،٥٥٥، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ،ص ٢٥٦.

الثورة، لكنها لم تكتسب التأييد من أهل المدينة الذين ضعفت شوكتُهم بعد ثورة (النفس الزكية،) فوجد(الحسين بن علي) المناصرة من أهل مكة الذين خرجوا للانضمام إليه في فخ ، لكن هذه الحركة لم يكتب لها النجاح أيضاً[1]. وفي عهد الخليفة العباسي المأمون(١٩٨- ٢١٨هـ)،قام محمد بن إبراهيم بن إسماعيل العلوي(ابن طباطبا) بثورة ضد السيطرة الفارسية على مقاليد الحكم والمتمثلة بـ (الحسن بن سهل وأخيه الفضل بن سهل وزير المأمون)،واعتمد على رجل له شهرة كبيرة هو أبو السرايا السري الشيباني، الذي ولى محمد بن زيد العلوي؛ بعد وفاة محمد بن إبراهيم. فأرسل أبو السرايا حسين الأفطس إلى الحجاز وتم له السيطرة على مكة بعد هرب نائبه داوود بن عيس إلى العراق .وبقيت سيطرة حسين الأفطس على مكة حتى مقتل أبو السرايا على يد قائد المأمون هرثمة ،فانتهت بذلك هذه الثورة التي لم تلق النصرة من أهل مكة أيضاً[2].

من خلال البحث في أحداث العلوية،نصل إلى نتيجة وهي أن الحجاز كان مستقر الثورات العلوية المطالبة بحقها الشرعي في الحكم ،وفشلها كان بسبب خروجها في غير وقتها ؛لأن الخلفاء العباسيين خططوا لذلك،فقد عمد أبي جعفر إلى التضييق على (محمد النفس الزكية) لإخراجه وإعلان ثورته قبل إتمام الاستعدادات،وكذلك دفع(الحسين بن علي) للخروج بعد أن أخذ على العلويين المتواجدين بالمدينة لكل منهم كفيل وإلصاق تهمة شرب الخمر بالحسن بن محمد و مسلم بن جندب (شرب الخمر) من قبل الوالي العباسي المنفذ لسياسة خليفته الذي أراد التعرف على نوايا العلويين في وقت يعلم به بأنهم على غير استعداد ، مما أدى إلى فشل هذه الثورات فكان سبباً في انخفاض عدد سكان الحجاز بعد تفرق أبنائه في الأمصار(بلاد الشام ، مصر ، العراق،المغرب) وافتقد إلى عناصره النشطة الشابة والمؤثرة حتى لم يبق من أهلها إلا القليل ، والذي أدى إلى ضعف الحجاز،وضعف حيلتهم أمام الخلافة،فتجد كثيراً من أهلها تحجم عن المشاركة سواء مع الثورة أو ضدها وكأن الأمر لا يعنيهم ، فاعتمد على الخارج في الدفاع عنه ومده بالأموال،ليتفرغ للنواحي الحضارية ، ويساير الأمصار الأخرى ، فقد كان ملتقى الشيوخ والفقهاء الذين كانوا يأتون من جميع البلدان الإسلامية في مواسم الحج وغيرها يتذاكرون و يتبادلون أنواع المعارف المتصلة بالعلوم الدينية .وبذلك تحقق هدف العباسين؛ من خلال إبعاد

١- (خليفة بن خياط العصفري، ت ٢٤٠هـ): تاريخ خليفة بن خياط،ج٢ ،ص٣٦٤. خالد عزام : موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي ، ص ٩٠ .

٢- المسعودي:مروج الذهب ومعادن الجواهر،ج٣، ص٤٣٩ ،٤٤٠. ابن خياط: المصدر السابق،ج٢ ، ص٣٨٦، ٣٨٧.

الحجاز عن المشاركة في الحياة السياسية، والقضاء على المحاولات التي كانت تهدف للإطاحة بهم ،سواء من قبل أهل الحاضرة أوأهل البادية .

ج- الموالي والرقيق والجواري :

أ- الموالي :

الولاء عند العرب نوعان : النوع الأول : ويطلق على كل عبد معتق ومرتبته كانت بين العبد والحر، وينسب هذا العبد المعتق إلى عاتقه .أوإلى قبيلة معتقه أو إلى بلده ، فيقال "فلان مولى فلان"أو فلان مولى قبيلة، أو فلان مولى أهل مكة أو المدينة[١]. واختلف أنواع الموالي قبل الإسلام، فالعبد المعتق أطلق عليه مولى العتاقة ، والعبد الذي كاتب سيده بالبيع مولى مكاتبة، ومولى الرحم إذا تزوج من موالي قبيلة أخرى كما فعل الشاعر"سيف بن ميمون " مولى خزاعه الذي تزوج من بني هاشم، فأطلق عليه مولى بني هاشم [٢] .

أمّا النوع الثاني : فهو التحاق فرد حر بقوم غير قومه ، فقبلوه فيصبح منهم بمنزلة الحر الصميم، عليه ما عليهم وله مالهم ،فإذا كان الحلف بين رجل ورجل صار الحليف مولى ، وهناك حلف أعم يكون بين القبائل كتحالف قبائل ضعيفة مع قبائل قويه[٣] .

وبعد انتشار الإسلام وفي ظل الفتوحات الإسلامية ، دخل كثير من غير العرب الدين الإسلامي ،فأرادوا أن تكون لهم مكانة ومركزاجتماعي ، فحالف هؤلاء القبائل العربية . لقاء منافع متبادلة مثل إسهام الموالي في دفع الديات والمشاركة في القتال ، مقابل الحصول على الرعاية والمكانة الاجتماعية .

ومنهم من التحق بالأشراف العرب في المدن الذين رحبوا بهم، وأحاطوا أنفسهم بعدد كبير منهم ،لرفع مكانتهم الاجتماعية.وبذلك أرجع أصل الموالي إلى عدة معاني وهي: ١ ـ السيادة والسلطان. ٢ـ القرابة والعصبية والقرب والمتابعة والتوالي ٣ ـ النصرة والتأييد والمعونة(الجار الحليف). ٤ـ الاسترقاق (المالك ـ العبد المملوك المنعم عليه). ويعود سبب إطلاق لفظة الموالي عليهم من قوله تعالى: (فإن لم تعلموا آباءهم فأخوانكم في الدين ومواليكم)[٤] . وبذلك سموا الموالي وقول الرسول (ص) "مولى القوم منهم " [٥] .وقد ازداد عدد هؤلاء الموالي كثيراً

١- عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص٤٠.
٢- جرجي زيدان : التمدن الإسلامي ،ج٣ ، ص ٢٩ ، ٣١.
٣- فكتور سحاب:إيلاف قريش(رحلة الشتاء والصيف)،ص٢١٩.
٤ ـ القرآن الكريم : سورة النساء ، ٣ / ١٣٣ .
٥- ابن خلدون :مقدمة ،ص١٠٦.

في العهد الأموي،وكان الأمويون يميزون بينهم وبين العرب، فيعدونهم بمنزلة أدنى من منزلة العرب عامة. فعاملوا الخراسانيين على أنهم عبيد [١]. ولم يدخلوهم في ديوان الجند حتى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز(٩٩ ـ ١٠١ هـ) الذي منحهم جميع حقوقهم التي كانوا قد حرموا منها [٢]. إلا أن هذه النظرة الأموية لم تكن عامة ، فقد نظر الأمويون بإجلال واحترام الى الفقهاء من الموالي وفي جميع الأمصار ، وكان لهم دور كبير في الحياة الدينية في العهد الأموي، وبرز عدد كبير منهم مثل نافع مولى ابن عمر، ورجاء بن حيوه الذي كان له دور كبير في عهد سليمان بن عبد الملك (٩٧ ـ ٩٩ هـ) .

لذلك توجه كثير من الموالي إلى الاشتغال بالدراسات الجادة والعلمية. فتوجهوا إلى الأمصار والحجاز؛ لعدم وجود سلطة سياسية متفوقة بل مجرد إدارة وولاة في كل من مكة والمدينة ، والارستقراطية العربية المترفة تعتمد كثيرا هناك على الموالي فمنهم المغنون ، ومنهم العاملون بالزراعة والصناعة والتجارة لدى أصحابهم . ففي هذه البيئة الحجازية كان الموالي هم السادة لشدة حاجة الأشراف في الحجاز عليهم في تدبير ملذاتهم وحياتهم ، والقسم الأكبر منهم توجه إلى دراسة العلوم الدينية [٣].

ومع ظهور الدعوة العباسية، وانضمام الموالي إليها، والمشاركة الكبيرة من جانبهم بها زاد الشعور بضرورة مشاركتهم بالإدارة ، ومساواتهم في العطاء على الجبهتين الشرقية والغربية ، وخاصة أن هذه الدعوة قامت على أكتافهم، فكان معظم النقباء الاثناعشر منهم (كعمرو بن أعين الخزاعي ،وعيسى بن أعين الخزاعي والشبل بن طهمان الحنفي ، وعمران بن إسماعيل المعطي مولى ابن أبي معيط) . ثم انضم (بكير بن ماهان سنة ١٠٥ هـ) ، وأبو سلمة حفص بن سلمة الخلال ، وعبد الرحمن بن مسلم [٤].

لذلك تسلم عدد كبير منهم المناصب الإدارية والعسكرية ، واستعان بهم الخلفاء العباسيون كثيرا ، وخاصة المهدي الذي اعتمد على مواليه في تسيير أموره ودولته، وقلد من سبقه من الخلفاء في تعيينهم بمنصب الوزراء الذين يقومون مقام الخليفة من النواحي العسكرية والسياسية والإدارية والمالية، مما أثار حفيظة أهل بيته ومنهم عبد الصمد بن علي ؛ الذي حذره من ميل

---

١ ـ محمد الحضري بك : الدولة العباسية، ص ١٩ .
٢ ـ عبد العزيز الدوري : مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي ، ص ٤٠ .
٣ـ طه حسين : المرجع السابق،ج٢،ص٦٩.
٤ـ محمد أسعد طلس : تاريخ العرب، ج٥، مجلد ٢ ، ص ١٩-٢١ .

قلوب الجنود والقواد عنه لإفراطه بحب مواليه إلا أنه لم يستجب له [1].وهذه السياسة من قبل الخلفاء العباسيين من خلال تقريبهم لمواليهم أسهمت في رفع مكانتهم الاجتماعية ، وظهر لديهم تحرر وتنوع في الأعمال . وبرز تأثيرعدد كبير منهم في الحياة الاجتماعية والعلمية والأدبية في الحجاز فقد كان منهم أكثر الرواة المشتغلين بالحديث والعلم،وكتاب السيرة كمحمد بن إسحق (ت ١٥٠ هـ) ، والذي ألف كتاباً في المغازي والسيرة ، وموسى بن عقبة (ت ١٤١ هـ)، من موالي ابن الزبير والذي كان له بصمة كبيرة في التأليف .

وهناك من المشتغلين بالعلوم الدينية كعبد العزيز بن جريج الرومي(ت ١٥٠ هـ)، وعبد الرحمن بن أبي الموالي المدني ، مولى آل (علي بن أبي طالب) وروى عن الإمام جعفر الصادق [2].

وقد وصل تأثير الموالي إلى الأدب العربي حيث لم يعد هناك أدباً عربياً بالمعنى الصحيح، فقد اختلط بآداب الفرس والرومان واليونان ، فأنتج أدباً ممزوجاً . فقد كان الشاعر العربي يصور حياة العرب الاجتماعية وطريقة الصيد ووصف حروبهم . وخاصةً في العهد العباسي والذي شهد زيادة نفوذ الموالي، فبدأ الشعراء يتغنون بالحب والخمر، فأدى ذلك إلى تزاوج الأفكار وليس الأجناس فقط [3]؛ لذلك أطلق على دولة بني العباس بأنها عربية شكلا ،أعجمية حقيقة .

وأسهم بذلك هؤلاء الموالي في نشر حياة اللهو والمجون في الحجاز فظهرت مدارس متخصصة بالغناء اعتمد عليها ذوي النفوذ لتسليتهم، وأسرفوا في هذه الحياة في العهد العباسي؛ نتيجة الحرية التي نالوها.ومارس الموالي التجارة والحرف بشكل أكبر من خلال اعتماد أصحاب الطبقة الأرستقراطية المترفة عليهم؛ لوجود الخبرة لديهم ومن الأعمال التي مارسها الموالي أيضاً الصيرفة والصياغة والزراعة.

وبعد انتقال مركز الحكم والمال والثروة إلى العراق، نقل الموالي المجالات التي أبدعوا بها من علوم دينية وحياة أدبية وحياة لهو ومجون من الحجاز إلى العراق ؛لأنه أصبح أكثر البلاد الإسلامية خليطا وثروة .

١- الطبري : المصدر السابق،ج٨،ص ١٧٥.

٢- ابن العماد (شهاب الدين ابي الفلاح،ت١٠٨٩هـ) : شذرات من ذهب في أخبار من ذهب ، ج٢ ، ص ٣٣٥ .

٣ - أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج ٢ ، ص ٢٥ .

ب- الرقيق والجواري :

كان الرق شائعاً في معظم المجتمعات ولم تتخلف عنه أمة من الأمم ، سواء كانت مجتمعاتها كبيرة أو صغيرة ،فاعتمدته الأمة الإسلامية على غرار الشعوب الأخرى في مطلع العصور الوسطى .

وكان العرب قد عرفوا الرق قبل ظهور الإسلام فقد كان مصدر الرقيق العربي أسواق فارس وروما المتعاديتين فالعرب اشتروا أسرى الطرفين ، بالإضافة إلى شراء العبيد السود من الحبشة ، واعتبر كثير من العرب أبناءهم من إمائهم عبيداً أيضاً[١].

وبعد ظهور الإسلام أصبح هناك مصدر ثالث للعبيد وهو الأسر. حيث بدأ المسلمون بفتوحاتهم في صدر الإسلام إذ اعتبر المسلمون كل أسير هو عبد،وكل مدينة دخلوها عنوة ملكاً للفاتحين بما فيها من الناس والبساتين.وقد يزيد عدد العبيد في حرب من الحروب على عشرات الألوف، فيقتسمون على السهم، فقد يصيب الفارس العربي مائة أسير في معركة واحدة ، وبتوالي الأيام قد يصبح عنده ألف عبد .ونتيجة عجزه عن القيام بمعاشهم فقد كان يبيعهم لأن الرقيق عدّ مالاً . وتجري عليه جميع العقود المالية من بيع وشراء ، فلذلك لم يكن العبيد مقتصرين على المحاربين بل كان في متناول الجميع . والمصدر الآخر للرقيق في الإسلام هو أن الولاة كانوا يرسلون خراج ولاياتهم من الرقيق بدلاً من الأموال[٢] . وهذه المصادر المتنوعة جعلت العبيد يفوقون عدد السكان الأصليين في بعض المناطق، وخاصة أن بعض السادة كان يملك ألف عبد أو أكثر ، فيتقوى بهم ويعزز مكانته الاجتماعية بالإضافة إلى تسخيرهم بممارسة أعمال اقتصادية له .

ومنح الإسلام العبيد كثيراً من الحقوق وأوصى بمعاملتهم بشكل حسن ، على عكس القانون الروماني الذي أعطى للمالك الحق في قتل عبده أو استحيائه، وجعل له الحرية المطلقة في طريقة التعامل معه[٣].

فمن وصايا الرسول (ص) حسن معاملة العبيد والإحسان إليهم ما روي عنه من أحاديث.فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(أوصيكم بالصلاة، واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم)[٤].

---

١ - توفيق برو : المرجع السابق، ص ٢٥٨ .
٢ - جرجي زيدان ، المرجع السابق، ج٣،ص ٥٦.
٣- عمر أبو النصر : تاريخ الحضارة العربيةالأسلامية، ص ١٧٤ .
٤- الأبشيهي (شهاب الدين أحمد،ت٨٥٠هـ): المستطرف في كل فن مستظرف: ج٢ ، ص ١٠١- ١٠٢.

ومن هنا نظم الشرع الإسلامي طريقة التعامل مع العبيد، فبين حقوقهم وواجباتهم تجاه أسيادهم واتجاه الدين الإسلامي ، فمن الحقوق التي منحها الإسلام للعبيد:- اعتبار العبد وكأنه أحد أعضاء العائلة، مما يجعله ينسى ما يربطه بمسقط رأسه وإذا أعتق العبد أصبح مولى لسيده ويصبح فرداً من أفراد المجتمع الإسلامي.وكان العتق أمر مرغوب به في الإسلام ، فيكفر المسلم عن خطاياه بالعتاقة.

- تعويض عن نقص حقوقه بنقصان مسؤولياته عن الأخطاء التي يرتكبها (فخطأ العبد يحاسب عليه نصف محاسبة الرجل الحر).

- تعذيب العبد يؤدي إلى حريته . فعن أبي عبد الله عليه السلام : (كل عبد مثل به فهو حر) [1] .

- يحق للعبد التصرف بمبلغ من المال تحت إشراف سيده صاحب المال ، وإدارة المشاريع ، ويحق له الزواج ، ويكون أولاده عبيد مثله ولكن لا يباعون دون السابعة منفصلين عن أمهم ،أو بيعهم مع أمهم ؛فقد سئل (مالك بن أنس) أنه في حال توفي رجل وله ولدان يرثانه ،ولديه أمة وأولادها صغار وأراد الوريثان بيعهم؟ فقال: يجبر الوريثان على الجمع بين الأمة وأولادها في البيع [2] .

- كان عبيد الأمراء يفوضون بأعمال أمرائهم ومنزلة بعضهم أعلى حتى من منزلة الحر.

- للعبد الحق في شراء حريته إذا كان قادراً عن طريق المكاتبة ، فينظم هذا العبد أيضاً إلى موالي سيده [3]. وخلط غوستاف لوبون بين الرقيق والموالي، فذكر أن العبيد في المجتمع الإسلامي يستطيعون الزواج ببنات ساداتهم، أو الوصول إلى أعلى المراتب[4]. ولكن هذه الحقوق كانت للموالي لا للعبيد إلا نادراً ما تحصل بالنسبة للزواج. أما تسلمهم أعلى المناصب فهو من باب تفويض السيد أو الأمير لعبده ببعض الأمور لا أكثر.

ومن واجبات العبد تجاه سيده :

- الطاعة لسيده . فعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) : (أول من يدخل الجنة شهيد وعبد أحسن عبادة ربهِ ورضخ لسيده)[5].أما بالنسبة للجواري : فهناك

١- الكليني :(محمد بن يعقوب بن إسحاق، ت الربع الأول من القرن الرابع الهجري)، ج٦ ، ص ١٨٩ .
٢ - مالك بن أنس :المدونة الكبرى ،رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن عبد الرحمن العتقي،مجلد٤ ،ص٢٧٩، ٢٨٠.كلود كاهن : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ١١٢ .
٣ - كلود كاهن: المرجع نفسه، ص ١١٢، ١١٣ .
٤ - غوستاف لوبون : حضارة العرب ، ص ٣٧٦ .
٥- الأبشيهي: المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

رقيق النساء وأعدادهن أكثر من رقيق الرجال، وقد ذخرت بهن الدور والقصور ، وذلك لأن الإسلام أحلّ للشخص أن يتملك من الإماء والجواري ما شاء ،وقيد حريته إزاء الحرائر، فحّرم عليه أن يتزوج منهن أكثر من أربع، وأطلق حريته إزاء الجواري. واشترك المسلمون والنصارى واليهود في اقتناء الرقيق، وسمح لليهود والنصارى باغتناء العبيد والتسري؛ لأنهم لا يتزاوجون بأكثر من امرأة واحدة،والكتاب المقدس ذكر هذا النظام صراحة كما فى إنجيل متى١٨ :٢٥ ((واذ لم يكن له ما يوفي أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفي الدين))[١].وكان يحق للمالك المسلم أن يستمتع بالأمة ، وإذا ولدت فالولد ابنه وتسمى الأم أم وَلد ، وتبقى مُلكا له بعد ولادتها.ولا يجوز بيعها، وإذا مات عنها فهي حرة . ومنزلة أم الولد أدنى من مرتبة الزوجة الحرة، ولكن علاقتها مع سيدها شرعية. وفي ظل الازدهار الذي شهدته المدن الإسلامية كثرت رغبة المسلمين في التسري، حتى أنه أصبح من الخلفاء من هم أبناء جَواري. وكانت قريش لا ترغب في أمهات الأولاد حتى ولدن ثلاثة هم خير أهل زمانهم ، (علي بن الحسين ، والقاسم بن محمد بن أبي بكر ،وسالم بن عبد الله بن عمر)، حيث جيء ببنات كسرى الفرس(يزدجرد بن شهريار) سبايا فاشتراهن(الإمام علي بن أبي طالب) وقسمهن بين ابنه (الحسين ومحمد بن أبي بكر وعبد الله بن عمر)[٢]. وقد كان الرجال المسلمون يؤثرون زوجاتهم على إمائهم في العهد الإسلامي الأول ،أما في العهد العباسي ، فقد تغيرت الحال فكثرت الإماء كثرة فاحشة،وتفوقن تفوقاً كبيراً في الأدب والشعر والغناء ، فأسرف الرجال في اتخاذهن مما أدى إلى فساد عظيم . فكثر نسل هؤلاء الجواري وفاق نسل العربيات الخالصات؛ لرغبة الرجال بالاختلاط بغير العربيات. فظهرت مسميات والقاب مختلفة للمواليد نتيجة هذا الاختلاط ومن هذه التسميات:

١- المذرع: من كانت أمه سيدة وأبوه بمنزلة أدنى [٣].

٢- الهجين: وهو من كان أبوه سيداً وأمه تكون أمة[٤]. وقد تسلم من أبنائهن مناصب الخلافة (كأبي جعفر المنصور - والمأمون والمعتصم).وتنوعت أجناس وصفات وطباع هؤلاء الأرقاء باختلاف مناطق ولادتهم ومقدمهم ، فالأمة الرومية كانت بيضاء البشرة في حمرة وهي مخلصة وثقة، والعبد الرومي يجيد تدبير المنزل ويحب النظام ويجيد الفنون الجميلة. والأرمن

١- إنجيل متى :الأصحاح١٨،السفر ٢٥.

٢- الأبشيهي : المصدر السابق، ج٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢.

٣- المبرد(محمد بن يزيد المبرد ت٢٨٥هـ): الكامل،ج٢،ص٦٥١ .

٤- المبرد:المصدر نفسه،ج٢،ص٦٥٠.

هم شر الجنس الأبيض ، واشتهروا بالسرقة ، والخشونة في التعامل، والهنديات عرفن بالوداعة والهدوء ، والرجال الهنود بحسن تدبير المنزل والمهارة في الصناعة اليدوية [١] .والأمة البربرية المغربية لا يعلى عليها في حسن الإنتاج ، وهي تؤخذ من بلادها وهي في سن التاسعة من عمرها إلى المدينة المنورة حيث تبق فيها ثلاث سنوات ومثلها في مكة ، ثم تتوجه إلى العراق في السادسة عشرة من عمرها ، فتباع في سن الخامسة والعشرين ، فتجمع جودة الأصل ودلال المدنيات ورقة المكيات.واشتهرت التركيات بجمالهنّ.

ويتميز الرجال الأتراك بالمقدرة العسكرية والقوة الجسمانية[٢].وهناك الرقيق الأسود الذي كان أدنى منزلة من الرقيق الأبيض وشبه بطائر الغراب [٣].

وكان لهؤلاء الأرقاء من رقيق وجواري تأثير كبير في مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الحجاز . فمن الناحية الاقتصادية فقد اشتغل الكثير من العبيد بإدارة أعمال ومشاريع أسيادهم . بالإضافة إلى الحرف التي يحتقرها العرب، ورعاية الإبل وبعض المهن التي تتطلب مهارة وحرفة .

أما تأثيرهم من الناحية الاجتماعية، فظهر من خلال ظهور طبقة اجتماعية جديدة هي طبقة المولدين الذين كانوا من آباء عرب وأمهات أعجميات،في ظل زيادة عدد الجواري وتفضيل العرب لهن على العربيات من الحرائر ، فدخل البيت العربي عناصر مختلفة الدم والعرق. وأنتج هذا الاختلاط والتسري إلى ظهور طبقة من المغنين والمغنيات وانتشار المجون واللهو في مجتمع الحجاز .

وأشرف هؤلاء الأرقاء على تدبير المنزل العربي وتربية أولاده فعملت النساء الزنجيات على إرضاعهم [٤] . وعمل تجار الرقيق على تعليم الجواري الموسيقى والغناء وكيفية إغواء الرجال؛ ليبيعونهن بأسعار وأثمان عالية .وتمكنت كثير من الجواري من أن يصبحن أمهات أولاد .

١- أحمد أمين : فجر الإسلام ، ج٢ ، ص ٨٢ .

٢ ـ أحمد أمين : فجر الإسلام ،ج٢ ، ص ٨٦ . كلود كاهن : المرجع السابق، ص ١١٣ .

٣ ـ توفيق برو : المرجع السابق ،ص ٢٥٨.

٤- أحمد أمين : فجر الإسلام، ج٢ ، ص ٨٥ . كلود كاهن : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

٢- العلاقات السكانية داخل مجتمع الحجاز :

١-علاقة الحضر مع أهل البادية :

للأعراب رأي في الحضر يشبه رأي الحضر فيهم أي رأي فيه ازدراء وحط من شأن الطرفين ، فرأي المجتمع البدوي نابع من مجتمعهم الذي يعيشون فيه،ومن قيمهم في هذه الحياة . وهذا الرأي تكون من البيئة التي عاشوا بها ومن ثقافاتهم الخاصة بهم وهناك اختلاف واضح بين الحياة الحضرية والحياة البدوية.وقد ذكر ابن خلدون إن البدو أقدم من الحضر ومتقدمون عليهم ، وإن الحواضر كانت بالأساس بادية .فالبدو هم المقتصرون على الضروري والحضر هم المعتنون بالكماليات[١]. وهذا ربما ينطبق على مجتمعات في مناطق كثيرة، أما بالنسبة للحجاز فالأمر مختلف؛لأنه لم يكن هناك تمايز واضح بين الحضر والبدو قبل الإسلام وذلك أن أهل المراكز الحضرية في الحجاز كانوا أشباه بدو- كما ذكرنا -بالإضافة إلى أن تجار مكة كانوا أشبه بالبدو في حياتهم ، فلم يتخذوا القصور أو مظاهر الترف المفسد الذي كان شائعاً في عواصم الدولتين الكبيرتين روما وفارس. وقد أفضى تطور القوة المنتجة إلى توسيع للعلاقات التجارية حيث بدأت مكة ترتبط مع أعراب البادية ، وبذلك أسهمت في تفكيك الروابط القبلية ، وظهور المُلكية الخَاصة أي تطور الاقتصاد الحضري أدى إلى تفكيك المُلكية الجَماعية البدوية. حيث كان زعماء القبائل يمارسون سلطتهم من الواحات وتجمعهم روابط بالتجار الذين ينظمون التجارة عبر المنطقة التي تسيطر عليها القبيلة -كما أشرنا في فصل التجارة- وهذا ما فترتبط بذلك البادية بالحاضرة؛ لأن الحاضرة لا تستطيع أن تعيش بمفردها بدون ريف يمدها بالمؤن ،أو تكون علاقاته غير جيدة معه، فتكون المدينة كالمحاصرة . وقد نجح الرسول في مسعاه فبدأت المدينة تنافس مكة في الاستقطاب الحضري ، وأصبحت الهجرة إلى المدينة المنورة هجرة إلى التحضر المقرون بالجماعة [٢]؛ لأن الإسلام شجع الحياة المدنية ودعا إلى سعى الرسول(ص) إلى تفكيكه من خلال تهديد الإيلاف الذي يجمع بين قريش والقبائل فتتأثر بذلك مصالحهم،

١-ابن خلدون :مقدمة ،ص ٩٧.

٢-أحمد إبراهيم الشريف:المرجع السابق،ص٨٨.

فتلجأ إلى مركز القوة وهي المدينة المنورة ، ضماناً لسلامة تجارته[١] .

الاستقرار بدل حياة التنقل والبداوة. واعتبرت العقيدة الرابطة الأساسية في الأمة .وفي العام التاسع للهجرة بدأت وفود القبائل تتسابق معلنة دخولها في الدين الجديد والخضوع للسلطة المركزية. فتم بذلك توحيد شبه الجزيرة العربية، وخضوع هذه القبائل للمراكز الحضرية ، وتغير نظرته إلى أهل المدن . إلا أنّه ما إن انتقل الرسول (ص) إلى الرفيق الأعلى حتى أعلن قسم منها خروجه على السلطة والعودة إلى ما كانوا عليه، مما استتبع قيام إجراءات صارمة من قبل الخليفة الأول للقضاء على هذا التمرد في مَهده ،وإشغال القبائل بالفتوحات،فاستقر قسم كبير منها في مناطق الفتوح[٢]. ففرغ بذلك الحجاز من القوة القبلية المؤثرة ، وأصبحت القوة للمراكز الحضرية ،و بينما اختفى أي دور سياسي وعسكري للقبائل واقتصر دور القبائل المتبقية على التعاون الاقتصادي بينها وبين المراكز الحضرية ، فتقدم للمراكز الحضرية ما تحتاج إليه من مؤن تنتجه مواشيهم وإبلهم، ويشترون مايحتاجون إليه من سلع، وخاصة في المواسم المشهورة لمكة في مواسم الحج؛ لأنّ هذه القبائل حتى قبل ظهور الإسلام لم تكن تستطيع أن تعيش بدون مركز مدني شأ نها بذلك شأن المدينة التي لا تستطيع أيضاً أن تعيش بدون ريف؛فكلاهما بحاجة للأخر فمشتريات القبائل كانت من المنسوجات والأسلحة وحتى الكماليات .وأحتياجات المدن الحجازية من البادية هي الأدم والتمر واللحم والفواكه ؛فقد كانت قبيلة بجيلة تمدّ مكة بهذه السواد وخاصة عند إزدحامها في موسم الحج ،فتسهم بذلك في رخص أسعار هذه المنتجات فيها[٣] .وهذا التعاون صفة لازمة في طبائع البشر ،فقد فُطروا عليه لاستمرار تطورهم ، ولتأمين قوام الحياة فحسن العيش يأتي من التعاون واتفاق الناس بعضهم من بعض.

وهذه القبائل بدأت تستعيد قوتها، وتأثيرها بعد مرور مدة طويلة فقدعوضت خسائرها البشرية من الهجرة والاستقرار في الأمصار . فبدأت بنشاطاتها وخاصة العسكرية من خلال وقوف بعضها إلى جانب الثورات الحجازية ضد الخلافة العباسية ، ووقوف قسم منها إلى جانب الخلافة كما حدث في وقوف قسم كبير من أعراب البادية إلى جانب(ثورة النفس الزكية) ضد

---

١ - إبراهيم بيضون : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .
٢ - البلاذري: فتوح البلدان،ج١،ص٧٧.
٣ - ابن بطوطة(محمد بن إبراهيم اللواتي،ت٧٧٩هـ):رحلة ابن بطوطة،ص ١٦٤.

الخليفة العباسي(أبو جعفر المنصور)[١]، ووقوف قبيلة غفار إلى جانب قائد الخليفة عيسى بن موسى ، وتحالفه معه للقضاء على هذه الثورة [٢].

إلا أنه ومنذ القرن الثالث الهجري بدأت الأمور تتغير حيث ونتيجة للتسلط الأعجمي وكثرة الحملات التأديبية التي قامت ضد بادية الحجاز؛ ظهرت حركة كبيرة ضد هذا التسلط ، مما استدعى توجيه حملة من قبل الواثق ، تعاون فيها أهل المدينة معها ضد البدو، وهجماتهم -كما أشرنا في موضوع القبائل في نفس هذا الفصل-.

٢ ـ علاقة العرب مع الموالي : تباينت نظرة العرب إلى الموالي بين نظرة أهل البادية ونظرة أهل الحاضرة لهم ،وحتى أن النظرة اختلفت بين أصناف الموالي فحين عد أهل البادية موالي العتاقة بمرتبة بين الحر والعبد، وعدّ الموالي الأحرار الذين التحقوا بهم كأنداد ، لهم ما لهم، وعليهم ماعليهم [٣].وقد أكثر الأشراف العرب -كما أشرنا سابقاً- من إحاطة أنفسهم بعدد كبير من الموالي الداخلين في الإسلام لرفع مكانتهم الاجتماعية وليكونوا عوناً لهم ضد خصومهم ، واعتمدوا عليهم في تسيير كثير من شؤونهم التجارية والزراعية وممارسة المهن والحرف.وحصل الاندماج بين العرب والموالي المسلمين من غير العرب منذ الأيام الأولى للفتوح، وتعرب الموالي عن طريق نظام الولاء بعد ضمهم إلى القبائل العربية[٤].وتمتع الموالي المشتغلين بالدراسات العلمية والدينية بمكانة كبيرة،فكانوا يتشرفون بعلومهم،وكثير من سادة التابعين من كان مولى وقد أشرنا إلى عدد كبير منهم في فصل العلوم الدينية فقد كان يأخذ منهم الناس كما يأخذون من الفقهاء العرب، وكانت لهم حلقات تدريس يتجمع فيها عدد كبير من الراغبين بالتحصيل العلمي.

أمّا بالنسبة لموقف القبائل منهم فربما كانت نابعة من موقف السلطة الأموية لهم التي نظرت إلى البلاد المفتوحة على أنها سواد لهم، ونظروا إلى سكانها نظرة السيد للمسود[٥].

هذه النظرة من قبل السلطة الأموية لم تكن عامة بل فقط إلى الذين لم يلتزموا تماماً بتعاليم

١ـ المسعودي :التنبيه والأشراف ، ص ٢٩٥ .

٢ـ ابن خلدون :تاريخ ابن خلدون ،ج٣،ص٢٣٦.

٣ ـ عبد العزيز الدوري : مقدمة في تاريخ الاقتصاد العربي ، ص ٤٠ ، فكتور سحاب: المرجع السابق، ص ٣١٩ .

٤ـ ول ديورنت :المصدر السابق،ج١٣،ص١١٢.

٥ـ الطبري:المصدر السابق ،ج٥ ،ص٩٣.

الإسلام وسنة الرسول منهم. فقد قال رسول الله(ص) : (لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) وكان الإمام علي لا يفضل عربياً على أعجمياً، ولا يصانع رؤساء وسادة القبائل . وهذا سبب انضمام أعداد كبيرة من الموالي إليه، وخاصة في حروبه ضد الخارجين عليه أمثال (معاوية بن أبي سفيان). مما أدى إلى اضطهاد الأمويين للموالي .
فقد سعى معاوية إلى قتل الموالي بحجة خشيته من زيادة سلطتهم، ولكن نصح بعض العقلاء من بطانته قد جنبه هذه الجريمة[1].

أمّا بالنسبة لموقف الموالي من العرب فقد كانت واحدة ، فلم يقفوا من الإسلام والعروبة موقفاً معادياً ، بالرغم من تباين نظرة العرب إليهم فقد رأوا أن ما ينهضون به من عبء خطير في المجتمع والدولة العربية الإسلامية جدير أن يؤهلهم لقطف الثمرات والانتفاع بها على قدم المساواة مع العرب. فقد ظلوا مسالمين تجاه العرب وسعوا فقط الى تطبيق مبادئ الإسلام التي أنزلت على العرب. أما بالنسبة لموقفهم من السلطة، الأموية فقد أشرنا إلى تركهم مراكز السلطة،والإقامة في الأمصار بعيداً عنهم،وتقربوا من الأشراف في الأمصار من خلال الاشتغال بالعلوم العلمية والعلوم الدينية الجادة من جهة،والإشراف على الملذات،وتدبير شؤون الحياة للأشراف .

وعند قيام الثورة العباسية،سخروا كل طاقاتهم لإنجاحها للتخلص من نير الحكم الأموي. وبعد نجاحهم تغيرت المواقف كلياً تجاه السوالي الذين أصبحت لهم مكانة كبيرة لدى الخلفاء، فمنهم أصبح كثير من الولاة والأمراء ، وهم الوزراء ، وهذا لابَد أن يغير حتى نظرة القبائل المعادية لهم ، والتي كانت تأنف التزويج إليهم[2].ولكن الموازين تغيرت وسعى العرب إلى التزاوج والتزويج الى الموالي أصحاب الشرف والعلم و السلطة . فبدأ العرب بإحياء الأعياد الفارسية من (عيد النيروز ، ولبس القلنسوة)٠ ولم يكن أهل المدن يمنعون الزواج بين العرب والموالي، بل اعتبروهم متساوين . فعندالإمام مالك وهوممثل مدرسة الحجاز ، العربي يتزوج الأعجمية والعكس من غير أن يكون للولي الاعتراض [3].

١- أبن عبد ربه(أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، ت٣٢٨هـ): العقد الفريد ،ج ٢،ص ٢٦٠ ، محمود مقداد : الموالي ونظام الولاء ، ص ١٩٣ .
٢- أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج٢ ، ص ٣٢ - ٣٣.
٣- أحمد أمين : المرجع نفسه ، ج٢ ، ص ٧٤.

الفصل الثاني:

أ- التحولات الاقتصادية في الحجاز في العهد العباسي:

لعبت البيئة الطبيعية والموقع الجغرافي دور في تحديد طرق عيش ونشاط كل مجتمع ، ففي المناطق التي توفرت فيها المياه والتربة الصالحة للزراعة ظهر نشاط زراعي ،أمّا المناطق الواقعة بالقرب من البحار والأنهار فكانت طريق عبور للقوافل المتجهة من الشمال إلى الجنوب وبالعكس وهذا الأمر انطبق على مدن الحجاز(مكة والمدينة والطائف) والتي أزدهرت نتيجة إعتمادها على التجارة. أمّا في المناطق الجافة فقد حددت طبيعة الحجاز الصحراوية نمط العيش لدى عدد كبير من السكان لسيطرة الجفاف على منطقة كبيرة منه. فكان الأساس في حياة سكانها التنقل طلباً للكلأوالماء،والاعتماد على الغزو والسلب،وتضامنوا على أساس رابطة الدم،وعملت كثيرمن القبائل على استخراج المعادن التي تتوافر بشكل كبيرفي الحجاز كالذهب والفضة ، وقليل من النحاس والحديد، ومن معادن الحجاز معدن بحران بين مكة والمدينة ، ومعدن القبلية ، وكانت ثروة أبو بكر من هذا المعدن ، ومن معدن في جهينة ، وأعظم معدن جبل فران أو فاران الذي كان لقبيلة بني سليم وفيه ذهب وحديد[١] ، وبين ينبع ومروة (قرى المدينة المنورة) معدن ذهب [٢]. بالإضافة الى اعتمادهم على مرور القوافل التجارية من مناطقهم لعرض حمايتهم عليها أو العمل كدليل لها [٣].

ومن التنظيمات الاقتصادية في الحجاز:

١- التجارة: وهي كما عرّفها ابن خلدون :" اشتراء الرخيص وبيع الغالي "[٤].

والتجارة الحجازية تنقسم إلى قسمين:

أ - التجارة الداخلية والأسواق:

إن التأثر الذي تعرضت له التجارة الخارجية للحجاز من نقل خطوط التجارة إلى العراق ، لم يكن له ذلك التأثير على التجارة الداخلية بالرغم من ظهور مراكز تجارية جديدة؛ لأن التجارة الداخلية قامت في الحجاز بفضل الأحلاف والأشهر الحرم ،وهذه الأحلاف زادت ،وأصبحت

---

١ - الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب ،ت٨١٧هـ): المغانم المطابة في معالم طابة ، ج٣،ص١٠٩٦.

٢- المقدسي (محمد بن أحمد المقدسي):أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ص ١١٥.

٣- H. Lammens , le Berecauadei Islam , t , I , Rome 1914 , P . 18.

٤- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، ص٢٩٤ .

خاضعة لسلطة مركزية مركزها بغداد [1]. وكذلك بقيت الأشهر الحرم،و زاد عدد المسلمين؛ نتيجة انتشار الإسلام، مما أدى إلى زيادة عدد القادمين لزيارة الأماكن المقدسة سواء في مكة أو في المدينة .

ومن اسباب ازدهار التجارة الحجازية :

١- أنها خاضعة قبل الإسلام لسلطة كل قبيلة تمر بأرضها ، فتفرض عليها أتاوات مقابل أمن وسلامة القافلة ، مما كان يمنع المبادلات أو يحد منها ، أو يزيد في سعر كلفتها. فقيام سلطة واحدة أدى إلى زيادة فعالية هذه التجارة وتوسيع مداها، وإضعاف نفوذ تلك القبائل كقبيلة بني سليم وفزارة وهذيل ، وكنانة التي حافضت على سواقعها قرب المدينة ومكة – كما سلف واشرنا - .

٢ - قيام حركة تجارية واسعة على هامش الحج ، فكان سوق المسجد الحرام سوقاً عظيمة يباع فيه من الدقيق إلى العقيق إلى غير ذلك من السلع، فكانت المنتجات والفاكهة تجلب إلى مكة من المناطق المجاورة . وكان الناس والتجاروالحجاج من جميع الأنحاء الغربية والشرقية يجتمعون في بيت المقدس من مسلمين وغير مسلمين، في كل عام وقبل موسم الحج، فيعقد سوق كبير هناك، ثم يتجه المسلمون إلى مكة بجماعات كبيرة [2]. إلا أن هذا الازدهار التجاري في الحجاز تعرض لمحنة،تمثل بالحصار الاقتصادي الذي قام به الخليفة العباسي (أبو جعفر المنصور) بعد ثورة محمد النفس الزكية في سنة(١٤٥ هـ)، فقد بقي سيناء المدينة (الجار) محاصراً مدة ثلاثة عشر عاماً ،وقام بردم خليج القاهرة الذي حفره عمرو بن العاص ليسهل اتصاله بالمدينة المنورة ، فنتج عن ذلك توقف تصدير القمح إلى الحجاز من مصر[3]؛ حيث كانت المؤن والأطعمة تصل إلى حواضر الحجاز عن مصر[4]. وهذا الحصار أدى إلى قيام القائمين به الأسواق والتجارة في المدينة من العبيد السودان الذين ضاقوا ذرعاً من تجاوزات جنود الخليفة من اعتداء على تجارتهم ومصادرتها بثورة عليهم ،وطرد الوالي، والسيطرة على المدينة المنورة. ولكنهم ما لبثوا أن تراجعوا عن ثورتهم وعادت الأمور إلى ما كانت عليه[5]. إلا أن

١- فكتور سحاب:المرجع السابق ،ص٣٦٥
٢ - رياض زركلي:دور الحجاز في الحياة السياسية في العصر العباسي،ص٣٢٩.
٣- ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٥٥٦، القلقشندي:المصدر السابق،ج٣،ص٢٩٨ .
٤- ابن ظهيرة: الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة،ص.١٠١
٥- ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٥٥٧ .

هذه المحنة والأزمة زالت بموت الخليفة العباسي صاحب الحصار(أبو جعفر المنصور)، إذ سرعان ما قام خليفته المهدي بإنهاء هذا الحصار،وإعادة الأمور إلى ما كانت عليه،وإعادة الازدهار والنشاط التجاري للمدينة ، فقام بتوزيع الأعطيات لأهل الحجاز تعويضاً لما لحق بهم من أعمال والده[١].كذلك عمل المهدي على اتخاذ المصانع في كل مكان ، وهي احواض تبنى وتملأ من مياه الآبار، فكان يستخدمها رجال القوافل الذين لا ينقطع مرورهم من تلك الجهات. وأقام البريد بين مكة والمدينة واليمن[٢]،مما سهل الاتصال بين هذه المناطق وسهل السفر للقوافل التجارية وخاصة بين مكة والمدينة .

والتجارة الداخلية في الحجاز تركزت على تبادل السلع بين الحواضر والقرى من جهة،وبين الحواضر مع بعضها من جهة أخرى،فكان أهل القرى المجاورون لمكة والمدينة يجلبون ما أنتجته مواشيهم وإبلهم إلى أسواقها، ويشترون ما يحتاجون إليه من السلع،وخاصة في المواسم المشهورة لمكة، وهما موسمان: أحدهما أول رجب والثاني موسم الحج .فهذه القبائل حتى قبل ظهور الإسلام لم تستطع أن تعيش بدون مركز مدني،يؤمن لها حاجياتها الضرورية، فتشتري منه السلاح والمؤن الضرورية وحتى الكماليات ،وكانت الطائف تصدرلمكة فائضها من المواد الزراعيةحيث تذكر المصادر إن معظم فواكه مكة من الطائف [٣].

وأما أشهر مبيعات الحواضر(المدينة ـ مكة)كانت من الذخائر النفيسة من الجواهر، والكافور، والعنبر،والعود إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة بالإضافة إلى الأمتعة العراقية واليمانية ، والسلع الخراسانية والبضائع المغربية .وكل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم [٤].وهذا يدل على أن تجارة مكة الداخلية تتم بعد موسم الحج مباشرة ، وهذا من شأنه أن يبقي الحاجين مدة طويلة في الحجاز، مما يسمح ببيع جميع السلع القادمة إليهم ، وخاصة التي يجلبها أهل البادية ؛لأن الحاجين يأخذون المواد التي يشتهر بإنتاجها الحجاز . ومما اشتهر به الحجاز- كما سنتطرق إليه في التجارة الخارجية - الصمغ والحناء والجلود والدباغة، والتي اشتهرت بها الطائف، بالإضافة إلى صناعة الخمور و المكاتل التي قامت على سعف النخل، والذي كان لبني سليم شهرة في تصنيعها ، والفحم الخشبي من الطائف الذي كان بنو فهم يستخرجونه ويزودون مكة به [٥].

---

١ ـ ابن كثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٥٥٤ ، خالد عزام : المرجع السابق ، ص ١٩٠ .
٢ـ محمد الخضري بيك : المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
٣ـالأدريسي(أبو عبد الله محمد ابن محمد ابن الله،ت٥٦١هـ):نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج١ ،ص١٤١.
٤ـ ابن جبير(أبو الحسن محمد ابن أحمد بن جبير الكناني ،ت ٦١٤هـ) : رحلة ابن جبير ، ص ٩٧ .
٥ ـ مجموعة ماكس : البدو ، ج٢ ، ص ٥٦ .

وكانت أهم الطرق التجارية الداخلية هي :

١ - طريق مكة المدينة : ويبدأ من مكة - بطن مر - عسفان - قدير - الجحفة - الأبواء - البستان - السقياء- الرويثة- السيالة - ملك - الشجرة - المدينة [١]. وتتوفر الآبار والعيون في جميع هذه المناطق ، والمسافة بينهم عشرة مراحل أي ما يعادل (١٦٧ ميلاً).

٢ - مكة الطائف : من مكة إلى بئر ابن المرتفع إلى قرن المنازل ثم إلى الطائف[٢].

٣- مكة جدة : من مكة إلى عين أبي سليمان ،ثم مقتلة ،إلى الكلاب ، إلى الركابية ، إلى حدة ، القريب ،الثديين ،ثم وادي السدرة ،إلى الفار ،أبو الرح ،ثم جدة [٣].

وجميع هذه الطرق البرية هي عبارة عن مناطق وقرى متقاربة وعامرة بأهلها؛ لكونها طرق سالكة وغزيرة المياه والعيون.

ومن هنا نخلص إلى أن التجارة الحجازية سواء الداخلية منها أو الخارجية لم تتأثر كثيراً بانتقال محور التجارة إلى العراق. وكان مما حافظ على بقاء هذا النشاط التجاري؛ كون الحجاز المركز الديني الأول للمسلمين ، مما جعله مركز الاستقطاب الأول للمسلمين عامة ، وجعل أصحاب التجارات يتهافتون ؛لعرض منتجاتهم في أسواقه مستغلين فرصة وجود أعداد كبيرة من الناس في منطقة واحدة وفي أوقات محددة.بالإضافة إلى كون الحجاز وحدة جغرافية لها مصالح مشتركة تجمعها؛ لاعتبارها إقليم من أقاليم الجزيرة العربية.

١-ابن خردانبة:المصدر السابق،ص١٨٣،١٨٢.
٢ - ابن خردانبة : المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٦.
٣ - ابن خردانبة : المصدر السابق ، ص ١٨٢ ، ١٨٦.

٢ ـ الأسواق:

أسواق العرب أسواق موسمية كانت تقوم في أنحاء شتى من بلاد العرب تلتقي فيها القبائل العربية فتتبادل السلع وتلقي فيها قصائد المفاخرة بينها، وتقوم فيها القبائل بافتداء أسراها، وتجري فيها مناشط اجتماعية كالمصاهرة وفض النزاع بين القبائل وعقد المحالفات. فهي أسواق ذات صفة تجارية إلى جانب كونها محافل أدبية وأندية اجتماعية.ولما كانت التجارة من أشرف الحرف قدراً ومنزلة عند العرب، وكانت هناك تجارة داخلية بين أنحاء الحجاز،فقد أدرج عمل الأسواق ضمن التجارة الداخلية للحجاز، لاشتمال النشاط فيها على تبادل السلع بين المراكز الحضرية والريفية ، وقد عرف العرب الأسواق قبل الإسلام ، واشتهر العديد منها،وكان لها قوانين خاصة[١].وقد اندثر قسم منها وبقي عدد منها قائم بعد ظهور الإسلام وفي العهد العباسي وخاصة المتعلقة منها بمواسم الحج لاستمرارالحج بعد الإسلام وبشكل أوسع ؛من خلال زيادة عدد المسلمين القادمين للحج من الأمصار الأسلامية جميعها.وكان لهذه الأسواق دور اقتصادي واجتماعي وثقافي حيث كانت تعقد في أوقات محددة من العام.

ومن أشهرالأسواق الحجازية في العهد العباسي:

١ ـ سوق المسجد الحرام: ويستمر انعقاده طوال أيام الموسم وهو سوق عظيمة، يباع فيها من الدقيق إلى العقيق بالإضافة إلى كثير من السلع. فكان الدقيق يباع في دار الندوة في جهة بني شيبة ، وتجلب إلى هذا السوق الفاكهة من منطقة بطن مر، وهو وادي خصب كثير النخيل وفيه قرى كثيرة [٢]، وتجبى إليه البضائع والسلع من جميع جهات العالم الإسلامي ، وخاصة أيام الحج ، ففيه مجتمع أهل المشرق والمغرب،ويباع فيه من الذخائر النفيسة والياقوت والمسك والكافور والعنبر والعود، إلى غير ذلك من جلب الهند والحبشة ، إلى الأمتعة العراقية ، واليمانية والسلع الخراسانية ، والبضائع المغربية ، وكل ذلك في ثمانية أيام بعد الموسم [٣].

٢ ـ سوق بركة خليف: على طريق المدينة المنورة مكة بين الجحفة وعسفان وهذا السوق ذكره

١ـ عفيف عبد الرحمن : المثل العليا والقيم الأخلاقية في شعر الأيام في العصر الجاهلي ، مجلة الثقافة العربية العدد ٧ ، ١٣٩٥ هـ .

٢ـ ابن جبير :المصدر السابق ،ص١٦١،١٦٠.

٣ـ محمود شكري الألوسي : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج١ ، ص ٢٦٧ .

ابن بطوطة أثناء مسيره من المدينة إلى مكة حاجا،فقد نزل في منطقة بركة خليف الكثيرة النخل والماء.وهذا السوق للبدو الذين كانوا يجلبون إليه الغنم والسمن والتمر[1]. وهذا السوق موقت فقط في أيام الحج؛ لعدم التطرق إليه في المصادر ،بالإضافة إلى أنه كان مخصص لمنتجات البادية مما يعني اقتصار البيع فيه على المارين في هذه المنطقة ،والتي يقطنها أعراب لاحاجة لهم بهذه المنتجات المتوفرة بكثرة لديهم،فيعرضونها على السالكين طريق المدينة مكة وبالعكس،والذين يقلون بعد انتهاء موسم الحج .

٣- سوق حباشة : وهي آخر سوق جاهلي خرب وكان يقام في شهر رجب وبقي حتى(١٩٧ هـ)[2] .

٤ ـ سوق جدة : وموسمها قبل وقت الحج ، وكانت تنفق فيها البضائع الحجاز حالا أحسن من أهلها إلا بمكة[3].

٥ ـ أسواق مكة : ولها موسمان :أولهما أول رجب والثاني في موسم الحجيج، وتجلب إليها البضائع من سائر البلاد والخضار والفواكه من الطائف وبطن مر،ومن أهمها سوق بين الصفا والمروة؛حيث يباع فيه التمر والحبوب واللحوم والحنطة والشعير ،القادمة من قبائل بجيلة وغيرها،وكانت هذه الأسواق مزدحمة بحوانيت التجار[4].وسوق منى الذي يبعد نحو فرسخ من مكة وقد ذكره كثيراً المقدسي أثناء رحلته في إقليم الحجاز ،فتحدث عن كثرة القياسير التي تظلل الأسواق وحوانيت الباعة في هذه المدينة المبنية من الحجر وخشب الساج ،وكانت تنشط حركة هذا السوق فقط في موسم الحج ويخلو بقية السنة[5]؛ويدل قلة نشاط سوق منى خارج الموسم على قلة أهلها بالرغم من أنها من الحرم وبها ترمى جمرة النحر فبذلك يكون معظم العاملين بأسواق منى من غير أهلها ، من التجار القادمين في موسم الحج أو من أهل مكة بدليل إن مساكنها من الحجر وخشب الساج الذي يشابه مساكن أهل مكة الذين بنوا بيوتهم من حجارة ملساء والسقوف من خشب الساج ،وكانت على شكل طبقات[6].

١- ابن بطوطة:المصدر السابق،ص.١٢٩

٢- ابن جبير : المصدر السابق ،ص٩٧.

٣- الأدريسي،المصدر السابق،ج١،ص١٣٩.

٤-الإدريسي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ١٣٩ ، ١٤١ . ابن بطوطة :المصدر السابق،ص ١٤١،.١٦٤

٥ ـ المقدسي:المصدر السابق،ص.٩٥

٦- المقدسي:المصدر السابق،ص ٩١.

٦- قرح(وادي القرى):وكانت أسواقه مزدهرة وخاصة الزراعية لكثرة النخيل في هذه المنطقة الغزيرة المياه ، وقد ذكر (المقدسي) إن التمر رخيص في وادي القرى بالإضافة إلى أنه مركز تجارة الشام والعراق في الحجاز[١].

وهذه الأسواق قد شهدت ازدهاراً كبيراً في العهود الإسلامية اللاحقة وخاصة في العهد العباسي؛بسبب زيادة إقبال المسلمين الحاجين إليها من جهة، وإغداق الخلفاء العباسيين الكثير من الأموال لأهالي الحجاز من جهة أخرى، فقد قام الرشيد بتوزيع حوالي مليون ونصف دينار على أهالي مكة والمدينة، وذلك عندما حج سنة (١٨٦هـ)[٢]. وكان المهدي قد أنهى الحصار الاقتصادي الذي فرضه والده (أبو جعفر المنصور)على المدينة بعد ثورة (النفس الزكية سنة١٤٥هـ)واستمرحتى (١٥٨هـ)، ووزع الكثيرمن الأعطيات، وحفرالآباروبنى القصور،وأعاد الازدهار الاقتصادي للحجاز، وسار على منهجهم الخليفة الواثق الذي أحسن إلى الحجازيين، ووزع أموالاً كثيرة عليهم[٣].وكان يشرف على الأسواق المحتسب الذي يقوم بتعيينه الخليفة العباسي. وكانت وظيفته دينية ، وهومن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالحسبة هي واجب الأمر بالمعروف إذا قل فعله بين الناس وندر،وواجب النهي عن المنكر إذا راج فعله بين الناس وظهر،فكانت الحسبة رسمية(حكومية) أو غير رسمية (تطوع شخصي)أما المحتسب فهو المسؤول عن المحاسبة،وكان يتخذ الأعوان،ويحمل الناس على المصالح العامة ، مثل المنع من المضايقة في الأسواق، ومنع الغش و التدليس في المكاييل والموازين. ويرجع تاريخ الحسبة إلى الخليفة عمر بن الخطاب حين رآه الناس يضرب التجار إذا اجتمعوا في السوق حين يبعدهم عن طريق المارة، ويقول لهم: (لا تقطعوا علينا سابلتنا)[٤]. وفي العهد العباسي تطورت الحسبة كثيراً فكانت بين سلطة القضاء وسلطة التنفيذ[٥].وقد عدّ المحتسب من أكثر الموظفين نفوذاً لاتصاله المباشر بجميع شرائح المجتمع فقد كان له وظائف اجتماعية وخدمية وصحية ؛ كملاحظة نظافة الأسواق والطرق،والاهتمام بأمر المساجد والآداب العامة، ومنع المحتكرين من رفع الأسعار ومكافحة الغلاء، إلا أنه لم يكن يتدخل بالتسعيرة ؛لأن الرسول (ص) رفض تحديد الأسعار عندما ارتفعت في السنة التاسعة للهجرة عندما طلب منه الصحابة تحديد الأسعار

١- المقدسي:المصدر السابق،ص ١٠٩، ١١٥.
٢- ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، ج٣ ، ص ٢٧٢، اليعقوبي ، المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤١٥
أحمد السباعي : تاريخ مكة ، ج١ ، ص ١٧٥.
٣ - ابن كثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٥٥٤ .
٤- ابن سعد: المصدر السابق، ج٥،ص٦٩،٦٧ .
٥- مصطفى الرافعي : المرجع نفسه، ص ٦٨ .

فقال:" إن الله هو المسعر القابض الباسط "[1].فكانت مهمة المحتسب فقط منع أي ارتفاع فاحش في الحاجيات الضرورية.وإجبار المحتكرين على عرض بضائعهم وإخراجها للعامة في الأسواق[2].ونتيجة التوسع في اختصاصات المحتسب وارتباطها بالأمور التشريعية ، أوجب على الفقهاء وضع شروط للمحتسب وهي: أن يكون مكلفاً ، مسلماً،حراً ، قادراً، عدلاً ، مأذون من قبل الخليفة [3]. ويساعد المحتسب غلمان وأعوان ؛وذلك لإتساع المدن والأسواق .وقد وجد لكل منتج أسواق خاصة به فقد كان هناك سوق خاص للتمارين وسوق للزياتين والجزارين في ظل إشراف الدولة عليها .

والنتيجة أن أزدهار أسواق الحجاز كان ظاهراً؛ فالخيرات كانت تأتي إليه من كل أرجاء المعمورة فلا تتقطع ؛فقد كان التُجار يأتون من كل مكان حاجين ومتاجرين،فعرف أهل الحجاز والذين كانت لهم خبرة راسخة في التجارة كيف يستفيدون من هذه المواسم ، فقامت تجارة كبيرة في مكة أمسك بزمامها المكيون ،وتجارة أيضاً في المدينة المنورة كانت من نصيب المدنيين،فيشترون جميع ما يصل إليهم من منتجات البادية ؛ليبيعوه على الحاجين والمعتمرين على حد سواء ،في ظل إشراف الدولة على التجارة والأسواق من خلال موظفين مختصين(المحتسب).

١- يحيى بن الحسين بن القاسم(ت١١٠٠هـ): غاية الأماني في أخبار القطر اليماني،ج١،ص٦٦.
٢- هدى أحمد العبسي :الإدارة العباسية لإقليمي الشام والحجاز ،رسالة دكترراه ،إشراف سهيل زكار، ص ٢٣١.
٣- الغزالي(أبي حامد محمد بن محمد الغزالي،ت٥٠٥هـ) ، أحياء علوم الدين ،ج٢ ،ص ٤٩٩،٤٩٥.

ب ـ تجارة خارجية:

وكان محور هذه التجارة موانئ الحجاز على البحر الأحمر كميناء جدة ، وكان ميناء مكة بعد الشعيبية [١]، ويتصل بالشام ومصر والهند وإفريقية. وميناء المدينة المنورة (الجار)، والذي كانت تنقل إليه البضائع ثم تتجه إلى المدينة ، فتتابع بعدها المسير إلى سائر البلاد . وقد شهدت التجارة الإسلامية ازدهاراً كبيراً مع انتقال مركز الخلافة إلى العراق ومن أهم العوامل التي ساعدت على ازدهار التجارة :

١ ـ سعة الدولة التي أعطت التجارة سوقاً ضخمة ، وأدخلت الكثير من السلع في إدارة اقتصادية متنوعة ومشتركة،حيث شمل نفوذ وامتداد الحكم العباسي المنطقة الهلنستية القديمة ، والقسم الجنوبي من الإمبراطورية الرومانية [٢] ، أي امتدت من أقاصي إفريقيا حتى البحر المتوسط ، ومن نهر الهندوس حتى المحيط الأطلنطي، فكان من شأن هذا الاتساع ، ومن غنى أراضي الخلافة ، واختلاف أقاليمها وسكانها وتمدن ولاياتها،أن تسير التجارة قدماً بحكم الضرورة ، فأصبحت منتجات الأندلس والمغرب ومصر والحبشة وجزيرة العرب وفارس والهندوالصين تتقاطر على مكة والمدينة وبغداد ودمشق والبصرة ،وظهرت بذلك مراكز جديدة للمبادلات وفتحت طرق جديدة لتسهيل الصلات ،فانطلق التجار نحو المناطق الجديدة ،مما أدى إلى خلق فروع جديدة في هذه المناطق وعلى طرقاتها، بالإضافة إلى حصولهم على موارد جديدة.

٢ ـ سعة الدولة العربية الإسلامية أدى إلى وحدة النقد ،والذي ساعد على التقدم التجاري وبالتالي الحض على الرحلات التجارية ،والتوسع في مجال التجارة .

٣ ـ تشجيع خلفاء العهد العباسي للتجارة من خلال تمهيد الطرق ، وتأسيس مدينة بغداد[٣]،التي ساعدَ موقعها على أن تصبح سوقاً تجارية لها شهرتها،وحفر العباسيون الآبار على الطرق التجارية ، بالإضافة إلى حفر قناة للملاحة تصل بغداد بالفرات ، فأصبحت تربط كل من بغداد ببلاد الشام بمصر وبآسيا الصغرى والحجاز [٤].

١ـ الشعيبة : ميناء مكة قبل الإسلام ، وبقي حتى قام الخليفة عثمان بن عفان بنقله إلى جدة لأنه أكثر اتساعاً .

٢ـ اندريه ميكيل : جغرافية دار السلام البشرية ،ج١ ،قسم ثاني ،ص١٤٦.

٣ـ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ،ج٣، ص ٢٤٠، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ص ٣١٢ .

٤ـ ابن خلدون :المصدر نفسه ،ج٣،ص٢٤٠.

٤ - بقاء دمشق مركزاً للقوافل القادمة من آسيا الصغرى ، أو من أقاليم الغرب إلى بلاد العرب ومصر ،وتشكيل دجلة والفرات شريانين تجاريين هامين من داخل البلاد الإسلامية لمرورهم ببغداد مركز الخلافة الإسلامية والمركز التجاري الأول فيها ، فهذا ما أبقى للشام مركزه التجاري ، بالإضافة إلى موقعه المتوسط وربطه أفريقيا بآسيا .

٥- نشاط الحياة المدنية : وكون هذه المدن مراكز مدنية متضخمة في عدد السكان ونوعيتهم ، مما جعلها مراكز استهلاك كبرى ، وقد أدى نشوء هذه المدن وتطورها إلى تنشيط حركة نقل البضائع الموصلة لها؛لأن العلاقات التجارية المتبادلة ضرورة ملحة للتطور البشري .

٦ - حماية الدولة للتجار من التجاوز ، وعدم تدخلها في وضع التسعيرة إلا في الضرورة، وظهور المؤسسات المالية والصيرفية ، فقد استخدمت الصكوك(السفاتج قديماً) ،والصكوك للدفع خارج الأراضي الإسلامية من خلال عمل الصرافين[١].

٧ - وراثة العرب للمنطقة المتاجرة مع الشرق الأقصى ، وسيطرتهم على مينائي الديبل والمنصورة على نهر السند [٢]، مما أدى إلى تنشيط فعالية التجارة مع الشرق وخصوصاً بعد استقرار الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة العربية .

لقد تنوعت خطوط التجارة الحجازية بين خطوط برية وخطوط بحرية وهذه الخطوط كانت قبل الإسلام واستمرت بالعهد العباسي ولكن مع بعض التحول؛ بسبب انتقال مركز الحكم من المدينة المنورة إلى دمشق أولاً ،ثم إلى بغداد ،فقد كانت جميع طرق التجارة تمرُ عبر الحجاز قادمة من اليمن ومتجهة إلى بلاد الشام والرافدين ومنها إلى أوربا .ومن الطرق التجارية :

١ - الخطوط البحرية :

١ - مدينة القلزم المصرية - جدة - عدن - ساحل أفريقية الشرقية [٣] .وهذا الطريق هو صلة الوصل بين مصر والحجاز ؛لإنه يعتبر من أقصر الطرق بين الأقليمين.

٢- من شواطئ الحجاز حتى رأس مزتك على شاطئ مهرة - عبر المحيط الهندي غرباً - إلى شاطئ أفريقية، وسيطر على هذا الطريق تجار عرب من عُمان هربوا إلى أفريقيا ؛ خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي ،سيطروا مع الزمن على تجارة ميناء جدة ، حيث أصبحوا

١- فاضل الأنصاري : الجغرافية الاجتماعية ، ص ٤٠٤ .
٢-أحمد بدر:المرجع السابق،ص٩٣.
٣- ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص ١٥٣- ١٥٥ .

أصحاب النفوذ في تلك المناطق وخاصة على سواحل الصومال وسومطرة التي اشتهرت بها مادة طبية وهي الصبر [1].

٣- الطريق الذي يبدأ بالبصرة ثم سيراف ثم يتابع طريقه في الخليج العربي إلى موانئ الهند ، سيلان ، فخليج سومطرة ، فكمبوديا ، وكانتون محطته الأخيرة [2]. إذاً فرأس الخليج العربي كان المحور الأول للتجارة البحرية من الشرق الأقصى،وعن طريقه تتجه السفن والبضائع إلى باقي الموانئ سواء المتجهة إلى البحر الأحمر أو المتجهة إلى الصين.

٤- مسلك التجار الراذانيون [3] اليهود :وهؤلاء كانوا يأتون من منطقة بروفانس في فرنسا ، ويحملون معهم الخدم والغلمان والجواري والديباج والخز والفراء،فيركبون البحر ويخرجون إلى الفرما المصرية، فيحملون تجارتهم على الظهور إلى بحر القلزم (البحرالاحمر)،ثم يتجهون إلى ميناء جدة والجار فيتاجرون مع أهل المنطقتين، ثم يتابعون سيرهم إلى الهند والصين والسند ، فيجلبون من الصين المسك والكافور والعود، ويرجعون إلى القلزم ثم إلى الفرما ، وبعدها إمّا يتوجهون إلى القسطنطينية أو فرنسا ، وأحياناً يذهبون عن طريق البحر الغربي إلى الفرات فبغداد ، ويتوجهون بعدها إلى الصين والهند والسند[4]. وبهذا تمكن هؤلاء التجار اليهود (الراذانية) من السيطرة على تجارة الشرق عبر بحر القلزم،واستغلال موانئ الحجاز في تصريف منتجاتهم ،مستفيدين من سهولة التنقل بين أرجاء العالم الإسلامي ؛وذلك بسبب وحدته.

٢- **الخطوط البرية** :ارتبط الحجاز طوال تاريخه بكثير من المراكز التجارية عبر طرق برية معروفة ،ارتادتها القوافل محملة بالبضائع التي كانت تلقى رواجاً في أسواقه سواء قبل الإسلام أو بعهده ،وحتى بعد انتقال مركز الحكم من المدينة المنورة إلى الأمصار (دمشق ثم بغداد)؛فقد كانت هذه القوافل تبيع ماتحمله من صنوف التجارة في أسواقه وتشتري أصناف أخرى وخاصة في موسم الحج –كما أشرنا في بحث التجارة الداخلية- ومن أهم هذه الطرق :

١ - طريق البصرة مكة : ويبدأ من مدينة البصرة - المنجشانية - الحفير - الرحيل - الشنجي - الخرجاء - الحفر - ماوية - ذات العشر - النيسوعة - السمينة - النباج - العوسجة - القريتين - رامة

١- أحمد بدر : المرجع السابق، ص ١٠٤ .
٢- محمد اسعد طلس: المرجع السابق ، ج٥ ، مجلد ثاني ، ص ١٧٢ .
٣- راذانيون : تجار يهود أحترفوا هذه المهنة ،للتوسع أنظر ابن خردانبة :المسالك والممالك،ص٢٠٧ .
٤- ابن خردانبة : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، محمد اسعد اطلس : المرجع السابق، ص ١٧٤، ١٧٥.

ـ خربة ـ جديلة ـ فلجة ـ الدفينة ـ قبار ـ حران ـ جرة ـ أوطاس ـ ذات عرق ـ ثم إلى بستان بني عامر ـ حتى تصل إلى مكة .وهناك طريق آخر يبدأ بعد بستان بني عامر إلى النباج إلى طريق اليمامة ثم إلى مكة [١] .

٢ـ سواحل الصين إلى جدة:من الصين إلى جبال قامرون – الهند – ساحل المهرة في اليمن – عدن – باب المندب- ساحل الحجاز(جدة) وهوميناء الحجاز على بحر القلزم [٢]. وهذا الطريق معظم مساره بحري فيبدأ عبر المحيط الهندي إلى بحر العرب ثم ينحرف غرباً وشمالاً بإتجاه بحر القلزم ؛لأن معظم محطاته بحرية.

٣ـ طريق مصر مكة :يبدأ بمدينة الفسطاط إلى الجُبّ ثم إلى البُويب ثم إلى منزل ابن بندقة ـ الدّنبَة ثم إلى الحفَر ثم إلى منزل ـ أيلة ثم إلى حقل ثم إلى مديَن ثم إلى الإغراء إلى شَعْب إلى السّرحتين ـ البيضاء ثم إلى وادي القرى إلى الرُّحَيبة ـ ذي المروة إلى المَرّ ـ السويداء ـ ذي خشُب ثم إلى المدينة ثم إلى المنازل التي إلى مكة[٣].وهذا الطريق تشترك فيه تجارة بلاد الشام ومصر؛ لمرورتجارة مصرعبرمحطات بلاد الشام(أيلة) .بالإضافة إلى أن ميرة الحجاز من الدقيق تحمل من مصر إلى الحجازعبر هذا الطريق ؛لاعتماد الحجاز في معيشته من القمح على مصر لقلة زراعته فيها ، وقد أشار المقدسي إلى فضل مصر على الحجاز بقوله : "بخيراته تعمر الحجاز"[٤].

٤ ـ طريق دمشق مكة : يبدأ من دمشق إلى منزل ثم إلى ذات المنازل ـ سرغ ـ تبوك ـ المحدثة ـ الأقرع ـ الجنينة ـ الجمر ـ وادي القرى ـ الرحيبة ـ ذي المروى ـ المر ـ السويداء ـ ذي خشب ـ المدينة ـ المنازل ـ مكة [٥] .

٥ ـ صنعاء مكة : من صنعاء إلى تبالة ـ الروثية ـ كرى ـ صفر ـ قرن المنازل إلى بئر بن المرتفع ثم تصل إلى مكة [٦] .

٦ـ طريق بغداد ـ الكوفة ـ الحجاز ـ اليمن ـ وهو طريق الحج [٧] .

١- ابن خردانبة :المصدر السابق، ص ١٩٨ .

٢ـ القلقشندي:المصدر السابق ،ج٣،ص ٢٣٩، ٢٣٨.

٣- ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ١٩٩-.٢٠٠

٤ـ المقدسي :المصدر السابق،ص .١٨٩

٥- ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

٦-الإدريسي : المصدر السابق ، ج١ص١٤٧ ، ١٧٥.

٧ـ الحموي: معجم البلدان، ج٣،ص ٢٣٩.

هذا التحول في طرق التجارة سواءكانت طرق برية أو بحرية كان لا بد من أن يلقي بضلاله على طرق التجارة القديمة،التي كان يمثلها الحجاز، نتيجة فتح هذه الطرق ، فأدى هذا التحول إلى تأثر التجارة الخارجية للحجاز . إلا أن هذا التأثير لم يكن كبيراً،فقد بقيت هناك حركة تجارية نشطة ومزدهرة بعض الازدهار.

وليس كما يدعي الكثير من المستشرقين والمؤرخين وعلى رأسهم جيرالد دي غوري الذي قال:"إن التجارة في الحجاز تراجعت بعد الإسلام"[1].

وكان مما أسهم في بقاء دور للتجارة الحجازية خاصة ًعدة عوامل منها :

١ ـ ازدهار التجارة الإسلامية بشكل عام لا بد من أن يؤدي إلى ازدهارها في كافة البلدان الإسلامية دون تمييز ، وخاصة بعد فتح طرق ومراكز مبادلات جديدة و توسيع ، مما أسهم في توحد النقد من ذهب وفضة.

٢ ـ بقاء إرسال السفن عبر البحر الأحمر إلى الشرق الأقصى عن طريق محطة رئيسية هي عدن .

٣ ـ استمرار الدولة البيزنطية في تعاملها مع هذا الخط التجاري ، وخاصة بعد أن ورثت الإمبراطورية الرومانية،وأصبحت صلة الوصل بين أوروبا والشرق الأقصى، فتعاملت مع المدن الإسلامية في مصر والشام[2].

٤ ـ وجود الأماكن المقدسة ، وحاجة القادمين إليها إلى المواد ، فكانت ترد إليها البضائع من جهات عديدة . فقد كان الحجاج والتجار يتجمعون في بيت المقدس، قادمين من جميع الأنحاء الشرقية والغربية من مسلمين وغير مسلمين في كل عام وقبل موسم الحج ، فيعقد سوق كبير هناك ، ثم يتوجه المسلمون إلى مكة بجماعات كبيرة ؛ فقد قدر بعض الرحالة الذين قاموا بالحج في تلك الفترة عدد الحجيج بمئتي ألف حاج [3].

٥ ـ اهتمام الخلفاء العباسيين بطرق الحجاز عامة سواء التجارية ، أو التي يسلكها الحجاج ، فقد أقام المهدي كثيراً من القصور والآبار على طريق بغداد ـ مكة ، وقيام كل من الخلفاء (الرشيد و المأمون) بحفر العيون على طريق مكة،أما الواثق فقد أسقط العشر على القادمين من بحر الصين [4].

---

١ ـ جيرالد دي غوري : المرجع السابق، ص ٩٥ .

٢- عادل زيتون : العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٢٧ .

٣- جميل نخلة المدور:حضارة الإسلام في دار السلام،ص٢٦٢.وهذا المرجع هو نقل حرفي عن رحالة فارسي قام برحلة في الأمصار الإسلامية في القرن الثاني الهجري ،ودون رحلته على شكل رسائل.

٤-اليعقوبي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٤٨٣ ، ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون،ج٣ ، ص ٢٥٦، ٢٧٢ .

٦ ـ وجود ميناء جدة غربي مكة والذي كان أعظم موانئ الحجاز التجارية ، واتصاله ببلاد الشام ومصر والهند وافريقية، فقد كان يزدحم في موسم الحج وتكثر فيه الخانات[١].وميناء الجار فرضة المدينة المنورة ، على ساحل بحر القلزم و يبعد عنها ثلاثة مراحل، وهو أصغر من ميناء جدة ، وفيه بيوت شاهقة ،وأموال وتجارة كثيرة ، وكان الطعام يجلب اليه من مصر والماء من بدر[٢] .

٧- استمرار العلاقات التجارية بين اليمن والحجاز والحبشة ومصر.عبر بحر القلزم،فقد كان زمرد ساحل الهند الشرقي ينقل إلى الغرب عن طريق عدن ومكة. فنتيجة لهذه الأسباب بقي للحجاز دور في التجارة العالمية عامة والإسلامية خاصة . وكان للتجار المصريين دورٌ في نقل البضائع الواصلة إلى جدة إلى بلادهم براً سواء مع الحجاج أو مع التجار السوريين الذين كانوا يحملونها إلى دمشق[٣].وكذلك استمر أهل الحجاز يشترون من الهند وسيلان البضاعة الشرقية التي كانوا يشترونها قبل الإسلام؛ بسبب عدم تبدل الحاجات تبدلاً كثيراً ، ولم تتبدل وسائل انتقالهم إلى الهند بحراً. ووصل التجار المسلمون إلى موانئ بلوخستان والسند وكوجرات ،ووصلوا إلى بحر الصين عن طريق مدينة سيام [٤].واستورد تجار الحجاز من الهند والصين اللبان والمد،والأفاوية والحرير والفولاذ والعاج والنيلة والعود والكافور والأبنوس والفلفل،ومن السند حمل الأرز والثياب، والبسط وجوز الهند والعقاقيروالمسك، فتتجمع هذه البضائع في الحجاز ثم تنقل إلى سائر البلاد، ويصدرمعها ما تشتهر به الحجاز من جلود مدبوغة وحناء وصمغ [٥].

وهذه الأسباب مجتمعة أسهمت في إزدهار التجارة الحجازية كثيراً وخصوصاً أن التجار كانوا يأتون من أقصى الغرب ويتجهون إلى أقصى الشرق ، محملين ببضائع من الشرق وبضائع من الغرب ، وفي الذهاب والإياب تكون لهم محطات في جدة والجار، فيبيعون ما يحتاجه أهل الحجاز ويشترون ما اشتهر به أهل الحجاز . وقد بلغت جباية هذا الإقليم زمن الخليفة العباسي المأمون إلى ٣٠٠ ألف دينار [٦]، وهو رقم غير قليل بالنسبة لبلد لا زرع ولا ضرعَ في معظم مناطقه ، وحولت طبيعته الصحراوية معظم سكانه إلى بدو ، اعتمدوا على التنقل؛ للبحث عن الكلأ. فحرمتهم الحكومة المركزية من عرض خدماتهم على القوافل لحمايتها بعد استتباب

١- ابن المجاور(يوسف بن يعقوب ،ت في النصف الأول من القرن السابع الهجري):صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى (تاريخ المستبصر)،مراجعة ممدوح محمد ،ص ٦٥.
٢- ابن حوقل : المصدر السابق ،ص ٣٩. المقدسي : المصدر السابق،ص١٠٠.
٣- حسن ابراهيم حسن :المرجع السابق،ص٣١٦،٣١٧.
٤- ابن خرداذبه، المصدر السابق، ص ٦٠- ٦٢.
٥- الأدريسي:المصدر السابق ،ج١ ،ص٥٤.
٦- ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٣٧.

الأمن؛في ظل خضوع الجميع لسلطة وقانون واحد. فأسهمت بذلك التجارة في زيادة ثروة الحجاز،وأزدهار الحركة الاقتصادية التي ظهرت بصورة كاملة في العهد العباسي، دون أن نغفل تأثير طرق الحج التي شغلت في تاريخ الإسلام مكانة تفوق من حيث الأهمية مكانة طرق الحرير؛ فقد ذكر ابن المجاور إن التجار أطلقوا على مكة (عروق الذهب) وسماها تجار بغداد ب (مربية الأيتام)[١].كما أسهم الازدهار التجاري في النمو الثقافي والتمازج الاجتماعي من حيث كثرة العبيد في الحجاز،وظهور حياة أدبية ومجون في حواضره، وغزل عفيف في بواديه ، والتطور العمراني الذي شهده الحجاز في تلك الفترة فيروي الإمام ابو حامد الغزالي قصة الفقيه حاتم بن الصم الذي زار المدينة المنورة أثناء حجه ،فسأل أهل المدينة المنورة عن اسم مدينتهم ،فأجابوه بأنها مدينة رسول الله(ص) فطلب منهم إرشاده إلى قصر الرسول عليه الصلاة والسلام وقصور أصحابه ،فردوا عليه بأنه لم يكن للرسول وأصحابه قصور ، فأجابهم بأن هذه المدينة هي مدينة فرعون ؛لأنهم تأسوا بالفرعون بالبنيان ولم يتأسوا بالرسول (ص)[٢]. وبذلك تغرب المجتمع الحجازي بشكل تدريجي عن سماته الأولى التي كان عليها ، والتي صبغ بها في صدر الإسلام ،وبدأ يخطو بعيداً عما كان عليه من حياة التقشف والبساطة وغيرها من السمات التي تميز بها ،على الرغم من أن هذا التغيير والتغرب كان يتم في عهد إسلامي ،ولكن كما يقال الناس على مذهب ملوكهم ،وأن التقليد يتم بالاقتداء من الأسفل إلى الأعلى .حيث كان للخلفاء الأمويين ومن بعدهم الخلفاء العباسيين في هذا التطور والنقلة الجديدة التي حلت بالمجتمع الحجازي لخدمة أغراضهم – كما أشرنا سابقاً- .

١- ابن المجاور : المصدر السابق،ص ١٤.
٢- الغزالي:المصدر السابق،ج١،ص١٢٣.

٢- الزراعة والحرف:

أ - الزراعة :لم يساعد مناخ شبه الجزيرة العربية والحجاز منه على قيام زراعات واسعة في مناطقه، فطبيعة الحجاز التضاريسية،انعكست على حياة السكان،حيث لم تسمح سوى بقيام مجتمعات زراعية في مناطق محدودة في كل من الطائف ، ويثرب،وبعض الواحات ؛ والتي تميزت بوجود مياه وفيرة ، بالإضافة إلى اعتدال المناخ ، وهبوب رياح شمالية طيبة عليها. على عكس مكة التي تقوم بوادٍ غير ذي زرع .كما ذكرها القرآن الكريم[١].وقد كان العرب بشكل عام يأنفون الأعمال الزراعية والحرف الأخرى ، وخاصة أهل البادية الذين يعتمدون على التنقل للبحث عن الكلأ والمرعى، ويمارسون الغزو والسلب. بينما اقتصرت الأعمال الزراعية على أهل المدن؛وهذا ربما يعود لغلبة الجفاف،وانتشار الصحارى على معظم جهات الحجاز،بالإضافة إلى تعرض الحجاز للسيول الجارفة.ولكن بعد ظهور الإسلام واستقراره بدأ تشجيع الحياة المدنية ، ووجه إلى الاستقرار بدل حياة التنقل والبداوة، فبدأت تتغير نظرة الازدراء لدى العرب المسلمين باتجاه العمل الزراعي من خلال حث رسول الله(ص) للمسلمين على الزرع وذلك لما فيها من عموم الانتفاع.

فقد روي عن الإمام أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) أنه قال : " إن الله عز وجل اختار لأنبيائه الحرث والزراعة كي لا يكرهوا شيئاً من قطر السماء "[٢] .

ومنهم من فضلها على التجارة ، لما للغذاء من صلة بحياة الناس. وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم بتوزيع الأراضي على أصحابه المهاجرين وفقراء المدينة المنورة،وخاصة الأراضي التي صادرها من اليهود بعد إجلائهم عنها،والأراضي السوات[٣].

وبدأ منذ ذلك الوقت ازدياد اهتمام المسلمين بامتلاك الأراضي الزراعية، حيث كان لأهل مكة منذ قبل الإسلام أراضي وعقارات وبساتين في الطائف. و كان أهل المدينة يهتمون بتملك الأراضي والعمل بها ؛ لأنها كانت تغنيهم عن الضرب في مناكب الأرض وراء الرزق ، مستفيدين من خصوبة تربة بلدهم ، وتوفر المياه فيها، وانتشار القرى حولها.وتعود شهرة المدينة بممارسة العمل الزراعي إلى اليهود الذين قدموا إلى المدينة بعد سبي(بخت نصر) لبيت المقدس حيث استقروا بوادي القرى وعملوا بالزرع والنخل ،ثم جاء إليهم أبناء عمرو بن

---

١ - القرآن الكريم : سورة إبراهيم ، ١٤/ ٣٧ .
٢ - الكليني : المصدر السابق ، ج٥ ،ص ٢٦٠ ١.
٣- ابن شبه النميري (ت٢٦٣هـ): تاريخ المدينة المنورة، ج٢ ، ص ٣٠٦ .

عامر من الأوس والخزرج من اليمن حاملين خبرتهم الزراعية من موطنهم ، فعملوا إلى جانب اليهود بها ،بل وتفوقوا عليهم بممارسة هذه الأعمال [1]. فبدأت تطغى الملكية الخاصة على الملكية العامة ، فتألف أهل الحواضر على أساس المصلحة المشتركة لا على أساس العصبية القبلية ، وانقسم المجتمع إلى أهل زراعة وأهل تجارة .

وفي العهد الراشدي بدأ أصحاب النبي(ص)يستثمرون أموالهم التي حصلوا عليها نتيجة الفتوحات الإسلامية في شراء الأراضي التي أصبحت صالحة للزراعة بعد حفر القنوات المائية،وإقامة السدود لاحتجاز مياه الوديان كوادي القرى وينبع، وحتى في السهل الصخري المرتفع على درب السلطاني الشرقي [2]. ونتيجة إبعاد العرب عن السياسة ، بدأ بعضهم يقيم في أراضي ويتولى زراعتها ، وبدأت أيضاً القبائل تستقر وتمارس الزراعة ،مما أدى إلى تنامي الإقطاعية مع بداية العهد العباسي .

وكان نظام الأراضي محدداً بثلاثة أصناف وهي :

١ً - أراضي الصواف : وهي الأراضي التي فتحت عنوة ، وتعود ملكيتها لبيت المال ، وللخليفة أن يتصرف بها عن طريق الهبة أو الإقطاع، والمفروض وضع مراقبة مباشرة من قبل الدولة على زراعته وسقايته ، وصرف أجور الفلاحين ، لتلحق محصولها ببيت المال.وتقلصت مساحتها قبل مجيء العباسيين،بعد توزيع الخلفاء الأمويين معظم هذا النوع للقادة وأقاربهم، ومعظم هذه الأراضي في منطقة الجزيرة[3].

٢ً - أراضي الخراج : وتشمل أراضي السواد المفتوحة ، والتي بقيت بيد أهلها مقابل دفع الخراج ، وحتى إذا انتقلت إلى أيدي المسلمين أو أسلم أصحابها أبقى الأمويون عليها الخراج ؛لكي لا تؤثر على خزينة الدولة[4] . ولكن تغير الحال في العصر العباسي ؛لأن أصحابها كانوا من الموالي الذين أسهموا في الثورة العباسية، فتغيرت أحوالهم نتيجة لذلك .

٣ً - الأراضي الموات : والتي تستصلح وقد اعتبرت عشرية ، بمعنى أنها تصبح ملكاً خاصاً لمن يستصلحها ، وهذا أدى إلى توسيع ملكيات الإقطاعيين الذين يملكون وحدهم الإمكانات للاستصلاح ، ومع هذا زادت أهمية العبيد ، وهذا من شأنه ظهور حركات نتيجة الظلم والجور . وهذه الأنواع الثلاثة وجدت في مناطق الفتوح ،أما في الحجاز فقد وجدت الأراضي

---

١ - البلاذري : فتوح البلدان ، ج١ ، ص ١٦ ، ١٧ ١.
٢- مجموعة ماكس : البدو ، ج٢ ، ص ٤٥٨ .
٣ - فاضل الأنصاري : المرجع السابق، ص ٣٩٧ ٢.
٤- فاضل الأنصاري : المرجع السابق ، ص ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، أحمد شلبي : دراسات في الحضارة الإسلامية، ص ٢٦٤ .

العشرية ، لإسلام معظم أصحابها عليها، فهي من نوع الملكية الفردية، والتي انتشرت خارج المدن ، أو في بعض الواحات على شكل مزارع وبساتين أو أراضي أحياء[1].

وقد شهد قطاع الزراعة في العهد العباسي في الحجاز ازدهاراً كبيراً،لا يقل عن ازدهار التجارة لعدة أسباب منها :

١ ـ عدم انقطاع أعطيات الخلفاء العباسيين عن الحجاز ؛ فقد وزع أبو جعفر المنصور كثيراً من الأموال والعطايا لأهل الحجاز عامة ، وآل البيت خاصة ؛ لاسترضائهم ، وصرفهم عن التفكير في الخلافة والسياسة؛ لأنَّ كثيراً من أهل العراق وفارس يرون أن البيت العلوي أحق بالخلافة من العباسيين، وكذلك فعل كل من المهدي والرشيد والواثق [2] .

٢ـ الاهتمام بفتح الطرق ، وحفر الآبار ، والعيون ، وتنظيم شبكات الري، وجر مياه الشرب منذ العهد الأموي، والتي استمرت في العهد العباسي ،فقد اهتم المهدي، والرشيد ، والمأمون ، وأم جعفر (زبيدة) بحفر الآبار، وتأمين المياه على طريق مكة – كما اشرنا سالفاً - .

٣ ـ ازدهار أسواق الحجاز سواء مكة أو المدينة ، فقد كان سوق مكة مكتظاً بالسكان ، فيأتي إليها كل يوم المزارعين؛ لبيع محاصيلهم الزراعية من حبوب وفواكه وخضار ، ويشترون ما يحتاجون إليه من السلع ،وخاصة منطقة بطن مر والتي تقع شمالها ،فمعظم خضار مكة وفواكهه تأتي من بطن مر ووادي نخلة القريب منه وبطن نخل من جهة الشرق ،بالإضافة إلى الطائف،وهذه المناطق تعتمد على سوق مكة في بيع محاصيلها الزراعية [3].

٤ ـ توفر المياه بكثرة في مناطق الزراعة ،فبالرغم من عدم وجود ماء جار بمكة غير زمزم إلا أنه إذا جزت الحرم تجد هناك كثيراً من العيون والآبار والأودية كما في منى وعرفة والسوارقية والطائف[4].ووجدت المياه في المدينة بالقرب من سطح الأرض ، وأمكن الحصول عليها بسهولة عن طريق حفر الآبار في البيوت ، مما أسهم في زراعة أهلها للنخيل والبساتين.

٥ ـ كذلك قرب مدن الحجاز من البحر الأحمر مما ساعد على هطول الأمطار واعتدال المناخ.

وأهم المحاصيل التي اشتهر الحجاز بزراعتها هي :

١ـ القمح : وكان من المحاصيل الغالية الثمن ، واشتهرت الطائف بزراعته، وبطن مر ولكن

١- كلود كاهن:المرجع السابق ،ص١٢٣.
٢- ابن كثير : المصدر السابق ، ج١٠ ، ص ٥٥٤ ، ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٦ ، ص ١٧٣ .
٣- ابن بطوطة :المصدر السابق،ص١٣٢،١٣٠. أحمد عمر الزيلعي : مكة وعلاقاتها الخارجية ،،ص١٦٤.
٤-ابن حوقل : المصدر السابق ، ص٣٧. المقدسي :المصدر السابق، ص٩٧،٩٥.

يبدو أن الإنتاج لم يكن كافياً ، بدليل مدّ مصر وبلاد الشام للحجاز بهذه المادة [1].وهذا ما استغله الخلفاء الأمويون والعباسيون، ومنهم أبو جعفر عندما أغلق ميناء الجارلمدة ثلاثةعشر عاماً بعد ثورة محمد النفس الزكية سنه(١٤٥هـ). وهذا يدل على مدى افتقار الحجاز لهذه المادة الزراعية التي تتطلب زراعتها مياهاً وفيرة، فكانت ورقة ضغط استخدمه الخلفاء لتجويع الحجازيين في حال فكروا بثورة،او ساندوا ثورة ضدهم.

٢ ـ الشعير : كثر استخدامه في الأكل لرخصه ، وتحمله قلة المياه ، فمنه كان خبزاً لأكثر الناس،واستخدمه أهل المدن والبادية ، وزرع بالمدينة .

٣ـ النخيل : وتحتل زراعته المرتبة الأولى في الحجاز ، ويزرع في الطائف والمدينة ، حول البيوت وفي الحقول،وتكثر مزارع المدينة باتجاه جبل أحد ، وبوادي العقيق بين مكة والمدينة ، وحيث وجدت هناك بعض القبائل التي زرعت النخيل ؛ لأن معظم اعتماد أهل الحجاز على التمر فمنها معاشهم وأقواتهم [2]، وكانوا يتخذون من جريدها وجذوعها سقوفاً لبيوتهم ، بالإضافة إلى استفادتهم منها في صنع المكاتل والحصر التي برع بها الحجازيون [3].

٤ ـ الكرم : وهو العنب ، وقد اشتهرت الطائف بزراعته ، فمنه نبت في الحجاز ومن تربته ، وبعضه استورد من بلاد الشام بصورة خاصة ،حيث زرع بكثرة في منطقة الوهط التي تبعد حوالي ثلاثة أميال عن الطائف ،فمعظم فاكهة الطائف ومكة من هذه المنطقة ،واشتهر عنب الطائف بشدة سواده، وهو من أفضل أنواع العنب ، بالإضافة إلى (الحمنان) . وهو اسود يميل للحمرة ، صغير الحب [4] . وهكذا نجد أن الزراعة الحجازية لم يطرأ عليها تغير كثير سواء من ناحية أماكن زراعته ، أو أهم الزراعات به منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر العباسي . وهذا ربما يعود لطبيعة مناخه الذي يساعد على زراعة هذه المزروعات فقط دون غيرها، أو لوجود المياه في مناطق معينة مما حتم تركز الزراعة فقط في هذه الأماكن ، بالإضافة إلى محافظتهم على المحاصيل التي اشتهروا بها قبل ظهور الإسلام ،لأن هذه المحاصيل تشكل الدعامة الأساسية لقوت حياتهم ومعاشهم ؛ ولدخولها في حرفهم وأعمالهم ، ولأن التطور الزراعي واتساع حجمه يؤدي إلى نشوء بعض الحرف المرافقة له وتطوره _

---

١ ـ ابن جبير :المصدر السابق،ص١٦٣. خالد عزام : المرجع السابق ، ص ٨٦ .
٢ـ الإدريسي ، المصدر السابق ، ج١ ، ص١٤٣ ،١٤٤، كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٢ .
٣ـ ابن المجاور:المصدر السابق،ص ٣٦ .
٤ـ الحموي:معجم البلدان،ج٤،ص٩ .ابن المجاور :المصدر السابق،ص ٣٢ .جواد علي : المرجع السابق، ص ٧٣ ، ٧٤.

وهذا ماسنذكره في بحث الحرف- .وكان اعتماد أصحاب الملكيات الكبيرة في إدارة أمور زراعتهم وأعمالهم على العبيد والزنوج ،إلا أن التغيير كان في إقبال القبائل على امتلاك الأراضي ،وأهتمامهم بالزراعة وتوسعهم في استثمار الأراضي.

ب- الحرف :

إنّ غلبة الجفاف على مناخ الحجاز بشكل عام ، أدى إلى انتشار الصحارى فيه، مما أدى إلى غلبة صفة البداوة على الحجاز ، وجعل أهلها يعتمدون على التنقل في حياتهم بحثاً عن الكلأ والمرعى، وهذا أدى إلى عدم استقرارهم وممارستهم الحرف،مما جعلهم يحتقرون المهن والعمل بها باستثناء صناعة الحاجيات الضرورية لهم ، أو العمل على حماية القوافل التجارية المارة بأراضيهم ، أو العمل كدليل لها. وبهذا افتقر الحجاز إلى وجود صناعة بمعنى صناعة . وهذا ما بينه ابن خلدون عندما قال :أن العرب أبعد الناس عن الصنائع والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن العمران الحضري"[١]. والمقصود عند ابن خلدون بكلمة العرب (البدو). أما بالنسبة للمناطق الحضرية في الحجاز كمكة فقد ساعد وقوعها على خطوط التجارة العابرة بين بلاد الشام واليمن وبالعكس،على احتراف أهلها التجارة، فأسهم في تطورهم واستقرارهم - وهذا ما أشرنا إليه في بحث التجارة - وأسهم اعتدال المناخ في المدينة والطائف بالإضافة إلى وجود المياه والتربة الخصبة ، إلى ممارسة أهلها للزراعة . مما أدى إلى ظهور صناعات قائمة على المنتجات الزراعية ، مما أسهم أيضاً في استقرارهم . فالعرب كانوا يأنفون العمل بالحرف بشكل عام ، حتى عندما أرادوا بناء الكعبة في عهد رسول الله(ص)، استعانوا برجل قبطي يعمل كنجار في مكة لبنائه [٢] وبعد ظهور الإسلام ، وظهور الدعوة إلى الأمة والجماعة وتغير أحوال العرب،ومع حث الرسول على العمل سواء بالتجارة أو بالزراعة أو غيرها من المهن، بدأ إقبال أعداد كبيرة من المسلمين على هذه الأعمال وخاصة الزراعة، بعد توزيع الرسول (ص) الأراضي على أصحابه،وخاصة من المهاجرين- كما أشرنا في بحث الزراعة- والتي اعتمد فيها أصحابها على الأجراء والعبيد في زراعتها بعد الفتوحات

١- ابن خلدون : مقدمة، ص٣٠٠.
٢- ابن هشام : ، المصدر السابق ، ص ٩٩ .

الإسلامية . وخاصة بعد زيادة أعدادهم نتيجة الفتوحات،حتى أن الخليفة عمر بن الخطاب ساءه مشاهدته أن معظم العاملين في الأسواق منهم[١]. ولم تمدنا المصادر عن أحوال الأيدي العاملة في الزراعة في الحجاز من حيث أجور هؤلاء العمال والفترة الزمنية التي يعملون فيها وهل كانوا يعملون طوال النهار؟ وهل كانوا يتقاضون أجورهم نقداً أم عيناً من نوع الثمار التي تنتجها المزارع ،أم أنهم يعملون مع أسيادهم مقابل أدائهم ومعيشتهم فقط؟ كل هذه الأسئلة لم تجب عليها المصادر ولكن يبدو أن معظم عمال المزارع كانوا يسكنون مع أسيادهم في هذه المزارع حالهم حال أسيادهم،حيث ذكر الطبري أن الرقيق في الحجاز كانوا يعملون إلى جانب أسيادهم في المزارع[٢].وعمل العبيد والموالي بالبناء والأعمال اليدوية لما لهم من خبرة ، وخاصة في المناطق ذات الطابع الحضري في الحجاز؛لحاجتهم إليها كمأوى ومسكن ،فكانت مدن الحجاز عامرة بالبيوت والقصور منذ عهد أبناء الصحابة واستمر في العهدين الأموي والعباسي. ويدلنا على ذلك ، القصة التي رواها أبو حامد الغزالي عندما ذكر رحلة الفقيه حاتم بن الصم إلى المدينة المنورة، وأطلق عليها أسم مدينة فرعون بعدما شاهد عمرانها، وقصورها – وقد أشرنا إلى هذه الحادثة في بحث التجارة- وأيضاً وصف كل من ابن المجاور والمقدسي لبيوت أهل مكة فقد ذكروا أن بيوت أهل مكة أشبه بالحصون ومبنية من الحجارة البيضاء والسوداء الملس والسقف من خشب الساج ، وتتألف من طبقات[٣] .

ولكن بالرغم من ذلك إلا أن الحجاز كان مفتقراً للبنائين في العهد العباسي واعتمد على بنائين من خارجه ،فقد أشار المقدسي إلى توسعة الخليفة المهدي للمسجد الحرام وتجديده من خلال إحضاره البنائيين من مصر وبلاد الشام ،فقام هؤلاء بحفظ أسمائهم على أعمالهم[٤]. وهذا يدل على مدى غنى ورفاهية سكان مكة ؛التي كانت تعيش فترة استقرار ورخاء وخاصة في القرن الثاني الهجري ؛لعدم وجود حركات مناوئة ضد السلطة العباسية ،فاستعانوا بصناع من خارج الحجاز لعمران قصورهم وتزيينها.

أما بالنسبة لأهل البادية فقد كان سكنهم من بيوت للشعر والصوف ؛وهذا سبب عدم حاجتهم إلى مهنة البناء واحتقارها. و من الحرف التي ظهرت في الحجاز أيضاً صناعة النجارة والتي كانت من ضروريات العمران فكانت مادتها الخشب من أشجار النخيل التي أشتهر الحجازيون

---

١ - ابن شبه النميري : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٣٠٦ .
٢ -الطبري:المصدر السابق،ج٧،ص.٦٠٩
٣- ابن المجاور: المصدر السابق،ص١٩. المقدسي : المصدر السابق ، ص.٩١
٤- المقدسي : المصدر السابق،ص ٩٢.

بزراعتها في جميع مناطقه،حيث كان النجارون يصنعون الكراسي والمناضد والأبواب والسقوف الخشبية ، وصنعت بعض أداوت القتال من قبلهم كالأقواس والسهام والرماح وأدوات الحصار كالمجانيق،فكانت أيضاً مهنة الموالي والعبيد ،ولم تقتصر الحاجة إلى هذه الصناعة على المناطق الحضرية بل احتاجها حتى أهل الوبر من سكان البادية ،فكانت حاجتهم إليها اتخاذهم من الخشب العمد والأوتاد لخيامهم والرماح والسهام لسلاحهم. واستفاد أهل الحضر من هذه الصناعة في اتخاذ الخشب كسقوف أبواب لبيوتهم . ويقوم بهذه الصنعة النجار[١].ومن الصناعات التي اشتهر بها أهل الحجاز أيضاً الخمور، والمكاتل المصنوعة من سعف النخيل،ودباغة الجلود من خلال معالجتها وتحويلها إلى مادة ناعمة لصنع الأحذية والدلاء،وراجت هذه الصناعة في مكة والطائف[٢]. فالجلود كانت تدخل في بناء بيوت العرب وألبستهم ؛ لذلك اهتم بها العرب كثيراً ،ومن المعروف أن صناعة ودباغة الجلود تحتاج إلى الجو الملائم ، والحيوانات التي تؤخذ منها الجلود ،ووجود أسواق للتصريف ،وهذه الأمور جميعها كانت متوفرة في مدن الحجاز،فكانت هذه الجلود المدبوغة تصدر إلى بلاد الشام والعراق أثناء مواسم الحج – كما أشرنا-، وتوافرت المادة التي تقوم عليها دباغة الجلود والتي كانت تضاف للجلد وتجعله صالحاً للاستعمال ،وهذه تستخرج من أنواع خاصة من الأشجار والتي كانت متوفرة بكثرة حول مكة ومنها(الغلقة والغرف والظليان والدهناء والقرظ) وأهمها القرظ الذي وجد في وادي العقيق قرب المدينة المنورة وحول مكة والطائف وعليه تقوم دباغة الجلود [٣]. إلا أن هذه الصناعات التي مرت معنا كلها كانت مهنة العبيد والموالي بينما كانت صناعة العرب العمل التجاري ، الذي تشرفوا به، ولم يأنفوا من العمل منه ، بل شرعوها على باقي الحرف وعملوا بها بأنفسهم[٤] ، أما أهل البادية فقد اقتصر عملهم على ما تنتجه مواشيهم وإبلهم والمتاجرة بها مع المدن واستبدالها بالسلع الضرورية لمعيشتهم ،بالإضافة إلى أعمالهم الزراعية – التي تطرقنا إليها في بحث الزراعة- وعمل بنو سليم في تربية النحل حيث كانت

١-ابن خلدون :مقدمة ،ص ٣٠٤ ،٣٠٥.

٢- ابن المجاور:المصدر السابق،ص ٣٦ .

٣-أحمد فاروق: دباغة الجلود ،مجلة العرب، ج٧،٨ ،السنة العاشرة ،١٣٩٦هـ ،ص٥٤٤،٥٤٣.

٤- الغزالي :المصدر السابق، ج٢ ، ص ٤٩٥ .

لهم بها شهرة كبيرة ،وكان عسل الحجاز من مناطقهم فيشتري الحاج وأهل واليمن منهم[١]. وكان التعدين في الجزيرة العربية في العصر العباسي يتمثل في معادن الفضة والذهب والحديد والعقيق وعمل باستخراجه بنو سليم من مناطقهم في معدن فاران ، إذ أن المعادن إذا ظهرت في ارض ليست مملوكة لأحد تكون ملكاً للدولة أي تدخل في ملكية الأمة العامة ،ولكنها إذا وجدت في أرض قبيلة تكون لها ؛من خلال استثمار بني سليم للمعادن الموجودة في مناطق انتشارهم في الحجاز دون تدخل الحكومة المركزية به، وهذا يدل على أن مناطق سكن القبائل هي ملكية خاصة ،من خلال متاجرة قبيلة بني سليم بالمعادن المستخرجة مع أسواق المدينة المنورة،والتي كان معظم العاملين فيها من العبيد. وما ثورة السودان- التي أشرنا إليها في بحث التجارة المحلية - إلا دليل على مدى دور هؤلاء العبيد في الأعمال التجارية والأسواق . ومما تقدم يظهر أن أهل الحجاز عامة كانوا يترفعون عن العمل بكثير من المهن ، حتى مع تغير نظرتهم إلى هذه الأعمال ، وربما كان وراء هذا الترفع هو زيادة الترف في الحجاز ، بعد انصرافهم عن السياسة ، وزيادة الموالي والعبيد، وظهور فنون الغناء،فكان عدد كبير منهم يقضي وقته في مجالس الغناء، حيث نشأت مدارس خاصة للغناء .وهذا ما سنبحثه بشيء من التفصيل في بحث الشعر والغناء في الحجاز في آخر الباب الثالث . واتجه عدد غير قليل من أهل الحجاز إلى البحث في الأمور الفكرية والتدوين التاريخي والاشتغال بالعلوم الدينية، فظهر عدد كبير من الفقهاء ، والذين ذاع صيتهم في كل أنحاء العالم الإسلامي- وهذا أيضاً ما سنتطرق إليه في بحث العلوم الدينية في الباب الثاني- .

وأخيراً نخرج مما تقدم بأن الاقتصاد الحجازي في هذه الفترة قد شهد ازدهاراً وتكاملاً بين منتوجاته المحلية من زراعية وثروات باطنية وسلع استهلاكية ،وبين ما كان يرد إليه من تجارات عبر طرقه البرية والبحرية ،فقامت بذلك حركة مبادلات واسعة النطاق بينه وبين الأمصار والأقاليم المجاورة ،وخاصة في مواسم الحج والعمرة ،فوردت إليه بضائع الشرق من الهند والصين والسند والغرب من الأندلس والقسطنطينية ،ليكسب بذلك شهرة كبيرة ورفاه لسكانه.

١- ابن المجاور :المصدر السابق،ص ٣٢.

الفصل الأول :

أولاً: العلوم الدينية وفروعها :

نشأت في ظلال الحديث النبوي ، وبدأ تدوين كل مادة تتصل بالتشريع من فقه وتفسير في بداية القرن الثاني للهجرة . فقد كانت الحركة الدينية أكبر الحركات العلمية وأوسعها نشاطاً ،من خلال إقبال الناس على القرآن يفهمون معانيه ويفسرون آياته ويستنبطون منه الأحكام،وكذلك فعلوا في الحديث النبوي، فقد بدأت هذه الحركة في حياة الرسول (ص) ، ثم أخذت بالاتساع بعده ، فتولى القيام بها أصحابه ،حيث تفرق هؤلاء الصحابة في الأمصار الإسلامية بعد الفتوحات فأنشؤا حركة علمية في كل مصر نزلوه ، و كونوا المدارس ، وأصبح لهم تلاميذ ينقلون عنهم العلم . ولمّا هلك هذا الجيل من الصحابة ، ظهر جيل التابعين ثم تابعو التابعين الذين نقلوا علومهم، وعنهم أخذ العرب الفاتحون الأولون ، وأهل البلاد الأخرى القرآن الكريم وتفسيره والسنة النبوية المشرفة ، والمبادئ الأولى في الفقه والشريعة ،فقد كان التابعون لا يكتفون بما سمعوا من أحاديث الصحابة في بلادهم؛ بل يرحلون إلى عاصمة العلم (المدينة المنورة)،يسألون من بقي من أصحاب النبي(ص)؛ فصاغوا بذلك علوم الدين الأولى في الأمصار المختلفة ، حيث كان أكثر حملة العلم في عصر الصحابة العرب[1]؛لأن معظمهم عرب.فلما أخذ هؤلاء الصحابة يعملون في الأمصار المفتوحة شاركهم العجم من الموالي في تلقي العلوم، حتى جاء العهد العباسي فكانت شريحة كبيرة من علماء الدين من الموالي وأبنائهم[2].

وبالرغم من هذه الهجرة من قبل الصحابة إلى الأمصار الإسلامية وفقدان الحجاز لمكانته السياسية ، إلا أن مكانته الروحية والدينية لم تتزعزع ، وخاصة بعد عودة قسم منهم إلى الحجاز في العهد الأموي ، وكذلك أسهمت مشاركة الموالي في الحياة الدينية إلى إبقاء هذه المكانة من خلال تفضيلهم الإقامة في الحجاز في العهد الأموي - كما أشرنا في بحث الموالي - .

وعادت أعداد كبيرة من الصحابة العرب إلى الحجاز سواء في العصر الأموي أو العباسي

١- شاكر مصطفى: المرجع السابق،ج٢ ،ص٢٥٦.
٢- أحمد أمين:فجر الإسلام،ج١ ،ص١٦٥.

للابتعاد عن ذوي السلطان [1] .

ومن هنا تقرر لنا حقيقة ،هي أن الصحابة يرجع إليهم الفضل في ظهور العلوم الدينية وانتشارها من خلال علم الرواية للحديث ؛ذلك لأن الحديث النبوي في حياة الرسول الكريم(ص)،كان علما يُسمع،فلما لحق النبي(ص) بالرفيق الأعلى حدث عنه الصحابة بما حفظته صدورهم فرووه للناس بغاية الحرص والأمانة.

وشهد العهد العباسي تطورات جديدة بالنسبة للعلوم الدينية ، حيث ظهر تدوين العلوم، فظهرت طبقات من المحدثين والفقهاء والمفسرين وظهرت المدارس الدينية ، وتعددت المذاهب الفقهية، كالمذهب الجعفري،والمذهب الحنفي،والمذهب المالكي ، والمذهب الشافعي،والمذهب الحنبلي،ومن أسباب ظهور هذه المذاهب هو:

١- امتزاج الثقافة العربية بثقافات الأمم السابقة، وخاصة دخول الموالي إلى مجال العلوم الدينية.

٢- ترجمة الكتب العلمية المختلفة إلى العربية .

٣- ازدهار الثقافة الدينية .

٤- تعقيدات الحياة المدنية والذي أدى إلى ظهور كثير من المسائل،وأختلاف الفقهاء في الأحكام عليها.

٥- كثرة تنقل طلبة العلم بين الأمصار الإسلامية ؛مستفيدين من وحدة البلاد الإسلامية واتساعها ، وبحثهم عن علوم صحابة رسول الله(ص) بين هذه الأمصار، فأخذوا عن فقهاء مختلفين كلٌ حسب إقليمه ،وعمن أخذ علمه من الصحابة ودرجة اعتماده على الحديث أو الرأي أو كلاهما.

ومن أهم العلوم الدينية في العصر العباسي :

أولاً :علم الحديث :

أنزل الله سبحانه كتابه الحكيم هداية مبينة تضيء للناس سبل السعادة والسلام في دنياهم وآخرتهم ،وجعله معجزة لرسوله محمد (ص)،باقية إلى يوم القيامة،تنادي العالم إلى الهدى والحق، ثم أعطاه السنة مفصلة للكتاب وشارحة له،فتكون وظيفة الرسول(ص) بيان الذكر

١- رياض زركلي:المرجع السابق،ص٢٧٦.

الحكيم،فيكون موقع السنة النبوية من القرآن هو موقع الشارح والمفسر له،والسنة بعد نقلها عن الرسول الأعظم(ص)تصبح علماً تسمى علم الحديث .

وقد عرف ابن خلدون هذا العلم : ((بأنه إسناد السنة إلى صاحبها ، والتحدث عن الرواة الذين يتولون نقله ودراسة أحوالهم ، ومدى عدالتهم ومصداقيتهم)) [١] . وعرفه حسن إبراهيم حسن : ((بأنه ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير.ويأتي بالأهمية بعد القرآن الكريم)) [٢].

ونصل من خلال هذين التعريفين إلى تعريف شامل لعلم الحديث : هو علم يشتمل على أقوال النبي (ص) وأفعاله وتقريراته وصفاته ورواياتها ، وضبطها وتحرير ألفاظها والعلم بأحوال السند والمتن ، من حيث القبول أو الرفض؛ أي معرفة الراوي والمروي ، وذلك للقيمة الكبيرة للحديث في الدين . حيث يأتي بالأهمية مرتبة بعد القرآن الكريم . فكثير من آيات القرآن مجملة أو مطلقة فجاء قول النبي أو عمله مبيناً لها ، بالإضافة إلى تخصيص عموميات الكتاب و تقييد المطلق به ، وبيان ناسخه ومنسوخه ، وعرض أحكام الفقه من العبادات والمعاملات ، بإعطاء القواعد الكلية التي يتمسك بها الفقهاء في استنباطهم للحكم الشرعي . ومن هنا جاءت عناية الأئمة الأطهار عليهم السلام بعلوم الحديث . فقد كانت هذه الأحاديث موضع اهتمام وتدقيق كثير من علماء الدين المسلمين ، ذلك أنه بعد وفاة الرسول (ص) لم يكن السواد الأعظم من العرب يستطيعون القراءة والكتابة، حتى إن تاريخ هذه الأمة لم يدون إلا بعد زمن طويل ،فوجد في المدن الإسلامية أصحاب أهواء وآراء شتى ، وخاصة بعد الفتوحات ودخول الإسلام ما لا يحصى من الأجناس من فارسي ورومي وبربري ، وكان من بين هؤلاء من لم يتجاوز إيمانهم حناجرهم ، مما أدى إلى كثرة الوضع والتبديل والتحريف. وإذا كان لا أحد يجرؤ على تحريف القرآن الكريم ، فقد وجدت دوافع شتى لوضع الحديث أو تحريفه ، فظهر تباين في الآراء الفقهية . فتراكمت كمية واسعة من الأحاديث حار الفقهاء في قبولها أو رفضها ، ووضعوا لتنقيتها علوم الدين .

وقد أشار ابن خلدون إلى هذه العلوم ومنها :

١ ـ معرفة الناسخ والمنسوخ .

١- ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٢٣ .

٢-حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق، ج٢ ، ص ٣٣٠.

٢- أحوال نقلة الحديث من الصحابة والتابعين [١].

ومن أوائل المهتمين بهذه العلوم الإمام محمد الباقر عليه السلام، حيث أولى اهتماماته العلمية بالأحاديث الواردة عن جده رسول الله (ص) ، وعن آبائه الأئمة الأطهار عليهم السلام ، باعتباره المصدر الثاني للتشريع الإسلامي . فاهتم بالناسخ والمنسوخ،وأعدّ له رجالاً وحملة يحفظونه من الضياع أمثال جعفر الجعفي،و إبان بن تغلب(ت ١٤١ هـ) و زرارة بن أعين [٢]، وعنه أخذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام علم الحديث، ووضع له القواعد الأصولية لتمييز الصحيح من غيره في مجالات تعارض الأخبار ؛لارتباط علم الحديث في عهده بالسير والمغازي،والذي بدأه عروة بن الزبير و إبان بن عثمان .ويعتبر أبو بكر محمد بن مسلم الزهري أول من دون الحديث على رأس المائة الهجرية بأمر من الخليفة الأموي"عمر بن عبد العزيز "الذي قال فيه: بأنه لم ير محدثاً" أحسن سوقاً من الزهري في الحديث إذا حدث ومن بعده كثر التدوين والتصنيف [٣]. ويعتبر الزهري بأنه أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر في موضوع واحد لإدماجها في حديث إجماعي يصدر بأسماء الرواة مجتمعين[٤].فأصبح المحدث هو الذي يسند الأحاديث، وهو أشرف موضوعاً وأسمى منزلة من الإخباري؛ لشرف موضوع الحديث من جهة ، وإلى أن الأخبار وخصوصاً قديمها كانت معرضة للتلفيق والاختلاق ، فضعفت أحاديث المحدثين الذين يعتمدون على الأخبار(كمحمد بن إسحق) الذي كان أصلاً راوياً للحديث في المدينة ، ثم توجه إلى بغداد[٥]. بعد أن أصبحت مركزاً للحياة العلمية بظهور الخلافة العباسية، وانتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد. وقد شهد العهد العباسي ازدهاراً للحياة العلمية في علوم الحديث والتفقه في الدين ، وقد بلغت أوجها في الرواية عن رسول الله (ص) والصحابة والحديث والفتاوى.وكان مع الرواية فقه واجتهاد،فظهر عدد كبير من التابعين منهم :(ربيعة الرأي ، وسفيان بن عينية، ومالك بن أنس)[٦]. فاكتمل بذلك علم الحديث، وخضع لقواعد يتداولها العلماء ،فقد وجد في هذا العهد عدة أمور منها: طول الأسانيد وتشعبها وهذا من

---

١ - ابن خلدون : مقدمة ، ص ٣٢٧ .
٢ - ابن النديم :المصدر السابق ،ص٢٢٠ .
٣ - ابن كثير: المصدر السابق،ج٩،ص ٣٩٦ .
٤- حسين نصار : المرجع السابق، ص ٤٧ .
٥ - ج هرنشو: علم التاريخ، ص ٣٨ .
٦-ابن خلكان(ابي العباس شمس الدين أحمد ،ت٦٨١هـ)،وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان،ج٢، ص ٣٩١،٢٩٠،٢٨٩.

نتائج بعد العهد ،بالإضافة إلى تعدد الفرق الدينية . وهذه الأمور أدت إلى نهضة الأئمة في ذلك العهد لمواجهة هذه الأمور؛فظهرت مدارس دينية كـ (مدرسة المدينة المنورة(الحديث) – مدرسة العراق (الرأي).وكانت درجة الاعتماد على الحديث هو من أهم الفروق بينها.

علم الحديث بين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي:

مثل مدرسة الحديث (أهل الحجاز) ، ومدرسة الرأي (أهل العراق) ؛ لأن المدينة كانت مسكن الرسول ،و بها تنزّل الوحي بالشرائع ، وبمكة ظهرت عقيدة التوحيد، ومنها انطلق الإسلام ، وفيها كان الحكم لله ولرسوله .

فقد ردّ الإمام مالك بن أنس على طلب الخليفة هارون الرشيد عندما طلب منه الذهاب معه إلى العراق بأحاديث عن الرسول (ص) في فضل المدينة المنورة والإقامة فيها فقال: قال رسول الله (ص) : (المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون) وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً :(المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد)[1]. وكان لاعتصام أهل البيت في المدينة دور كبير في بروز المدينة من الناحية الدينية،فقد تتابع بها أئمة أهل البيت " علي زين العابدين ، ومحمد الباقر ، وجعفر الصادق " عليهم السلام. فقد تلقى الإمام " جعفر الصادق " من أبيه كل ما وعاه قلبه وقرأ كل ما حوته كتبه واستمع إلى علماء العصر ، وانتفع بعلوم جده لأمه القاسم بن محمد بن أبي بكر ، حيث كانت ولادة الإمام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالمدينة في سنة (٨٣ هـ) وتوفي في (١٤٨هـ)، وأمه فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وقبره بالبقيع[2] .

وكان القرن الهجري الأول قد شهد ظهور عدد كبير من المحدثين ففي المدينة إلى جانب أئمة أهل البيت، حيث ظهر عطاء بن أبي رباح (ت ١١٥ هـ) ، وهو مولى آل مسيرة خيثم الفهري ، وعكرمة مولى ابن عباس ، وعبد الله بن أبي رافع مولى أمير المؤمنين (علي بن أبي طالب)عليه السلام [3]. وتلاميذ الإمام (محمد الباقر) عليه السلام - سبق أن أشرت إليهم - وهناك عطاء بن يسار مولى أم المؤمنين ميمونة (ت ١٠٣ هـ)، وهو ثقة إمام وروى عن كبار الصحابة.وعاصم بن ابي النجود(ت ١٢٧ هـ) والذي كان أحد القراء السبعة لذلك أطلق عليه عاصم المقرئ، وسعيد بن المسيب(ت ٩٤ هـ) بالمدينة وكان جامعاً للحديث ثقة[4].

---

١ - الغزالي :المصدر السابق،ج١،ص٦٠ .

٢ - الطوسي(محمد بن الحسن الطوسي،ت ٤٦٠ هـ) : تهذيب الأحكام ، ج٦ ، ص ٧٨ .

٣- ابن خلكان: المصدر السابق،ج٣،ص٢٦٥،٢٦٢ .

٤ - ابن خلكان:المصدر السابق،ج٣،ص٩ ، ابن سعد : المصدر السابق، ج٥ ، ص ١٤٣.

وكانت مكة قد ازدهت بمدرسة (ابن عباس) في أواسط العهد الأموي . كان هناك عمرو بن دينار الذي كان كثير الحديث ثقة [١]، ومجاهد بن جبر الإمام(الحبر المكي)،وهو مولى قيس بن السائب المخزومي(ت ١٠٤ هـ)[٢].

وفي العراق حيث ظهرت مدرسة الرأي، والتي قلت فيها مادة الحديث؛ لانشغال أهلها بالصراعات مع السلطة الأموية ، فقد اعتمدوا فقط على الأحاديث التي حفظوها من قضايا الصحابة الذين نزلوا بين ظهرانيهم ، (كالإمام على بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود) ، فقد اعتمد أهل العراق في اشتقاق أحكامهم بعد القرآن والقليل من الحديث الذي قبلته على القياس [٣].

أمّا في القرن الهجري الثاني فقد أصبح الحديث علماً مستقلاً وغير مرتبط بالسير والمغازي،وذلك منذ سنة (١٤٣هـ) حيث ظهرت طبقة التابعين وتابعي التابعين وبدؤوا بتصنيف الحديث وفق أبواب ،فدوّن الإمام مالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) الموطأ في المدينة ، وعبد الملك ابن جريج (ت١٥٠هـ) في مكة ، وسفيان الثوري في الكوفة [٤]. وكان عبد العزيز بن الماجشون أول من عمل موطأ ، واطلع عليه الإمام مالك بن أنس ونقده؛ لأنه لم يبتدئ بالحديث [٥]. ومثّل مدرسة الحجاز الإمام مالك بن أنس(ت ١٧٩هـ)، الذي قال فيه سفيان بن عينيه: كان الإمام مالك يتشدد بانتقاده للرجال،وكانت مناقبه كثيرة.وتوفي وله خمس وثمانون سنة ،ودفن بالبقيع [٦].

ومثّل مدرسة العراق الإمام أبو حنيفة النعمان (ت ١٥٠ هـ)، الذي كان أصله من كابول،وأسلم جده المرزبان أيام عمر بن الخطاب وتحول إلى الكوفة ، وكانت ولادته (٨٠ هـ)، وأخذ أبو حنيفة علمه كما ذكر وهبي غاوجي عن (إبراهيم بن محمد المنتشر الكوفي ، وإبراهيم بن يزيد

---

١ - أحمد السباعي : المرجع السابق ، ج١ ، ص ١٧٥ ، ١٧٦ .
٢ - ابن العماد : المصدر السابق، ج٢ ، ص ١٩ ،ا بن خياط : المصدر السابق،ج٢، ص ٢٥٩.
٣ - شوقي ضيف : العصر العباسي الأول ، ص ١٢٦ .
٤- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ت ٩١١ هـ)، تاريخ الخلفاء ، ص ٣١٦ .
٥- ابن خلكان: المصدر السابق،ج٣،ص ١٦٦، محمد أبو زهرة : مالك ، ص ١٢٨ .
٦ - ابن كثير: المصدر السابق ،ج١٠ ،ص٦٠٢، ٦٠٣.

النخعي ، وربيعة الرأي ، وسعيد بن مسروق)[1].ولكن إدعاء أخذه العلم من ربيعة الرأي بحاجة إلى تحقيق ،لأنه لم يرد أي ذكر في المصادر على اجتماع أبي حنيفة ومالك بن أنس في الأخذ من ربيعة الرأي ، بل الثابت أن الإمام مالك هو من أخذ من ربيعة الرأي بالرغم من أخذ ربيعة بالرأي.فقد روى ضمرة بن ربيعة عن ربيعة الرأي قال : قال ربيعة :"رأيت الرأي أهون عليّ من تبعة الحديث"[2]. ولكن ممثلي المدرستين اجتمعا في الأخذ عن الإمام جعفر الصادق ، ولكن في حين كان الإمام مالك من أهل المدينة فقد تأثر بالإمام جعفر أكثر ، وأخذ من علمه الكثير على عكس الإمام أبي حنيفة الذي أخذ عن الإمام مدة سنتين[3].وكلا المدرستين كانتا تأخذان بالرأي ، ولكن مدرسة الحجاز للثروة الأثرية الضخمة من فتاوى الصحابة والتابعين واجتهادهم فكان الرأي لديهم مستمد منه، لذلك وقفوا عند النص ،فقد كان فقهاء الحديث إذا عرضت لهم مسألة فقهية عرضوها على كتاب الله ،ثم على سنة رسول الله (ص)،فيكون الرأي عندهم توفيقياً بين النصوص والمصالح المختلفة .

أما مدرسة الرأي في العراق ،والتي اشتهرت الكوفة في احتضانها ،فانها لم تبلغ ما بلغته مدرسة المدينة بهذا الشأن.فقد كان أبو حنيفة يمضي الأمور على القياس ، فإذا قبح القياس أمضاها إلى الاستحسان،فكان يوصل الحديث المجموع عليه والمعروف

ثم يقيس عليه.وقد يكون اعتماد العراق على الرأي ؛هو ازدحام الأفكار والصراعات بين التيارات ،التي شهدتها العراق بعد انتقال مركز الحكم إليها ، بالإضافة إلى قلة ما وصلهم من حديث.

ويرجع بعض المؤرخين مدرسة الرأي إلى الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود [4]. وهذا غير صحيح بالنسبة للإمام علي عليه السلام ؛ لأنه كان من أكثر الصحابة المروى عنهم ؛ لاتصاله بالرسول(ص).

وتابع أئمة البيت عليهم السلام طريقته في الاعتماد على الحديث ومنهم تشكلت مدرسة المدينة ؛ لارتباط علم الإمام مالك بالإمام الصادق - كما أشرنا – مع التميز بين مدرسة الإمام مالك ، ومدرسة آل البيت (عليهم السلام) .

١- الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج٦،ص٩٠.
٢- وهبي سليمان غاوجي : أبو حنيفة النعمان ، ص ٤٧ ، ٥٨ ، ٥٩ .
٣- الذهبي : المصدر نفسه،ج٦،ص٢٥٦.
٤- محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

وما يثبت أيضا رفض الأئمة عليهم السلام للرأي والقياس ، من خلال مناظرة الإمام الصادق عليه السلام للإمام أبي حنيفة النعمان ، وطلب منه عدم الأخذ بالرأي والقياس. واستشهد له بحديث عن أبيه عن جده عن رسول الله (ص): "من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس ، فإنه أول من قاس . قال : خلقتني من نار وخلقته من طين ، فدعوا الرأي والقياس ، فإن دين الله لم يوضع على القياس "[1] .

وكانت مدرسة المدينة أعلى سنداً لما سواها من الأمصار ، وأمتن في الصحة؛وذلك لاستبدادهم بشروط النقل من العدالة والضبط ،وابتعادهم عن قبول المجهول، واتصال السند إلى أن يبلغ النبي (ص).

ومن أشهر الفقهاء الذين تبعوا للمدرستين :

أ ـ مدرسة الحديث :

- هشام بن عروة بن الزبير، وهو أحد تابعي المدينة المشهورين ومن أكابر العلماء من أهل المدينة،سمع عبد الله بن الزبير،وابن عمر،وجابر بن عبد الله الأنصاري،

وأنس بن مالك ، وروى عنه كل من سفيان الثوري والذي كان من رجال الحديث ، ومالك بن أنس ، وعبد الملك بن جريج ، وتوفي(١٤٦ هـ) في بغداد عن (٨٦ سنة)[2] .

- عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج (ت ١٥٠ هـ) الذي كان علماً من أعلام مدرسة مكة ، وهو أول من جمع السنن ، و نقل عنه سفيان بن عينيه الذي كان أيضاً من مدرسة الحديث (ت ١٩٨ هـ) [3].

- شعبة بن الحجاج الأزدي شيخ البصرة(٨٠هـ- ١٦٠هـ) ،وروى عنه شيوخ مدرسة الحديث (إبان بن تغلب، وسفيان الثوري) . وقال عنه سفيان الثوري عندما سمع بوفاته :" مات الحديث " [4].

- الإمام سفيان بن سعيد الثوري (٦٦ هـ - ١٦١هـ)، وكان يعدّ أمير المؤمنين بالحديث . وعبد الرحمن بن أبي الموالي المدني (ت١٧٤هـ):مولى آل علي كرم الله وجهه . وروى عن الإمام (الباقر) عليه السلام [5].

---

١ - ابن خلكان :المصدر السابق،ج١،ص ٤٧١ .
٢ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٧.
٣- ابن الأثير : المصدر السابق ، ج٦ ، ص٢٦٦ ، ابن كثير : المصدر السابق ،ج١٠ ، ص ٥٢٦ ، أحمد السباعي : المرجع السابق، ج١ ،ص ١٧٥ ، ١٧٦.
٤ - الذهبي : العبر في خبر من غبر،ج٢ ، ص ١٨٠ . الذهبي:سير أعلام النبلاء ،ج٧، ص٢٠٤ .
٥- ابن العماد : المصدر السابق ، ج٢، ص ٢٧٤، ٢٧٥ ، ٣٣٥ .

- مالك بن أنس بن مالك (٩٣ – ١٧٩هـ): من أئمة الحديث في المدينة وقد أخذ العلم عن عدد كبير من الشيوخ ذكر معظمهم في (الموطأ) الذي وضعه بناءً على طلب ابي جعفر المنصور:(جعفر بن محمد الصادق ربيعة الرأي، هشام بن عروة ،يحيى بن سعيد الأنصاري).وممن روى عنه(من شيوخه الزهري ،ويحيى بن سعيد ، وروى عنه سفيان الثوري ،وابن جريج ، وسفيان بن عينية ، ومحمد بن الحسن)،وقد ثنا كثير من علماء وفقهاء عهده عليه فيقول ابن عيينة " مالك عالم أهل الحجاز وهو حجة زمانه" ووضع [1].

- سفيان بن عينيه (ت١٩٨هـ) ابن أبي عمران ميمون ولد في الكوفة وانتقل إلى مكة،سمع عن ابن شهاب الزهري ،وهشام بن عروة ،وحدث عنه من شيوخه ابن جريج وشعبة بن الحجاج،وقال فيه الشافعي"لولا مالك وسفيان بن عينيه ،لذهب علم الحجاز "[2]. وبالنظر إلى سيرة سفيان بن عينية نرى أن جميع من أخذ عنهم وأخذوا عنه هم شيوخ مدرسة الحديث .

- أبو ضمرة(أنس بن عياض الليثي ،ت ٢٠٠ هـ) محدث المدينة والسائر على خط مالك وهو من أهل المدينة [3].

- ومحمد بن إدريس الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ) : ولد بغزة وانتقل إلى مكة بعد سنتين من ولادته أخذ عن شيوخ الحجاز كسفيان بن عينيه ،ومالك بن أنس الذي حفظ عنه (الموطأ) ،ومن شيوخ الرأي في العراق محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة النعمان [4]. وهذا التنوع في المدارس والشيوخ الذين أخذ عنهم الشافعي وراءالتنوع في التصنيف عنده ،وخاصة في الفقه،والقدرة على الرد على الأئمة في المسائل التي يعرضونها عليه .

- أحمد بن حنبل الذهلي الشيباني المروزي(١٦٣- ٢٤١هـ) :من شيوخه : سفيان بن عيينة، والقاضي أبو يوسف، ووكيع، وعبد الرحمن بن مهدي، والشافعي، وخلق كثير ،وروى عنه من شيوخه: الشافعي. ومن أقرانه: علي بن المديني، ويحيى بن معين، وخلق .وقد ترجم له الذهبي في "تاريخ الإسلام " بترجمة طويلة ومما أورده فيها قول الإمام الشافعي رحمه الله :" خرجت

١- ابن العماد:المصدر السابق ،ج٢،ص ٣٥٠-٣٥٣ .
٢- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج٨ ،ص ٤٥٤- ٤٥٦ .
٣- الذهبي : دول الإسلام ، ص ١١٣.
٤- الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج ١٠ ،ص ٥-٧.

من بغداد، فما خلفت بها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أفقه ولا أتقى من أحمد " وقال:" ما رأيت أعقل من أحمد " . وقال إسحاق بن راهويه:" وما رأى الشافعي مثل أحمد بن حنبل . "وقال ابن معين:" ما رأيت مثل أحمد" [1].

– ومن الأصح نسب هذه المدرسة إلى الأمام الصادق(عليه السلام)، لإن معظم أصحاب هذه المدرسة كانوا قد أخذوا عن الإمام الصادق (عليه السلام)،كـ (ابن جريج، سفيان الثوري،سفيان بن عينيه ، وأبان بن تغلب ويتقدمهم مالك بن أنس) وجميعهم من أصحاب مدرسة الحديث.
ولكن هذا لا يعني أن كل ماجاء به الإمام مالك به من فقه هو موافق جميعهُ لفقه الإمام جعفر الصادق ؛ لأن للإمام مالك شيوخاً آخرين أخذ عنهم ، فكان فقهاً شاملاً لجميع من أخذ عنهم، وموافق للأسس التي يسير عليها والتي يؤمن بمصداقيتها ؛لذلك نجد اختلاف بين الفقه المالكي والذي ينسب للإمام مالك ، وبين فقه آل البيت والتي تنسب إلى الأئمة الأطهار (عليهم السلام)،والتي مثلها في ذلك العهد الإمام جعفرالصادق(عليه السلام)،بالرغم من اعتماد المدرستين على الحديث.

ب- ممثلو مدرسة الرأي في العراق : فيتصدرها الإمام أبو حنيفة النعمان وربيعة الرأي(ت١٣٦هـ) ، ومحمد الحسن الشيباني ، وأبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم ،وقد عاش مدة اثنتين وثلاثين سنة بعد أستاذه أبي حنيفة (ت١٨٢هـ)، وزفر بن الهذيل ، والحسن بن زياد اللؤلؤي [2].

من خلال ذكر علماء المدرستين نجد أن علم الحديث لم يكن مقتصراً على أهل الحجاز بل وجد علماء حديث في العراق ،و وجد علماء رأي في الحجاز .

ولم تكن العلاقة بين المدرستين عدائية إلى حد تكفير الطرف الآخر ، فقد كان أبو حنيفة يعجب بمالك وبفقهه وكذلك مالك . ولكنه كان يأخذ على أبي حنيفة كثرة القياس والرأي . وكان الإمامان يلتقيان والمعارف بينهم تتبادل ، فيجتمع شيوخ المدرستين أثناء مواسم الحج يتذاكرون ويتبادلون أنواع المعارف المتصلة بعلم الأثر
وعلم الفقه.فيلتقي الإمام مالك بالإمام أبي حنيفة ويتحدثان بالمسائل الفقهية ويفترقان وكلاهما يقدر رأي صاحبه [3].

١- الذهبي :دول الإسلام،ص ٢٠ ،ابن خلكان: المصدر السابق،ج١،ص٦٤.
٢- ابن كثير :المصدر السابق ،ج١٠ ،ص ٥٢٧. حسين الشاكري : المرجع السابق، ج٩، ص ٦٠٤ .
٣- محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

ولكن مع ذلك يلاحظ قلة شيوخ مالك من العراقيين؛ فقد كان متثبتاً في انتقاء الشيوخ والمرويات عامة، و كان شديداً – في الجملة - على العراقيين ومروياتهم خاصة، بل كان متردداً في قبول رواياتهم أو معرضاً عنها؛ ولذلك قل شيوخ مالك من العراقيين، فقدعاب مالك بن أنس على ابي حنيفة وأهل العراق أخذهما الأحاديث دون التحقق منها، فقد ذكر أن رجلاً جاء من العراق إلى المدينة فأقام ستين يوماً، فسمع عددها أحاديث فاشتكى إلى الإمام مالك ، وقال : " نحن نكتب من الحديث في ساعة أكثر من هذا " ، فأجابه الإمام مالك:

" بالعراق عندكم دار الضرب ، يضرب بالليل ويخرج بالنهار وكانت العراق تجيش علينا بالدنانير والدراهم ،والآن تجيش علينا بالحديث [1] ".

هذه أوجه الاختلاف بين المدرستين وهو ما سنتوسع به في علم الفقه ، وبيان موقف الخلافة العباسية منهما.

١- الذهبي : سير أعلام النبلاء ،ج٨ ، ص١١٤.

ثانياً-علم الفقه :

الفقه لغة : " هو الفهم والعلم " ولعله من قوله تعالى : " قالوا : يا شعيباً لا نفقه كثيراً مما تقول " [١].

علم الفقه كما عرفه ابن خلدون بأنه : " استنباط الأحكام من مصادرها بوجه قانوني لمعرفة أحكام الله على المكلفين بها "[٢].

واصطلاحاً : " عبارة عن مجموع الأحكام الشرعية الفرعية"، ولعل من قوله تعالى: { فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ } [٣] . ومما تقدم نصل إلى تعريف جامع للفقه، هو معرفة الحلال لاتباعه والعمل به والحرام لتجنبه ، والحذر منه ؛ وذلك ابتغاء مرضاة الله . وكان الرسول(ص) مرجع الصحابة الكرام رضي الله عنهم في جميع ما يعرض لهم من القضايا عقيدية أو عملية ، وقد كان بعض الصحابة يفتون في عهده أثناء غيابه ، وجميعهم يرجع إليه فيما أفتى . حيث كانوا يجتمعون في المسجد؛ لتعليم الدين والنهل من العلوم الشرعية ، وقد كان الناس صغاراً وكباراً يدرسون العلم في الجامع أو المسجد تبركاً فيهما من جهة، ومن جهة أخرى هو المكان المناسب لاستيعاب أكثر عددٌ من المسلمين.وفي العهد الراشدي أبقى الخليفة عمر بن الخطاب أكثر الفقهاء من الصحابة بجواره، ولمّا قتل سمح لهم خليفته عثمان بن عفان بالخروج ، وفي عهد الخليفة الرابع الإمام علي عليه السلام خرج هو ومشايعوه الأصل العلمي لمدرسة الكوفة بما تلقوه عليه من فتاوى و أقضية ، وما رأوا من أحاديث نبوية. فلما جاء العهد الأموي رجع كثير من الصحابة إلى المدينة ؛ليبتعدوا عن ذوي السلطان ،ليعود الفقه إلى الحجاز من جديد [٤].

الفقهاء في القرن الأول الهجري : الإمام أبو جعفر " محمد الباقر " ، علي بن الحسين عليه السلام " ولد سنة ٦٥ هـ " وهو من أهم فقهاء المدينة ، وقال عنه عبد الله بن عطاء:(ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم علماً عنده)[٥]. والفقهاء السبعة (سعيد بن المسيب ـ عروة بن الزبير ـ عبيد الله بن عبد الرحمن بن الحارث ـ والقاسم بن محمد بن أبي بكر ـ وعبيد الله بن

---

١ ـ القرآن الكريم : سورة هود / ٩١ / .
٢ ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٣٢٣ .
٣ ـ القرآن الكريم : سورة التوبة / ١٢٢ / .
٤ـمحمد ابو زهرة:المرجع السابق ،ص١٢٨ .
٥ ـ ابن العماد : المرجع السابق، ج٢ ، ص ٧٢ .

عبد الله بن عتبة بن مسعود- سليمان بن يسار- خارجة بن زيد بن ثابت)[1]. بالإضافة إلى علماء الحديث والتفسير الذي سبق - وإن أشرنا إليهم في البحث المتقدم عن الحديث . ومع اتساع رقعة أرض الإسلام ، ودخول أقوام كثيرة إلى الدين الإسلامي نمى الفقه والاجتهاد أكثر مما كان عليه في عهد الصحابة ، واشتدت عناية أهل العلم بالعلوم الدينية من حديث وتفسير، فشدوا الرحال لملاقاة الصحابة وتابعيهم ، والرواة عنهم ، حيث كانت جميع العلوم الدينية مجموعة بعلم واحد ، ثم أخذت هذه العلوم تستقل بعضها عن بعض ،فعلماء الحديث أطلق عليهم المحدثون ، والفقه الفقهاء. وكانت المدينة هي المرجع الأول في الفقه والإفتاء في العهد الأموي ، والخلفاء الأمويون لا يقطعون أمراً دونهم؛ لتأثيرهم على الناس من جهة ، ومكانة الحجاز الدينية من جهة أخرى. تغيرت هذه الأمور في العهد العباسي ، فقد وقف خلفاء العهد العباسي إلى جانب فقهاء العراق الذين اعتمدوا على الرأي والقياس ، وشكلوا مدرسة الرأي بقيادة أبي حنيفة النعمان ؛ لأنهم رأوا أن أهل البدع والأهواء قد عمدوا إلى وضع أحاديث تؤيد ما هم عليه وكانوا كثرة في القرن الثاني الهجري . مما تعين على الفقيه أن يقف من النص النبوي موقف الحذر ، والتدقيق لفحصه سنداً أو متناً قبل أن يستدل به .

وأمام هذا الواقع أكثر هؤلاء من الاجتهاد وتوسعوا به ، فأطلق عليهم مدرسة الرأي.أما أهل المدينة فقد اعتمدوا على الحديث،وكانوا شديدي التمسك بالتقليد وكبيرهم مالك بن أنس، وتبعه فقهاء الحجاز،وأطلق عليهم مدرسة الحديث أو أهل الحديث.ومن الأصح أن تنسب هذه المدرسة إلى الإمام جعفر الصادق عليه السلام ؛ لأنه أول من اعتنى بعلم الحديث ، وتتلمذ مالك بن أنس على يده - كما أشرنا في علم الحديث - . والإمام الصادق عليه السلام هو المؤسس لعلم الفقه في المدينة . والواضع لقواعده وأصوله بعد آبائه الطاهرين من الأئمة عليهم السلام . فحفلت الموسوعات الفقهية بما أثر عنه ، بحيث أن معظم أبواب الفقه وفروعه مروية عنه والعلوم الأخرى من حديث وتفسير مأخوذة عنه . وما يدل على ذلك موسوعات الفقه الإمامية كالحدائق والجواهر و مستمسك العروة الوثقى التي أرجع فقهاء الإمامية في استنباطهم للأحكام الشرعية عليه ، فشكلت دائرة معارف للفقه الإسلامي [2].وليس ظهور مدرسة الحديث في المدينة،

---

[1] -محمد أبو زهرة : المرجع السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .
[2] -حسين الشاكري :المرجع السابق،ج٨،ص٣٥٠.

والرأي في الكوفة مصادفة، فقد كانت المدينة تزخر بما فيها من حديث وأثر أكثر من أي منطقة من ديار المسلمين بالإضافة إلى بساطة الحياة فيها ، وبعدها عن التعقيد في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية .على عكس العراق الذي تعقدت فيه جميع مجالات الحياة بعد أن أصبحت بغداد عاصمة للمسلمين ، واعتماد أهل العراق فقط على الأحاديث المدونة عن الإمام (علي عليه السلام) ،وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود،مما حملهم على اعتماد الرأي[1]. وقد ذهب فقهاء المدرستين إلى وضع تصانيف منهجية عامة في شؤون الفقه ، وإن كانت إنجازاته في بدايته متعثرة هذا من جهة، أمّا من جهة أخرى فلم يعد المسلمون يجتمعون بالفقهاء الأحياء ممن لم تثبت مهارتهم، بل أخذوا يلتمسون حججهم من السلف الصالح من الصحابة[2] . وكل مدرسة تعتمد على أفراد الصحابة الذين استقروا في إقليمهم ، ثم ذهبوا يجتمعون بالرسول (ص) وهو الحكم الأعظم فيما ينشب من خلاف بين الصحابة. فكانت مدرسة المدينة أوسع انتشاراً وأعمق تطوراً ؛ لأنها حاضرة النبي(ص) فهي تتأثر تأثراً شديداً بسنته ومبادئه.

أسباب الاختلاف بين المدرستين :

١ ـ اعتمدت مدرسة المدينة على أقضية الخلفاء الراشدين " أبي بكر وعمر وعثمان" وفتاواهم ، وفتاوى عبد الله بن عباس وزيد بن ثابت . بينما اعتمد أهل العراق على فتاوى " الإمام علي عليه السلام - وعبد الله بن مسعود - وأبي بن كعب - وأبي موسى الأشعري " ، فالاختلاف في الشيوخ أي كلاً حسب الشيوخ الذين سكنوا في ظهرانيهم.

٢ ـ تميزت مدرسة الرأي بكثرة التفريع حتى الخيالي منها على عكس المدينة الذين كرهوا السؤال عن الفروض ؛ لأن المصدر هو الحديث وهو محدود . فكرهوا إعمال الرأي [3] .أي أن الثروة من الأحاديث عند أهل المدينة أكثر ، فيكثر اعتمادهم عليها؛ لتكون مادة الفقه الأثري الذي يتكون من أقضية الصحابة وفتاواهم ومسائلهم أخصب ، والآراء أوثق وأحكم . بينما مادة الحديث عند العراقيين قليلة لاتكفي لتكوين فقهائهم ؛ أي لا تكفي ليبنى عليها الرأي الفقهي الصحيح .

٤- وضع أحمد أمين سبباً آخر للاختلاف ، وهو تشدد أهل العراق في قبول الحديث على عكس

١- سعدي أبو حبيب : أحمد بن حنبل ، ص ٣١٠ .
٢- كلود كاهن: المرجع السابق، ص٦٥.
٣- ابن خلدون:مقدمة،ص ٣٣٠ .

أهل المدينة الذين أخذوا حتى الأحاديث الضعيفة [١] .

وهذا بعيد عن الصحة من خلال تشدد أهل المدينة في أخذ الأحاديث . فقد اعتمد الإمام مالك بن أنس في قبول الحديث على أمرين وما سواه تبع لهما :

١ ـ انتقاء الرجل الثبت الصادق المتقن في جمع المسند .

٢ ـ اتصال السند إلى أن يبلغ النبي (ص).

ـ وقد أشرنا في علم الحديث- إلى عدم أخذ الإمام مالك من أهل العراق ؛لأنهم غير ثقة.

٥- إن التابعين كانت فتاواهم ذات منزلة عند المجتهدين في المدينة ولها احترامها، ويقلدها تلاميذها.، أما آراء التابعين عند فقهاء العراق لم تكن ملزمة ولا يقيدون أنفسهم بها [٢].

٦- ابتعاد الحجاز عن تعقيدات الحياة المدنية ،والإبتعاد عن المنازعات الفكرية التي كانت في العراق، فقد كانوا بمنأى عن التأثيرات الفلسفية الهندية واليونانية، المشهورة بتفريعها للمسائل .

مصادر التشريع عند المدرستين : اتفق أصحاب المدرستين على مصادر التشريع وهي :

١ ـ الكتاب ٢ ـ السنة ـ ٣ ـ الإجماع ـ ٤ ـ القياس . ولكن اختلفوا في تطبيق كل منهن ، فالإجماع عند أهل الحديث إجماع أهل المدينة فقط ، والقياس اعتمده أهل الرأي أكثر ، فقاس الإمام مالك على الأحكام المنصوص عليها ، وقاس على المقيس ، فقد اعتبر الفرع المقيس عليه أصلا ويمكن أن يقاس عليه.

أما عند أبي حنيفة فهو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه [٣]؛ أي إلحاق فرع بأصل فيه نص بحكم معين من الوجوب أو الحرمة؛ لوجود علة الحكم في الفرع كما هي موجودة في الأصل . أما بالنسبة للمصادر الشرعية التبعية عند المدرستين فهي :

أ ـ الاستحسان : أي وجود الشيء حسناً بمعنى طلب الأفضل والأحسن، وهو ما اتفقت عليه المدرستان وهو نوعان :

١ ـ العمل بالاجتهاد وغالب الرأي في تقدير ما جعله الشرع منوطاً بآرائنا .

---

١ ـ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ج١ ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

٢ ـ ابن خلدون:مقدمة، ص٣٣٣.

٣ ـ عبد الغني الدقر:المرجع السابق،ص١٨٨ .

٢ـ الدليل الذي يكون عكس القياس الظاهر الذي نتوهمه قبل أن نستبينه.
ب ـ العرف والعادة : عند مذهب أهل الحديث : هو الأمر الذي تتفق عليه الجماعة من الناس في طريقة عيشها ، وهو العمل المتكرر من الأفراد والجماعات فإذا اعتادوا أمراً صار لهم عرفا وعند مدرسة الرأي : هو ما استقر في النفوس من جهة العقول ، وتتقبله الطباع السليمة . ودليله ما رواه عبد الله بن مسعود : (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن).ويكون دليلاً عندما لا يكون هناك دليل شرعي في القرآن الكريم والسنة النبوية ، بشرط عدم مخالفته للقرآن والسنة ، كتعارف بعض التجار التعامل بالربا، أو تعامل بعض الناس بالنصيب والقمار ،فهو غير مقبول لمخالفته الشرع [١] .

موقف السلطة العباسية من المدرستين :

لم يشكل الفقهاء في العهد الأموي طبقة دينية ، فلا كهنوت في الإسلام ، لكنهم كانوا محترمي العلم والرأي لأسباب دينية ، وربما لرغبة السلطة الأموية في اكتساب غطاء شرعي لحكمهم ، وهذا ما دفع كثير من الموالي إلى الاهتمام بالدراسات العلمية الجادة في ظل نظرة الازدراء التي يكنها لهم الأمويون ، فبرز عدد كبير منهم.واستطاع العباسيون استقطاب الموالي ، فتقربوا منهم وقدموهم على العرب ؛ لأنهم ما كانوا يأمنون وثبة للعرب تكون إلى جانب العلويين وخاصة أهل المدينة الذين كانوا على علم بحقيقة البيعة في الأبواء من قبل أبي العباس السفاح وأبو جعفر المنصور لمحمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية). فأدرك العباسيون بوضوح أهمية الدور الذي يمكن للفقهاء أن يلعبوا في مصائر الدولة. فجعلوا التفاوت بين دولتهم الجديدة وبين الفقهاء ركناً أساسياً في سياستهم .

فشكل هؤلاء الفقهاء طبقة مميزة تحتكر إلى حد كبير شؤون الدين فقهاً وقضاءً وفتوى ومعرفة . وبرز منصب القضاء وهو وظيفة دينية . ونتيجة العداء بين السلطة العباسية وفقهاء المدينة للسبب الذي ذكر من إطلاعهم على حقيقة البيعة فقد ساندوا مذهب أبي حنيفة النعمان القائل بالرأي في العراق الذي ازدهر بالمشرق بفضل الرعاية العباسية له[٢]. وحاول الخلفاء العباسيون كسب فقهاء الحجاز إلى جانبهم عن طريق إغرائهم بالمناصب والمال ، فقد عين أبو العباس السفاح (١٣٢ـ ١٣٦هـ)يحيى بن سعيد فقيه المدينة قاضياً على الأنبار،وبقي حتى

---

١ ـ الغزالي:المصدر السابق،ج٢ ،ص١١٤ .
٢ـ كلود كاهن:المرجع السابق،ص٦٧.

وفاته(١٤٣هـ) ، وعبد الله بن محمد بن أبي سبره الذي ساند ثورة محمد النفس الزكية (١٤٥ هـ)، فسجنه المنصور ثم ولاه قضاء المدينة ، وولى عبيد الله بن محمد بن صفوان الجمحي، وهو من أهل مكة قضاء بغداد والمدينة[1].أمّا الفقهاء الذين رفضوا هذه الإغراءات ، ووقفوا إلى جانب ثورة محمد النفس الزكية ، فقد كان مصيرهم الحبس والجلد كسفيان الثوري الذي كان كثير السخط على المنصور لظلمه.فهمّ به وأراد قتله فما أمهله الله ومات بالبصرة بعد تولية المهدي له قضاء الكوفة وفراره منه[2]. وعاقب والي المنصور الفقهاء الذين ساندوا ثورة المدينة بقيادة النفس الزكية كعبد الرحمن بن أبي الموالي المدني الذي جلده المنصور؛لأنه رفض الإخبار عن مكان محمد النفس الزكية ، والإمام مالك بن أنس حيث جلد سبعين سوطاً ؛ لأجل فتوى لم ترض غرض الخليفة أبي جعفر المنصور . وحاول المنصور التقرب منه وأخذه باللين بمعاقبة واليه جعفر بن سليمان الذي جلده لامتصاص نقمة أهل الحجاز وفقهائه،واعتذر من الإمام مالك، وأدعى بأنه لا علم له بما حدث له ،وأكرم وفادته وقام بتعيين رجل من أهل المدينة والياً عليها هو(الحسن بن زيد)[3].

وقطع يد محمد بن عجلان(ت١٤٩هـ) فقيه أهل المدينة، وعبد الله بن عمر العمري (ت١٧٢ هـ) ، وعبيد الله بن عمرو بن هشام [4].

حيث أدرك الخلفاء العباسيون بعد أزمة النفس الزكية مدى أهمية أصوات الفقهاء في الحجاز وتأثيرها ، فأكرموا زعماء الحجاز وقربوهم وعلقوا أهمية كبيرة على تأييد أهل الحرمين لهم . وطلب أبو جعفر المنصور من الإمام مالك أن يحمل الناس على علمه ، ويأمر الأمصار أن يرسلوا وفودهم إليه لأخذ العلم عنه ؛ لأن العلم علم أهل المدينة . وطلب منه وضع كتاب للفقه ؛ لأنه لا يثق بعلم أهل العراق، وعندما ذكر له الإمام مالك أن أهل العراق لا يرضون علمنا ، قال له : "إنه سيعاقب كل معارض بالسجن والجلد "[5] . وكان الخليفة أبو جعفر يحقد على الإمام الصادق فقد ذكر ابن الجوزي أن أبا جعفر قد طلب الإمام

١- رياض زركلي : المرجع السابق، ص ٣٠٢ ، ٣٠٥، ٣١٠.
٢- ابن العماد : المصدر السابق، ج٢ ، ص ٢٧٥ .
٣ - ابن خلكان : المصدر السابق ، ج٤ ، ص ١٣٧ ، ابن خلدون:تاريخ ابن خلدون،ج٣،ص٢٤٦ .
٤ - أبو الفرج الأصفهاني(علي ابن الحسن ابن محمد ،ت ٣٦٥ هـ): مقاتل الطالبين ،ص ١٩٣ - ١٩٦، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٤٦٣ .
وهبي سليمان غاوجي : المرجع السابق، ص ١٣٣ .
٥- ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة ، ج٢ ، ١٤٢ ،عبد الغني الدقر : المرجع السابق، ص ١٣٣ .

الصادق (عليه السلام) في سنة ١٤٧هـ أثناء حجه وقال له"إي عدو الله اتخذك أهل العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني ،وتبغيه الغوائل ،قتلني الله إن لم أقتلك " فرد الإمام عليه بهدوء ليمتص غضبه فذكره بصبر أيوب على بلائه ،ومسامحة يوسف لظالميه، وقال لأبي جعفر بأنه مثلهم (أي أبي جعفر)،فغفر له وبرأه مما اتهم به ونسب إليه[1]. ويبدو أنه قد تظاهر بمسامحته لأنه طلب من أبي حنيفة أن يعد مسائل صعبه لجعفر الصادق(عليه السلام) يسأله عنها إذا قدم العراق؛ لأن الناس فتنت به، يقول أبو حنيفة: «بعث إلي – أي الخليفة أبو جعفر المنصور – فقال: يا أبا حنيفة! إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من مسائلك الصعاب، يقول: فهيأت له أربعين مسألة، ثم أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي فجلست، ثم التفت إلى جعفر فقال: يا أبا عبد الله! تعرف هذا؟ قال: نعم. هذا أبو حنيفة.. قد أتانا – لأنه مكث عنده في المدينة؛ فإنه لما طُلِب إليه القضاء فرَّ من العراق واختبأ في المدينة ولزم جعفرًا الصادق عليه رحمة الله ودرس عليه – ثم قال الخليفة: يا أبا حنيفة! هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله! قال: فابتدأت أسأله، فكان يقول في المسألة: أنتم – يعني: أهل العراق – تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا - يذكر رأيه – يقول أبو حنيفة: فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعًا (أي: كان اختياره لا يتفق لا مع ما ذكره أهل العراق ولا مع ما ذكره شيوخ أهل المدينة) حتى أتيت على أربعين مسألة، ما أخرم منها مسألة! ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟»[2]. فكان غرض أبي جعفر المنصور من وراء طلبه من مالك وضع كتاب في الفقه تأخذ به الأمصار ، ومن طلبه لأبي حنيفة وضع مسائل للإمام جعفر الصادق (عليه السلام)هو إثارة علماء الأمصار على مالك من جهة ،وإحراج الأمام الصادق وإبعاد الناس والعلماء عنه من جهة أخرى بالإضافة إلى إثارة الفتن والخلافات بين أبي حنيفة والإمام جعفر الصادق (عليه السلام).

ولم يسلم حتى الإمام أبو حنيفة من العقاب نتيجة مساندته لثورة(إبراهيم بن حسن)، ورفضه تسلم منصب القضاء فجلد وسجن ،و عندما عجز عنه أبو جعفر المنصور قتله بدس السم له [3].وكان رفض أبي حنيفة تسلم هذا المنصب هو إدراكه نوايا المنصور الذي هدف من وراء توليته إعلان الولاء للدولة وتقوية لشأنها، وضمانا لطاعة جماعة كبيرة من العلماء

١- الجوزي(جمال الدين أبي الفرج الجوزي، ت٥١٧هـ): صفة الصفوة ،ج٢،ص ١٧٢.
٢- الذهبي:سير أعلام النبلاء ،ج٦،ص ٢٥٨.
٣- ابن العماد :المصدر السابق ،ج٢ ،ص٢٣١.

للخلافة. وتابع الخليفة هارون الرشيد سياسة جده أبي جعفر المنصور ومن سبقه من الخلفاء بالتقرب من الفقهاء حيث استعمل عبد الله بن مصعب بن ثابت(ت ١٨٤ هـ/ ٨٠٠ م) من تابعي المدينة على إمارة المدينة واليمن ، وتعين وهب بن وهب(ت ٢٠٠هـ) على القضاء بمعسكر المهدي، ثم على قضاء المدينة ؛بعد أن أفتى ببطلان الأمان الذي كان الرشيد قد أعطاه إلى يحيى بن عبد الله العلوي [١]. وتقرب من الإمام مالك ودعا فقهاء الحجاز والعراق الأخذ بالموطأ الذي كتبه [٢].

وقد يكون هدف الخلفاء العباسيين من هذا التقرب من فقهاء الحجاز هو إشعال فتنة بين فقهاء الأمصار وبين المذاهب بالاعتماد على مذهب العراق كمذهب معتمد للدولة. والطلب من بقية المذاهب الأخذ بعلم ومذهب الحجاز فيشغلوا الحجاز بمنافسات وخصومات،ويكسبوا فقهاء الحجاز أصحاب السلطة الشرعية إلى جانبهم، ويضمنوا عدم قيامهم بمساندة الثورات. إلا أن المحنة الحقيقية للفقهاء كانت في القرن الثالث الهجري عندما تبنى الخليفة المأمون(١٩٨ ـ ٢١٨ هـ)مذهب المعتزلة ، وامتحن الفقهاء بمسألة خلق القرآن فسجن كل من لم يوافق هواه وبمقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل وقاضي القضاة بشر بن الوليد الكندي وعلي بن الجعد . وتابع الخليفة المعتصم سياسة المأمون وجلد أحمد بن حنبل حتى غاب عقله وتقطع جلده من شدة التعذيب. وكان لدعم المأمون والمعتصم والواثق لحركة المعتزلة التي قامت في العراق أن تزعزعت المكانة الدينية للمدينة .حتى جاء المتوكل وأبطل العمل بالمعتزلة(٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ) [٣].

ومذهب المعتزلة لم يكن ضد مذهبي المدرستين الحنفي والمالكي فقط بل وجميع المذاهب والمدارس التي ظهرت في تلك الفترة ومنها مذهبي الإمامين الشافعي والحنبلي، اللذان نفذا من بين المدرستين مدرسة الحديث ومدرسة الرأي . فقد نفذ مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) بين مدرسة الرأي والحديث ،ليؤسس لمذهب جديد ومدرسة جديدة ، فقد أخذ عن الإمام مالك بن أنس ،ثم زار بغداد ، فقرأ كتب محمد بن حسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة و ناظره طويلاً. ونشر مذهبه في مصر وكان يجمع بين طريقة الحجاز في الاعتماد على الكتاب والسنة ، وطريقة العراقيين في الاعتماد على القياس . واستطاع أن يضع كتابه الملقب باسم الرسالة ، علم أصول الفقه ، وفيه جزءاً المناهج في استنباطه الأحكام الشرعية من الكتاب

١-أبو الفرج الأصفهاني(علي ابن الحسن ابن محمد ،ت ٣٦٥ هـ): مقاتل الطالبين،ص ٤٨٠.
رياض زركلي : المرجع السابق، ص ٣٠٢ ، ٣٠٥، ٣١٠.
٢- ابن قتيبة الدينوري : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ١٥٤ .
٣- ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر ، ت ٧٤٩ هـ): تاريخ ابن الوردي ، ج١ ، ص ٢١٠ ، ٢١٢.

والسنة و الاجتهاد والقياس[1]. وبفضله توجت جهود المحدثين في ميدان الفقه فكان كتابه الجامع (الأم) عرضاً منهجياً جميلاً لمذهب فقهي يستبعد الرأي ، ويعتمد اعتماداً كلياً على الحديث الذي فسره بطريقة القياس أو الاستنتاج المنطقي [2]. فبدأ أصحاب المذهب الشافعي يعتمدون في إبداء رأيهم على الأحاديث ، فقضي على الاجتهاد الآني المتطور فلم ينظر إلا ببعض التفاصيل . فاعتبر بذلك مذهب الإمام الشافعي مزيج من مذهبين : مذهب أهل الحديث (القرآن والحديث) أي مذهب الإمام مالك ومذهب أهل الرأي والقياس أي مذهب الإمام أبي حنيفة. وتبعه الإمام أحمد بن حنبل(١٦ ـ ٢١٤هـ) في تأسيس مذهب جديد متمسك بالكتاب والسنة والمبتعد عن الاجتهاد؛ لتتنوع المذاهب الإسلامية بين مذهب إمامي ومالكي وحنفي وشافعي وحنبلي تولى تلاميذهم نشره في بقاع العالم الإسلامي من بعدهم .

من خلال تتبع السياسة التي انتهجها الخلفاء العباسيون في استمرار حكمهم نخلص إلى عدة حقائق منها:

- إن نزعة الحكم في العهد العباسي بدأت باتجاه عنصري يثير في النفس عوامل العصبية والملك ؛من خلال الاعتماد على غير العرب في إدارة شؤون الدولة ، والابتعاد عن مراكز انصار آل البيت في الكوفة،والأمويين في دمشق.

- دعمت سياسة الملك من خلال الاهتمام بتقوية نفوذها دون التزام بالدين أو الوقوف عند حدوده.

- معاملة التابعين من الفقهاء بعنف وشدة ؛فأستخدموا أسلوب الترغيب والترهيب معهم .

- إثارة الفتن وزرع الشقاق بين علماء المدارس الفقهية لإضعاف موقفهم وإشغالهم عن مسائل الخلافة والحكم ،وإضعاف موقفهم أمام الناس.من خلال الطلب من مالك وضع علمه؛ ليحمل الناس عليه ، ويأمر الأمصار أن يرسلوا وفودهم إليه لأخذ العلم عنه،فيثير بذلك حفيظة علماء وفقهاء الأمصار عليه.

- استخدام أسلوب المكر والخداع،والمراوغة ؛من خلال تظاهر المنصور ببراءة الإمام الصادق مما نسب إليه ، ثم طلبه من أبي حنيفة وضع مسائل صعبة للإمام (جعفر الصادق عليه السلام) يسأله عنها إذا قدم العراق؛ لأن الناس فتنت به،فيهدف من وراء ذلك إثارة الضغينة بين النعمان

---

١ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ،ج٤ ،ص ١٣٦ ،١٦٤ ،ابن النديم :المصدر السابق ،ص٢٠٩ ،٢١٠.

٢ـ كلود كاهن:المرجع السابق،ص٦٥.

والإمام الصادق(عليه السلام)،بالإضافة إلى إضعاف موقف الإمام أمام الفقهاء والناس وخاصة أهل العراق الذين كانوا يتبعونه فاتخذوه إماماً لهم ،فينفذ بذلك مخططه وهو قتله دون معارضة. - إن الحكم العباسي غلب جانب الرأي فيما يجد من مسائل النزاع وأمور المعاملات والفقه ؛ وذلك لإضعاف موقف وشأن فقهاء الحجاز .

ثالثاً- علم التفسير :

التفسير عند الإمام الصادق كما عرفه الحاج حسين الشاكري : هو العلم الذي بحث فيه عن مداليل آيات الكتاب العزيز ومقاصدها ، وهو من أشرف العلوم و أفضلها وأكثرها نفعا[1].وعرفه ابن خلدون في مقدمته بأنه:(النظر في كتاب الله لمعرفة بيانه ومعانيه)[2].مما تقدم نصل إلى أنّ التفسير لغة: هو الكشف والإظهار. واصطلاحاً: كشف معاني القرآن الكريم وبيان المراد منه،بالإضافة الى بيان معنى الآية ونشأتها وظروفها بلفظ يدل عليه دلالة ظاهرة .

وترجع نشأة علم التفسير إلى عهد رسول الله (ص) ، فلقد كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا التبست عليهم آية من الآيات سألوا رسول الله (ص) ، فيوضح لهم ما غمض عليهم فهمه وإدراكه . كما أشرنا في دور الرسول (ص) في إدارة السلطتين المدنية والدينية .

وقد كان التفسير فرعاً من فروع علم الحديث ، ثم انفصل عنه بعد ظهور التدوين . وكان مرتبطاً بالسير و المغازي ؛ لأن الحديث شمل عناية كل المسلمين ، فاعتبر التفسير جزءاً من الحديث أو فرعاً من فروعه ، حتى إن التفسير في القرن الأول كان تفسيراً لآيات مبعثرة غير مرتبة حسب ترتيب السور والآيات باستثناء تفسير ابن عباس كما أشير إليه لاحقاً . وأسباب عدم تدوين الحديث في عهد الرسول (ص) وعهد الصحابة الأوائل ، هي ما أوجزها الدكتور داوود العطار في كتابه موجز علوم القرآن وهي :

١- وجود الرسول (ص) بين المسلمين ، فيوضح لهم ما أشكل عليهم فهمه ، ويبصرهم بحقائق التفسير[3] .

٢- قدرتهم على الفهم المباشر والاستيعاب الصحيح ، لفصاحتهم ولبلاغتهم العربية الأصيلة .

٣- لعسر الكتابة وندرة أدواتها وقلة الكتاب[4] .

وبما أنّ القرآن الكريم من حيث كونه كلاماً له دلالة ومعنى ، ولله تعالى فيه هدف ومقصد ، ومن أجل إيضاح هذه الدلالة ، وشرح معناها ، وبيان القصد منها ، نشأ علم التفسير ، ولأهمية الدور الذي يمارسه علم التفسير صار هذا العلم أساساً لكافة العلوم .

وقد أجمع الباحثون على أنّ هناك معاني للقرآن الكريم خفيت عنهم ، وأنهم تفاوتوا في فهمها لأسباب منها :

١- حسين الشاكري : المرجع السابق: ج٩ ، ص ٣٩٧ .
٢- ابن خلدون : مقدمة ، ص ٣٢٣ .
٣- داوود العطار : موجز علوم القرآن، ص ١٩.
٤- داوود العطار : موجز علوم القرآن، ص ٢٦ .

١ ـ نزول القرآن الكريم بلغة العرب وعلى أساليب العرب في كلامهم ، فألفاظه عربية وأساليبه هي أساليب العرب ففيه الحقيقة وفيه المجاز ، وفيه الكناية وفيه التشبيه ، بالرغم من ذلك لم يكن القرآن جميعه في متناول الصحابة جميعاً يستطيعون أن يفهموه إجمالا و تفصيلا بمجرد سماعه [١] .

وربما قصد أحمد أمين أن في القرآن الكريم آيات كثيرة واضحة المعاني تتعلق بأصول الدين والأحكام ، وآيات غامضة متشابهة صعب فهمها ، كما قال تعالى:{هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ } [٢] .

٢ـ اختلاف الصحابة في الفهم،وذلك لأنهم كانوا يعرفون العربية على درجات فيما بينهم ،وإن كانت العربية لغتهم. فمنهم من كان يعرف الكثير من الأدب الجاهلي و غريبه ، ويستعين بذلك في مفردات القرآن .

٣ـ من الصحابة من كان يلازم النبي (ص)، ويقيم بجانبه ، ويشاهد الأسباب التي دعت إلى نزول الآية (معرفة أسباب النزول) ومنهم ليس كذلك . فمعرفة أسباب التنزيل من أكبر ما يعين على فهم المقصود من الآية ، والجهل بها يوقع على الخطأ لذلك اعتبر الإمام علي عليه السلام من أكثر المفسرين قدرة على إتقان التفسير لإحاطته علماً بأسباب النزول فقد قال :"والله لم تنزل آية إلا وأنا أعلم فيما نزلت وفيمن نزلت وأين نزلت "[٣].

٤ـ الاختلاف في معرفة عادات العرب في أقوالهم وأفعالهم ، فمن عرف عادات العرب في الحج والجاهلية استطاع فهم آيات الحج.

فهذه الأسباب مجملة هي التي أدت إلى ظهور علم التفسير واشتهاره ، وخاصة في نهاية القرن الأول بعد دخول قوميات مختلفة إلى الدين الإسلامي؛نتيجة توسع الفتوحات ، وليس كما ادعى غوستاف لوبون بأن ظهور المذاهب الإسلامية وعلم التفسير هو أن القرآن الكريم والسنة النبوية ليسا كافيين لحل المعضلات الشرعية اليومية للمسلمين [٤].

١ـ أحمد أمين : فجر الإسلام ، ج١، ص ٢٠٤ .
٢ـ القرآن الكريم : آل عمران : الآية (٧) .
٣ـ السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ،ج١ ،ص ١٨٧.
٤ـ غوستاف لوبون : المرجع السابق، ص ٣٨٥ .

ومن اشهر المفسرين في القرن الأول : الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ت٤٠ هـ)كما ذكرنا سابقا ، ومن الصحابة الأوائل عبد الله بن عباس بن عبد المطلب (ت ٦٨ هـ) ، وجابر بن عبد الله الأنصاري (ت ٧٤هـ) و عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ، ومن التابعين الإمام أبو جعفر محمد الباقر عليه السلام ، وقد أخذ عنه علماء التفسير على اختلاف آرائهم وميولهم الشيء الكثير ، فكان من اللامعين في التفسير في الإسلام .وقد عارض تفسير القرآن بالرأي ، والف كتاباً بتفسير القرآن أشار إليه ابن النديم في الفهرست ،ومن المفسرين أيضاً مجاهد بن جبر المكي الذي اعتبر شيخ المفسرين والسائر على نهج ابن عباس، وهو مولى ابن مخزوم(ت ١٠٢هـ)[1]. وفي القرن الثاني تابع الإمام جعفر الصادق النهج الذي اتبعه آباؤه من أهل البيت وسار على خطا أبيه الإمام الباقر (عليه السلام)، ونقل كثيراً في التفسير،كما إن الكثير من تلامذته حفظوا من رواياته في التفسير كتباً مستقلة؛ كهشام بن سالم الجواليقي ، وإبان بن تغلب (ت ١٤٦ هـ) ، والمعز بن السائب الكلبي من أصحاب الإمام الباقر(ت ١٤٦ هـ) وهو صاحب التفسير الكبير[2]، وسليمان الأزدي (ت ١٥٠ هـ) ، وتفسير محمد بن إسحق الذي اعتمد فيه على آراء يهودية ونصرانية ولم تصل إلينا ، وشعبة بن الحماد ، وسفيان بن عينيه (ت ١٩٨ هـ) و وكيع بن الجراح [3].

أمّا القرن الثالث فقد برز فيه الفراء بن يحيى بن زياد (ت ٢٠٧ هـ) ، وعلي بن ابراهيم ، وله كتاب في تفسير القرآن وهو معتمد إلى الأن، وقد نقله عن آل البيت عليهم السلام ، و علي بن المدائني (ت ٢٣٢هـ) ، ومحمد بن مسعود العباسي وله تفسير المعاشي .

ومن المصادر التي اعتمد عليها هؤلاء الصحابة والتابعين من تفسيراتهم هي :

١ ـ النقل عن الرسول (ص).

٢ـالاجتهاد والرأي . وهذا الرأي هو سبب الاختلاف بين الصحابة والتابعين في تفسيرهم لألفاظ القرآن وآياته اختلافاً واضحاً . ومثال ذلك كثير، فقد اختلف المفسرون مثلاً في معنى الطور في قوله تعالى : (وإذا أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور)[4]. فقد فسرها مجاهد بن جبر بالجبل المطلق ، وفسرها ابن عباس بجبل بعينه ، وآخر يقول الطور

---

١. ابن كثير :المصدر السابق ،ج٩ ،ص ٢٦١ .
٢ . الذهبي :دول الإسلام ، ص٦٣.
٣ـداوود العطار : المرجع السابق، ص ٣١ .
٤ـ القرآن الكريم البقرة :٦٣/١.

ما أنسب من الجبال [1]. وهذا الاختلاف سواء من ناحية الاعتماد على الحديث أو الرأي ، والاختلاف أيضاً في التفسير أدى إلى ظهور مدارس ومذاهب فقهية إسلامية .

[1] أحمد أمين : ضحى الإسلام ، ج١ ، ص ٢٠٩ .

الفصل الثاني:الحياة الأدبية

أولاً- الشعر والغناء

اشتهر العرب في الجاهلية بقول الكلام الموزون والمقفى ، والذي يعبر عما يدور في النفس من مشاعر ، والذي أطلق عليه اسم (الشعر). والشعر كما عرفه ابن خلدون : " هو الكلام البليغ المبني على الاستعارة والأوصاف ، المفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي ، مستقل كل جزء منها في غرضه ، ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به " (١).وقد أرجع شوقي ضيف قديم الشعر عند العرب بين المائة والخمسين سنة والمائتين قبل ظهور الإسلام(٢).وقد يكون سبب إرجاع شوقي ضيف تاريخ الشعر العربي إلى تلك الفترة، هو وجود عدد كبير من الشعراء والأشعار، حيث بدأت القبائل العربية تروي أيامها، وتمجد انتصاراتها من الشعر الخالص. فهو ديوان علومها وأخبارها. وهو من الفنون الشريفة لديهم، ولهذا كان لشاعر القبيلة مكانته في منافراتها ومناظراتها ، وهو حاكم القبيلة وفارسها .

وقد بلغ الشعر العربي الذروة في القرن الذي سبق ظهور الرسول (ص)؛ نتيجة كثرة الشعراء والأشعار في تلك الفترة ، فنشأ عن ذلك أن أصبحت لغة الشعراء الفصحى عامة .

ومع ظهور الرسول (ص)في مكة ونزول الوحي إليه بكلام الله ،ووسط اضطراب قريش في مواجهة الرسول(ص)، بدؤا يبحثون عن طريقة لمنع الناس من تصديقه فاتهموه بأنّه شاعر، وأنّ ما يأتي به هو شعر. فكانت الآيات القرآنية تنزل مكذبة لهم ، فيقول الله تعالى في منزل تحكيمه ردا عليهم وعلى اتهامهم :{وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ} (٣) .

{ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ،أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ ، إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا، وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ} (٤).والمقصود بالشعراء، الذين يهيمون ويقولون ما لا يفعلون . شعراء المشركين المحرضين على الإسلام بينما الصالحون هم الشعراء المسلمون . فقد عارض القرآن

---

١ -ابن خلدون : المقدمة ،ص ٤٦٣.
٢ -شوقي ضيف : العصر الجاهلي ، ص ٣٨ .
٣ -القرآن الكريم : ٣٦ / ٦٩ .
٤ -القرآن الكريم : الشعراء ، ٢٦ / ٢٢٤ - ٢٢٧ .

الكذب والهجاء والتزلف في المدح .وهذا لا يعني تحريم الشعر ، فانتشار الشعر لم يكن محرماً إذا لم يتضمن كلاماً مستكرهاً.والدليل على ذلك قول رسول الله(ص):

١- (إنّ من الشعر لحكمة .....)[١].

٢- اتخاذ الرسول (ص)بعض شعراء المدينة بعد هجرته للرد على هجاء قريش، فيقول شاعره حسان بن ثابت رداً على تعنت قريش :

زعمت سخينة أن تغالب ربها وليغلبنّ مغالبُ الغلابِ[٢]

فقد كانت قريش تستخدم الشعر لتحريض القبائل العربية على مقاتلة المسلمين، فهذا (صفوان بن أمية) يطلب من أحد الشعراء ويدعى أبو عزة الجمحي أن يساندهم بلسانه ؛ لتحريض القبائل على الثأر لهزيمة قريش في معركة بدر فيقول:

إيهاً بني عبد مناف الرزام[٣] أنتم حماةٌ و أبوكم حامِ

لا تعدوني نصركم بعد العام لا تسلموني لا يحلّ إسلام[٤].

٣ ـ عدم منع الرسول (ص)، قول الغزل العفيف بدليل أنه أهدى بردته للشاعر كعب بن زهير عندما أنشده قصيدة سعاد :

بانت سعاد فقلبي اليومَ متبولُ مُتيمٌ إثرها لم يُفدَ مكبولُ

هيفاءُ مقبلة عجزاءُ مدبرةٌ لا يشتكى قِصرٌ منها ولا طولُ[٥]

٤- كان أصحاب النبي (ص)يتناشدون الشعر في مجالسهم ، حيث قال سعيد بن المسيب : (كان أبو بكر شاعراً و عمر شاعراً وعلي أشعر الثلاثة) ومن أقوال الإمام علي عليه السلام في صفين أثناء قتاله لمعاوية بن أبي سفيان:

لمن راية سوداء يخفق ظلها إذ قيلَ قدّمها حصينٌ تقدما

جزى الله عني والجزاء بمثله ربيعة خيراً ماأعفّ وأكرما[٦]

فتحول الشعر منذ ظهور الإسلام إلى خدمة الدعوة الدينية، وإثارة الحماس في صدر الإسلام ، وأثناء الحروب سواء الخارجية أو الداخلية ، كقول الشعر أثناء القتال في صفين ، فكان كل

١- البخاري(محمد بن إسماعيل ،ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري، بحاشية السندي شرح جامع الترمذي المباركفوري، صححه عبد الوهاب عبد اللطيف،ج٤،ص ٧٣ .
٢- ابن عبد ربه: المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٦٠ .
٣- الرزام : أي الذين يثبتون في مكانهم ، ابن هشام : المصدر السابق ، ص ٤١٠ .
٤- ابن هشام : المصدر السابق ، ص ٤١٩ ،محمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، أيام العرب في الإسلام، ص ٣٢،٣١.
٥- ابن هشام : المصدر السابق ، ص ٦٥٥ ـ ٦٥٦.
٦- ابن عبد ربه : المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٢٤٨

شاعر ينادي مهددا ومتوعدا ، فقال أبو الطفيل عامر بن واثلة يصف أنصار الإمام علي عليه السلام :

كهولٌ وشبانٌ و ساداتُ معشر على الخيل فرسانٌ قليلٌ صدودها

شعارهمُ سيما النبي وراية بها انتقم الرحمن ممن يكيدها

ورد عليه خزيمة الأسدي يصف جيش معاوية :

ثمانون ألفا دين عثمان دينهم كتائب فيها جبرائيل يقودها (١).

وقد حافظ الشعر العربي في العهد الأموي على تقاليده في الجاهلية ، وظهر عدد كبير من الشعراء البارزين أمثال :همام بن غالب المعروف بالفرزدق (ت ١١٤هـ)، وهو من تميم في الجزيرة ، وجرير (ت ١١٤هـ) ، وهو من اليمامة،وعبد الله بن قيس الرقيات الذي ولد بمكة وتحول إلى المدينة، لتعلقه بالمغنين و المغنيات . وكان يمدح الزبيريين فيقول :

إنما مصعبٌ شهابٌ من اللهِ تجلت عن وجههِ الظلماءُ

ثم تحول إلى مدح الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فيقول فيه :

خليفةُ الله فوق منبره جفت بذاكَ الأقلامُ والكتبُ(٢)

إلا أن ما يميز الشعر الأموي عن شعر صدر الإسلام ، هو ارتباطه بالغناء وخاصة بالحجاز من جهة ، ومن جهة أخرى رجوع شعر الخمريات منذ عهد الخليفة الأموي الوليد بن يزيد(ت ١٢٦ هـ)الذي كان معروفا بالخلاعة والمجون ، وضمن شعره هزله وكفره وإلحاده في القرآن الكريم (٣) .

بالإضافة إلى الهجاء الذي كان مشتعلا وخاصة بين الشاعرين جرير والفرزدق(٤)، وهجرة كثير من شعراء البادية إلى المراكز الحضرية كالمدينة ودمشق ؛ لمحافظة البادية على عيشتها الجاهلية من اعتماد على المراعي والتنقل ، فاتجهوا إلى قصور الأمراء والخلفاء مما أدى إلى قلة نشاط الشعر في البوادي عما كان عليه في الجاهلية.

وفي العهد العباسي وصلت الحياة الأدبية فيه إلى ذروة التطور والازدهار، فقد عرف العصر حركات ثقافية مهمة وتيارات فكرية بفضل التداخل بين الأمم .. وكان لنقل التراث

١.شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص ٦١.

٢.شوقي ضيف : المرجع نفسه ، ص ٢٩١، ٢٩٩ .

٣.ابن كثير: المصدر السابق،ج١٠ ،ص ٤١٨، ٤١٩ .

٤. للتوسع في أشعار وحياة جرير والفرزدق أنظر: محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ) :طبقات فحول الشعراء،شرح محمود شاكر،ص ٢٥٧-٣٨٦.

اليوناني والفارسي والهندي، وتشجيع الخلفاء والأمراء والولاة،وإقبال العرب على الثقافات المتنوعة، أبعد الأثر في جعل الزمن العباسي عصراً ذهبياً في الحياة الفكرية، استطاع به الفكر العربي الإسلامي، بما أوتي من قوة دافعة أكسبته إياها القرون الأولى الوطيدة، أن يمضي في طريق النضج والازدهار ويغمر الأرض بنور المعرفة وألق الإبداع. فقد تعددت مراكز الإشعاع الحضاري، إضافة إلى مدن العراق، فكانت مكة والمدينة في الحجاز، والفسطاط والقاهرة في مصر، وحلب ودمشق في الشام .. ونحاول فيما يأتي التعرف إلى الإنتاج الأدبي، من شعر على اختلاف فنونه، وما لحقه من خصائص وتطورات؛ والذي جاء نتيجة للتغيرات الاجتماعية والأدبية مع بداية القرن الثاني للهجرة، فقد احتل الشعر فيه مكان الصدارة ، واعتبر متمماً للشعر الأموي،عند الذين نشؤا نشأة بدوية ومجددا عند أهل الحاضرة [1] ؛ وذلك نتيجة للاختلاط الكبير بين العرب والأمم المجاورة في هذا العهد ، حيث أسهم الموالي كثيراً في إدخال كثير من الكلمات غير العربية في لغة التخاطب اليومية وكلام بعض الشعراء ، وتوسيع نطاق الأفكار والتطورات وتعدد الأغراض الشعرية، فذهب كثير من هؤلاء إلى تقليد الشعر العربي ؛ لإظهار بضاعتهم من اللغة العربية ، فكان لهم دور في المحافظة في العهد العباسي على أسلوب القصائد القديمة ، فانتقل الشعر العباسي من صفاء البادية إلى تعقيدات المدينة، ومن الصحراء القاحلة إلى البلاطات والقصور التي تحيط بها الحدائق والبساتين،ومن الرصانة العربية إلى الانغماس والانجرار وراء الملاهي الحضرية؛ فانتقل بذلك من مجالس الأدب والسياسة إلى مجالس الغناء ؛وذلك لانتقاله من الحجاز إلى العراق وسط دعم الخلفاء العباسيين وعطائهم لمادحيهم، بعد أن اصطبغ بلون جديد حينما وقف الشعراء على أبواب القصور بدلاً من الأطلال.. وعاشوا ذلك الجو المتمدن الذي عمت فيه موجة من الغناء وأماكن اللهو.. والقصور المترامية الأطراف في بغداد وسامراء.. وصارت لتجارة الرقيق والإماء أسواق معروفة ونخاسون.. فالإماء فارسيات وروميات وهنديات وحبشيات..وأكثر الذين يديرون تلك الأمور هم من غيرالعرب...ولهذا كله فقد تحول بعض الشعراء إلى منابر تحكي عن هذا وذاك وانتشرت القصائد الخمرية وصار الشعراء يفتتحون قصائدهم بمقدمة خمرية، اللهم إلا من اعتكف في باديته بعيدا عن ضوضاء ذلك الجو المتمدن.. وكانت البادية لا تزال تمد الحاضرة بكثير من الشعراء ذوي السليقة العربية السليمة. وتحول كثير من الشعراء إلى معلمين يعلمون الناشئة اللغة ورواية الشعر القديم وهذا المجال الوحيد الذي لم تستطع فيه الحجاز منافسة العراق به؛

---

[1]. كلود كاهن:المرجع السابق،ص١٠٢.

لأن الشعر وجه إلى قصور الخلفاء ورجال حاشيتهم فأصبح متكلفا شديد التأنق إلى حد التفاهة خالياً من الإخلاص ، ويستمد الشاعر وحيه من النساء أكثر مما يستمده من موضوعات الدين والحرب ، فظهرت في المدينتين المقدستين القصائد الغنائية؛ وذلك لكثرة الموالي بهما ، والثروة والانصراف عن الأمور السياسية .

فظهرت المغنيات الأجنبيات والموالي الذين يغنون على أنغام الشعر والموسيقى ، وخاصة في المدينة -كما سنرى في بحث الغناء- ونقلهم هذه الفنون إلى العراق مما أثر على الحجاز،فظهر كتاب المفضليات(للمفضل بن محمد الضبي ت ١٧٨ هـ)وقد ضم مئة وست وعشرين قصيدة ، ثم أضيفت أربع قصائد ، وتعود لسبعة وستين شاعراً [١].حيث وجد في العراق طبقة من رواة الشعر الجاهلي ، ولهم حلقات يتحدثون بها عن أخبار الجاهلية، منهم أبو عمرو بن العلاء(ت١٥٤هـ) ،وحماد الراوية (ت١٥٥هـ)، ومحمد بن السائب الكلبي(ت٢٠٤هـ) ، للاستعانة به في تفسير كثير من آيات الذكر الحكيم [٢]. وقد بدأت حركة تدوين الشعر تدون تدويناً منهجياً قائماً على التوثيق والتجريح والدقة والضبط وبدأت تأخذ بالاتساع على أيدي الرواة التالين للرواة الأوائل ، منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، وتلاه كتاب الأصمعيات (لأبي سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي ت ٢١٦ هـ) ويحتوي على اثنتين وتسعين قصيدة، لواحد وسبعين شاعراً .

١-القرشي : (أبي زيد محمد بن أبي خطاب ، ت أوائل القرن الرابع الهجري) : جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام ، تحقيق محمد علي الهاشمي ،ج١،ص ٣٤.

٢ - القرشي :المصدر نفسه ج١ ، ص٣٢ .

الشعراء في العصر العباسي :

كان للشعراء القسط الأوفر من هذا الأزدهار الذي شهده العهد العباسي ، فالخلفاء العباسيون بعد أن دانت لهم البلاد والعباد انصرفوا إلى الحياة يتذوقون نعيمها ،والشعر من نعيم الحياة ،فقربوا الشعراء وجعلوهم من ندمائهم ، فأيسر الشعراء وتنعموا وأسرفوا في اللذة ،فرقت طباعهم ولانت نفوسهم .على أنه بالرغم من حب الخلفاء العباسيين للشعر والشعراء ، وميلهم إلى أهل الأدب والمديح، فقد كانت حرية الشعراء تخضع لمعايير من خلال قدرة القبيلة على حماية أفرادها،أو وجود أصحاب سلطة حامين لهذا الشاعر فلم يكن الشاعر يتمتع بالحصانة، فقد كان الشعراء معرضين للمساءلة وخاصة بعد ظهور الزندقة والشعوبية [١].

ومن أشهر شعراء العصر العباسي في الحجاز والعراق :

أ. شعراء الحجاز :

أولاً : سديف بن ميمون بن هارون العجلي ، (ت ١٤٩هـ)،وهو مولى لبني العباس ويقال مولى لامرأة من خزاعة [٢] .

ثانياً:أبو عمرو بن العلاء المازني ولد بمكة(٦٧ هـ) ،و (ت ١٥٤ هـ)،وانتقل إلى الكوفة[٣] .

ثالثاً : سعيد الدارمي،(ت ١٥٥ هـ) : شاعر الغزل ، وهو من أهل مكة ومن جلساء عبد الصمد بن علي،وكان سعيد الدارمي قد تنسك وترك قول الشعر[٤].

رابعاً : طريح إسماعيل الثقفي(ت١٦٥هـ):من شعراء الطائف ،ومن مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية،بدأ بمدح الخليفة الأموي الوليد بن يزيد وانتهى بمدح الخليفة العباسي المهدي العباسي[٥].

خامساً: ابن المولى(محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى ت ١٧٠ هـ) ، من الأنصار ، ولد في المدينة ، وسكن قباء . وهو من مخضرمي الدولتين في الشعر ، ومداحي أهليهما [٦] .

---

١ -هيلاري كيلباتريك : الشاعر العربي في القرون الوسطى وحدود حرية التعبير، مجلة المعرفة ، العدد (٢٠٥-٢٠٦) ، ١٩٧٩ م ص ١٣٣ - ١٣٤.

٢.ابن قتيبة الدينوري : الشعر والشعراء ، ، ص ٥١٧ ، ٦٠٩ .

٣.الذهبي :سير أعلام النبلاء ج٦ص٤٠٧، ابن خلكان: المصدر السابق، ج٣ ،ص٤٦٦.

٤ . الأصفهاني : الأغاني ، ج٣ ، ص ٤٦ .

٥. الحموي:معجم الأدباء وطبقات الأدباء ،ج٤،ص٢٧٦.

٦.عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق، ج١،مجلد ثاني ،ص١٠٠٧.

سادساً: ابن هرمة (إبراهيم بن علي بن سلمة ، ت ١٧٠ هـ) ، من فهر قريش، ولد بالمدينة(٩٠ هـ)،وكان من مادحي ولاتها كعبد الواحد بن سليمان [١].

سابعاً : مروان بن أبي حفصة (ت ١٨٢هـ) أصل جده من يهود خراسان ، وكان مولى لمروان بن الحكم،وأكثر في مدح معن بن زائدة الشيباني [٢].

ثامناً: أشجع السلمي بن عمرو : من بني سليم ، وكان متصلاً بالبرامكة ، وله فيهم أشعار كثيرة و (ت٢٠٠ هـ).

تاسعاً ـ أبو العتاهية أبو إسحق إسماعيل بن القاسم بن سويد،(ت ٢١٣هـ)، ولد بعين النقر بالحجاز قرب المدينة ، ونشأ بالكوفة ، وتوفي ببغداد [٣].

عاشراً:أبي سعيد إبراهيم ،وهو يعرف في الشعراء بابن أبي سنة مولى بني أمية وفي المغنين بابي سعيد مولى فائد وكان شاعرا مجيدا ومغنيا وناسكا فاضلاً مقبول الشهادة بالمدينة معدلا وتوفي في خلافةهارون الرشيد[٤].

وبنظرة سريعة إلى هؤلاء الشعراء نجد أنّ معظمهم من الموالي ، وقد تعلموا في حلقات المساجد ، بالإضافة إلى انتقال معظم شعراء الحجاز إلى العراق سعياً وراء المال والتقرب من الخلفاء ، بما أسهم في فراغ الحجاز في هذا المجال، وعدم منافسته للعراق على عكس العلوم الدينية ، فيكون الموالي مسهمين مرة ثانية في نقل هذا الفن إلى العراق.

أغراض الشعر في العهد العباسي:

وقد كان من أبرز مظاهر الاتجاه إلى الذوق الجديد اشتقاق الشاعر موضوعات شعره مما يعانيه في حياته، ومن ثمّ تنوعت موضوعات الشعر، فبعضها جاء امتداداً لموضوعات قديمة مع بعض التجديد الذي يساير روح العصر، مثل التنويع الذي طرأ على المدح والهجاء والرثاء ووصف الطبيعة ومظاهر الحضارة، والبعض الآخر جاء من مستحدثات العصر مثل شعر الزهد والشعر السياسي.

---

١ ـ الأصفهاني:الأغاني،ج٤،ص٣٦١ .
٢ ـ ابن عبد ربه:المصدر السابق،ج٣، ص٢٥٨ .
٣ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج١ ، ص٢١٩ ، ٢٢٢ .
٤ ـ الأصفهاني : المصدر نفسه، ج٤،ص٤٢٤ .

١ ـ الهجاء :

أعيد الهجاء في العهد الأموي ، وأنفق الشعراء فيه جزءاً كبيراً من جهودهم وبلائهم ، كما حدث بين الفرزدق وجرير ، -كما ذكرنا آنفاً - وتطور كثيراً منذ العهد العباسي الأول، فكان من نوع الهجاء القصير، وعدل عن هجاء القبيلة إلى هجاء الفرد من خلال ذكر وضاعة أصله ونسبه، أو خمول مكانة أبيه وجده، أو ضآلة شأن عشيرته وقبيلته. إذ لم تعد للأنساب تلك الأهمية البالغة التي كانت لها في سالف العهد، بعد همود حدة العصبيات القبلية وانصهار أكثر القبائل في بوتقة المجتمع المتحضر الحديث. فتركز الهجاء أو كاد في إبراز المعايب الشخصية اللاصقة بذات المهجو وما تنطوي عليه نفسه من مثالب .وهذا المنحى أدخل في رحاب التصوير والفن،وأبعد عن مجال القذف والشتم.وخرج على شكل قصائد خفيفة يسهل حفظها وتناقلها.و لكنه قل في الحجاز واقتصر فقط على بعض الشعراء كهجاء ابي العتاهية لعبد الله بن معن والذي كان الخليفة الرشيد يذكر بهم كلما التقى به:

سبحـانَ مَـنْ خصَّ إبـنُ معن بـما أرى بـهِ مـن قـلّةِ العـقل

قـال ابـن مـعن وجـلا نـفسـه عـلى من الجـلوة يأهـلي[1]

فبالرغم من نية أبي العتاهية إهانة وتصغير عبد الله بن معن الا أن شعره لم يكن فيه هجر وفحش.

وهجا طريح أبا مسلم الخرساني الذي غدر به أبو جعفر المنصور وقتله:

زعمْتَ أن الكيل لا ينقضي فاستوف بالكيل أبا مجرم

اشرب بكاسِ كنت تسقي بها أمَرُّ في الحلق من العلقم[2]

وهذا أحد اساليب الشعراء في التقرب من الحكام بالتبرير لهم عن أعمالهم .

٢ ـ الغزل :

وقد اكتسب الغزل في العصر العباسي غنى ومضاء لارتباطه بعاطفة الحب الغلابة في النفس الإنسانية. وأقبل الشعراء إقبالاً كبيراً على النظم فيه، فكثر كثرة بالغة وازدهر ازدهاراً واسعاً. فتغير الغزل كما كان في صدر الإسلام كغزل عمر بن أبي ربيعة [3]، وأيضاً عن الغزل

---

١ ـ الأصفهاني :الأغاني ،ج٤،ص٢٥.
٢ ـ ابن العماد :المصدر السابق ،ج٢، ص ١٣٣.
٣ـ عمر بن أبي ربيعة القرشي ولد ٢٣هـ.

العذري الذي يقال عند المجنون في هضاب نجد والحجازو بوادي الجزيرة وربوع الحجاز، مثل قيس بن ذريح وجميل بن معمر وعروة بن أذينة. ، وعن الغزل الأموي والذي كان له اتجاهين وهما الغزل العفيف والغزل الصريح اللذان لم يسيرا في العصر العباسي على ذلك النحو المتوازن. فقد أخذ الغزل العفيف في التضاؤل، في عصر تكاثرت فيه النحل والآراء،واحتدمت المنازع والأهواء،وقلما عرف المجتمع العباسي طائفة من شعراء الحب النقي الطاهر كالذين عرفتهم من قبل . ولعل قلة من الشعراء الذين تعذبوا في عشقهم يمثلون بقية ذلك المنحى، وإن لم يبلغوا فيه شأن العذريين قبلهم. فأصبح يقال للغلمان والإماء والخمر.وهذا النوع من الشعر انتقل من الحجاز إلى العراق؛لتغيرموضوعه وارتباطه بمحبوبات الشعراء من الجواري والغلمان ،لذلك كان طبيعياً أن يشيع الغزل الماجن في هذا العهد في العراق ، ولكن حافظ بعض شعراء على نقاء هذا الغرض من الشعر فهذا فيقول فليح بن أبي العوراء يصف هجران وبعد محبوبته:

يا قرةَ العين أقبلي عُـذري ضَـاق بهجْرانكم صَـدري

لو هلك الهَجرُ استراحَ الهوى ما لـقى الوصلُ مــن الهجر[1]

وكان الرشيد قد أمر أبي العتاهية على قول بعض الاشعار في الغزل ،بعد أن علم بتنسكه وزهده،فامتنع أبي العتاهية ،فضربه الرشيد ستين عصاً ،وسجنه حتى وافق على مطلبه فقال غزلاً في زوجته:

مـن لـقلب مـتيم مشتاق شفه شوقه وطول الفراق

طال شوقي إلى مقيد ة بيتي ليت شعري فهل من تلاقي[2]

٣ - الزهد : وقد أبدع فيه أهل الحجاز ، وذلك للتأثير الديني ، وقد أرتبط بهذا الزهد مقدمات تصوف ،تزخر بالترغيب عن متاع الدنيا الزائل . وقد استدعت حقيقة الموت من الشاعر أن يتأمل في طبيعة الحياة وحال الدنيا،فيكون له من ذلك نظرات وآراء،ولاسيما بعد أن تشبع الشعراء بأفكار ثقافات أغنت معارفهم وعقولهم، ومن هذا القبيل كثير من شعر أبي العتاهية في الوجود والعدم، والحياة والموت، والبقاء والفناء، و بقول الحكم والأمثال :

ألا إنــنـا كـلنـا بــائدُ وأي بـنــي أدم خـالــد

فيـاعجباً كيـف يُعصى الإ لــه أم كيف يجحدهُ الجاحدُ[3]

---

١ - الأصفهاني :الأغاني ،ج٤ ،ص٣٥٩ .
٢- الأصفهاني :الأغاني ،ج٤ ،ص٣٤ .
٣- الأصفهاني :المصدر نفسه ،ج٤ ،ص٣٩ .

وهذا الشعر كان رداً على اتهامه بالزندقة.وقد امتاز شعر أبي العتاهية هذا بقلة التكلف ، وسهولة اللفظ ؛لأنه يرمي إلى العظة والزهد فينبغي أن يكون مفهوما لدى الناس على السواء.

وسعيد الدارمي الذي تنسك وترك الغناء والغزل فيقول :

افق يا دارمي فقد بليتا	وإنك سوف توشك أن تموتا(١)

وزهد طريح بن اسماعيل الذي كانت له اشعار كثيرة في الزهد منها:

والدهر ليس بناجٍ من دوائره	حي جبانٌ ولا مستأسدٌ بطلُ
بل كل شيء سيبلي الدهر جدته	حتى يبيد ويبقى الله والعمل(٢)

وهذا تذكير بالفناء ، فلا خائف مترقب يبقى ،ولا أسد شامخ ،فالدهر لن يبقي شيء على حاله ، فلا يبقى إلا الله عز وجل وعمل الإنسان في دنياه.

٤ ـ **المدح** : وهو من أكثر الفنون التي شهدت تطوراً كبيراً في العهد العباسي؛ لتعقد القصيدة وتأثرها بالبيئة الجديدة ؛ لأن الخلفاء العباسيين تأثروا بأبهة الملك وحجاب السلطنة وهيمنة الموالي وبفعل ازدهار الحياة الاقتصادية وتطور الحياة الاجتماعية، مع ميل الخلفاء إلى الترف وحب الإطراء .. فأقبل الشعراء يمجدون الخلفاء والأمراء وأصحاب النفوذ، مقابل العطايا السنية وهذا ما جعل الشعراء يحلمون بالثروات الطائلة، فيقصدون بغداد والعواصم الأخرى للإقامة في جوار القصور.فظهر فن المدح عند معظم شعراء الحجاز .

وأشهر ما قيل في المدح عند أبي العتاهية مدحه للخليفة موسى الهادي فيقول :

يضطرب الخوف والرجاء إذا	حرّكَ موسى القضيب أو فكرّ
ما أبينَ الفضلُ في مغيب ما	أو ردّ من رايةٍ وما أصدر(٣)

وهذا ابن هرمة والذي دفعته دقته الذهنية إلى أن يلائم بين مدائحه وممدوحيه ، فيقول في مدح ولي عهد أبي جعفر المنصور الذي كان يصل ويجزي الناس

بالعطاء أثناء حجه :

أتتك الرواحل والملجما	ث بعيس بن موسى فلا تعجل
فدونكها يابن ساقي الحجيج	فإني بها عنك لم أبخل (٤)

---

١. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، ج٢ ، ص ١٩٣، .

٢. الحموي:معجم الأدباء وطبقات الأدباء،ج٤ ،ص٢٧٦.

٣ الأصفهاني :الأغاني ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

٤. البلاذري:أنساب الأشراف ،ج٤، ص ٣٧٥ .

وهذا يظهر أن الخلفاء العباسيين لم يكونوا ممانعين لإقبال الشعراء على مدح من يجزل لهم العطاء دونهم، إلا أنهم كانوا حانقين فقط على الشعراء الذين كانوا قد مدحوا خلفاء بني أمية بالرغم من زوال الدولة الأموية ،كغضب أبي جعفر المنصور على الشاعر ابن هرمة ،ولكنه عفا عنه بعد أن مدحه بقوله:

اذا قلت أي فتى تعلمون　　أهشُ إلى الطعن بالذابل

واضرب للقرن يوم الوغى　　وأطعم في الزمن الماحل[1]

٥ ـ الرثاء : أما غرض الرثاء فمن الطبيعي أن تظل له منزلته السامية في النفوس لانبثاقه من عاطفة الحزن الموجود في كل زمان ومكان ولأنه الفن الوحيد الذي بقي يعبر عما يجول في النفس من حزن وكآبة. غير أن فن الرثاء ارتقى في هذا العصر، واكتسب غنى وعمقاً، بفضل شعراء كبار أبدعوا فيه وفي سائر أغراض الشعر. كذلك افتن الشعراء في هذا الغرض تبعاً لتشابك العلاقات الاجتماعية في ذلك العصر، وتوطد صلاتهم مع أولي الأمر. إذ لم يمت خليفة ولا وزير، ولا قائد ولا عظيم، إلا رثوه رثاء حاراً وأبّنوه تأبيناً رائعاً، مبرزين في قصائدهم كل ما كان

يتحلى به الفقيد في حياته من مناقب وما كان له من فضل .وقد تستدعي حقيقة الموت من الشاعر أن يتأمل في طبيعة الحياة وحال الدنيا،فيكون له من ذلك نظرات

وآراء،ولاسيما بعد أن تشبع الشعراء بأفكار ثقافات أغنت معارفهم وعقولهم، من الوجود والعدم، والحياة والموت، والبقاء والفناء.

وهذا أبو العتاهية يرثي جعفر بن يحيى البرمكي بعد قتله من قبل الخليفة هارون الرشيد(١٧٠-١٩٣هـ):

قولا لمن يرتجي الحياة أما　　في جعفر عبرةٌ ويحياهُ

كانا وزيري خليفة الله ها　　رون هما ما هما خليلاه[2]

فقد استطاع أبو العتاهية أن يحلق في أجواء علوية سامية وينظر من خلالها إلى الكون والحياة نظرة كلية شاملة وبذلك ارتفع في رثائه من نطاق الحادثة الفردية المحدودة إلى رحاب الإنسانية الشاملة.

---

١. أبي عثمان(عمرو بن بحر الجاحظ):البيان والتبين ،ج٣،ص٧٠.

٢. الطبري:المصدر السابق،ج٨،ص٣٠١.

وظهر في هذا العهد حزن الأصدقاء ،والذي يصور شقاء الأصدقاء بموت رفاقهم كرثاء سعيد الدارمي لحكم الوادي في مرضه قبيل وفاته:

إن أبا يحيى أشتكى علة أصبحُ منها بين عوادِ

فقلتُ والقلب بهِ موجعٌ يارب عافِ الحكم الوادي[1]

وهذه المرثية تدل على عمق العلاقة التي كانت تجمع بين الشعراء الحجازيين البعيدة عن المنافسة والكراهية ، والتي وجدت كثيراً بين شعراء العراق. كذلك يعني أن هذه المراثي تغاير في كثير من ملامحها معهود شعر الرثاء الذي يغلب عليه النواح وتبلل قوافيه الدموع.

٦ـ الشعر السياسي :

وهذا النوع من الشعرضعف وأصبح بسيطاً على عكس ما كان عليه في العهد الأموي، لشدة المعارضة وقوتها في ذلك العهد،واستغلالها بالأقاليم، أما في العهد العباسي فكانت سرية ، والشعر فيها يقال سراً أو يهمس في الأذن. والمعارضة الشديدة ضد الحكم العباسي كانت من جانب آل البيت من العلويين،بعد غدر العباسيين بهم ،واستغلال دعوة آل البيت ضد الأمويين لصالحهم.لهذا كان العباسيون

بحاجة إلى من ينصرهم على العلويين وأتباعهم من بني هاشم ، لكن لم يكن هجاء العلويين يسيراً ؛ لأن الدين يأباه في ذلك الوقت وكانت كرامة الخلافة العباسية نفسها تأباه أيضاً ،لأن العلويين من بني هاشم، وهجاؤهم هجاءالعباسيين. ومن هنا سلك الشعراء السياسيون في هجائهم طريق الدفاع والمناظرة الشريفة .

ومن الشعراء الذين أكدوا على أحقية العباسيين بالخلافة ابن المولى،الذي مدح الخليفة المهدي بقصيدةٍ ،عرض فيها بالمطالبين بالخلافة من آل البيت :

إذا ذكرتَ يوماً مناقب هاشم فـإنكمُ منها بخير المناصبْ

ومن عيبٍ في أخلاقهِ ونصابهِ فما في بني العباس عيبٌ لعائبْ؛[2]

ومروان بن أبي حفصة الذي عمد إلى الدفاع عن صفوف العباسيين في الخلافة والرد على آل البيت من العلويين:

١ـ الأصفهاني :الأغاني ،ج٦،ص٣٠٢.

٢ـ عمر فروخ : المرجع السابق، ج٢ ، ص ٨٧.

هل تطمسونَ من السماء نجومُها بأكفكمْ أو تسترونَ هلالها

شهدت من الأنفال آخر آية بتراثهم فأردتمُ إبطالها[1]

ولئن تكن الفصاحة في كلام مروان إلا أنه تظهر عليه المداهنة التي يلتمس بها مرضاة الخليفة بقدحه في أهل البيت على غير حكمة وعقل ؛بنكران حقهم ،فكأنه يجزم بما يراه عن يقين لا رجوع فيه .

أمّا من أشهر الشعراء المنادين بأحقية آل البيت سديف بن ميمون الذي يقول :

ما نهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكمُ يا بني الحسن[2]

وهذا الشعر في الإمام إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بعد ثورة أخيه محمد النفس الزكية (سنة ١٤٥ هـ) .

من خلال ما ذكر نجد أن الشعراء المناصرين للعباسيين يصرحون بأشعارهم علانية،بينما كان شعراء آل البيت يهمسون بها،ويمدحون العباسيين أحيانا؛ لرد الشبهات عن أنفسهم؛ لأن العباسيين كانوا بحاجة إلى من ينصرهم على العلويين ،ولكنهم لم يكونوا يريدون هجاءهم ؛ لأن الدين يأباه ، ولأن العلويين والعباسيين كلاهما من بني هاشم .

من هنا سلك مروان بن أبي حفصة وأتباعه من الشعراء سلك المناظرة الشريفة وهمهم جمع المال لا البحث عن الحقيقة وأحقية منّ في الخلافة،فيذكر مروان بن أبي حفصة أن المهدي منحه سبعين ألف درهم بعد أن قال فيه:

أنىّ يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البناتِ وراثةُ الأعمام

فيقول في ذلك معترفاً بتصنعه هذا الشعر لأجل المال:

بسبعين ألفاً راشنى من حبائِه وما نالها في الناس من شاعر قبلي[3]

أما الشعراء المنادين بأحقية آل البيت، الذين كان قولهم الشعر في حقهم لا مصلحة فيه ،بل حباً بهم ومعرفة بمجريات الأمور،واطلاعهم على المبايعة التي جرت بين العباسيين والعلويين- والتي ذكرناها سابقاً- من مبايعة النفس الزكية .

١- ابن خلكان: المصدر السابق،ج٢ ،ص٢٥٣.
٢-عبد الله بن المعتز : طبقات الشعراء ، ص ٣١٠ .
٣- الطبري : المصدر السابق ،ج٨،ص١٨٢.

الغناء:

والغناء كما عرفه ابن خلدون (هو تلحين الأشعار الموزونة ، بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة ، فيوقع على كل صوت منها توقيعاً عند قطعة فيكون نغمة، ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها؛ لأجل ذلك التناسب) [١]. وقد كان للعرب ميزة قول الشعر ثم تغنى الحداة من خلال حداء إبلهم، وأيضاً الفتيان في خلواتهم فراجعوا هذه الأصوات وترنموا ، فسموا هذا الترنم إذ ارتبط بالشعر الغناء. فالشعر الجاهلي بما يبلغه من تطور ونضج ينم عن مدى تعلق العرب المبكر بهذا الفن، ويدل على أهميته الكبرى عندهم. ونستطيع أن نتبين أعماق الفكر العربي في هذا المجال إذا قرأنا أشعار امرئ القيس، والنابغة الذبياني ،وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى وغيرهم من شعراء العصر الجاهلي . وإن ما يتميز به هذا الشعر من موسيقى وإيقاع بسبب الأوزان والقوافي قد منح الإنسان العربي ذوقاً رفيعاً في الموسيقى والغناء، وأذناً تتقبل الإيقاعات التي تتفق مع ذوقه الموسيقي.فكان علقمة بن عبده يوقع شعره على الألة الموسيقية ، فيقول في وصف قينة :

تغني فإن اليوم يومٌ من الصبا ببعض الذي غنى أمرؤ القيس أو عَمرو

وقد اقترن هذا الشعر بأدوات موسيقية كالدف ،والمزهر المصنوعان من الجلد، و البربط وهي آلة موسيقية وترية[٢]. وكان غناء العرب على ثلاثة أوجه(النصب ، والسناد ، والهزج) .- فأما النصب فغناء الفتيان ،وهو الذي يقال له المراثي ومنه أصل الحداد [٣].والهزج :وهو البسيط الذي يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار[٤]. وهذا يدل على أن العرب عرفوا الهزج قبل الإسلام،وهذا ما أكده ابن عبد ربه الأندلسي في كتابه العقد الفريد عندما ذكر أن الغناء الهزجي كان فاشياً في أمهات القرى من بلاد العرب في (المدينة ،الطائف ، خيبر)[٥]. وهذه القرى هي مجامع أسواق العرب ، وبها كان نشاط العرب الاقتصادي والأدبي – كما سبق ذكره - وهذا يناقض كلام شوقي ضيف في كتابه العصر الإسلامي:إن أول من صنع الهزج طويس،وسائب بن خاثر، مولى ابن جعفر،عندما نقلوا ألحان الفرس إلى الغناء العربي[٦].

---

١. ابن خلدون : مقدمة ، ص ٣١٤.
٢. ول ديورنت : المرجع السابق، ج١٣ ، ص ١٧ .
٣. ابن عبد ربه :المصدر السابق،ج٦ ،ص٣٥ .
٤. محمود شكري الألوسي : المرجع السابق، ج١ ،ص٣٦٩ .
٥. ابن عبد ربه:المصدر السابق،ج٦ ،ص.٣٥.
٦. شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص ١٤١ .

أما النوع الثالث فهو الإسناد : فهو كثير النغمات والنبرات وهذا كان من غناء العرب،حتى جاء الله تعالى بالإسلام ، واختلط العرب بالأعاجم،فكثر الرقيق،فغنوا غناء المؤلف بالفارسية والرومية المجزأ[١].وقد بين ابن خلدون إن من أسباب ظهورالغناء في المجتمعات البشرية هي تجاوزها حدّ الضروري إلى الكمالي، فتظهر صناعة الغناء لمن تفرغ من حاجاته الضرورية ،فبدأ يطلب الملذات[٢]. وهذا يعني أن العرب عرفوا الغناء بعد حصولهم على الترف ،وغلبة حياة الرفاه عليهم .

فقد بدأ التغني بالشعر في الحجاز ؛ لأن الشعر أصبح بحاجة إلى ما يلائم بينه وبين الموسيقى،فصنع الشعر للتغني به فوضع الشاعر الشعر الذي يلائم الغناء. والممتزج بحياة الترف.

وقد أرجع المسعودي ظهور الغناء في المدينة إلى أيام يزيد بن أبي سفيان ، بالإضافة إلى ظهور الشرب و الملاهي [٣].وهذا الكلام بحاجة إلى تحقيق وذلك أن المدينة في عهد يزيد كانت مفجوعة بمقتل الإمام(الحسين عليه السلام ٦١ هـ)، وكذلك وقعة الحرة(٦٣ هـ)،وتحصن ابن الزبير بمكة منذ (٦٢هـ).فبهذه الأوضاع كيف يذهب أهل المدينة إلى الملاهي ويتغنوا وكل عائلة وأسرة مفجوعة بأحد قتلاها. ومن الجائز أن الغناء ظهر في أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان، وتوقف في عهد ابنه يزيد . إلا أن الظهور البارز للغناء في المدينة لا بد أن يكون قد ظهر منذ عهد عبد الملك بن مروان (٦٤ ـ ٨٦ هـ) الذي أغدق الأموال على أهل الحجاز؛ لصرفهم عن التفكير بالأمور السياسية، واسترضاءً لهم ، مما أدى إلى تحضر أهل المدينة. وأدى بهم هذا التحضر إلى ترف واسع . فظهرالغناء نتيجة لهذا الترف،والذي أوصل مجتمع الحجاز إلى الكمالية في العيش، وتجاوز حد الضروري في المعاش والمنزل ،بالإضافة إلى هجرة أعداد كبيرة من الموالي إلى الحجاز، فغنوا بالعيدان والطنابير والمزامير، وسمع العرب تلحينهم للأصوات ، فلحنوا ما عندهم من أشعار. فظهر عدد كبير في أواخر القرن الأول الهجري من المغنين ومن الأشراف ممن جعل داره أشبه بفندق لهم ، أو مدرسة لتعليم الغناء ، كما فعل عبد الله بن جعفر [٤] وكان لهم تأثير فيمن جاء بعدهم من المغنين وهم:

---

١. محمود شكري الألوسي : المرجع السابق، ج١ ، ص ٣٦٩ .
٢. ابن خلدون :مقدمة ،ص٣١٦.
٣. المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج٣ ، ص٦٧ .
٤. شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص ١٤١ .

- طويس بن عبد الله مولى بني مخزوم . وهو من سبي فارس وولد في المدينة وتعلم بها الغناء. وتوفي في ولاية الوليد بن عبد الملك (٨٦ - ٩٧ هـ)[١].

- ابن مسجع : (سعيد بن مسجع ت ٩٧ هـ)، وهو معلم ابن سريج في الغناء. ونقل غناء الفرس والروم إلى العرب ، وأخذ محاسن النغم من الحجاز فغنى على هذا المذهب [٢].

- ابن سريج : عبد الله بن سريج(ت ٩٨ هـ) مولى بني نوفل بن عبد مناف ، من أهل مكة ، وهو من أشهر المغنين وأصحاب صناعة الغناء ، وقد غنى مرتجلا، وهو أول من غنى الغناء المتقن بالحجاز بعد طويس، [٣].

- ابن محرز : مسلم بن محرز وهو فارسي مولى بني مخزوم ،وجمع الحان الفرس والروم .

- معبد بن وهب : مولى عبد الرحمن بن قطر(ت ١٢٦هـ)، وكان من أحسن الناس غناءً وأجودهم صنعة ، وهو إمام أهل المدينة في الغناء المعروف بالثقيل. وقد ذكرابن إسحق أن أصل الغناء مدنيان ومكيان (مكيان ابن سريج وابن محرز، ومدنيان معبد ومالك الطائي) . وشهرة معبد تأتي من خلال قدرته على صناعة الألحان.

وقد كان اجتماع المغنين في مكة في جبل قعيقعان حيث المنافسات بين المغنين، وكان معبد بن وهب يحضر هذه المنافسات ويتبادل الغناء مع المغنين [٤].

أما أشهر المغنيات فهي عزة الميلاء(ت ٨٧ هـ)، وجميلة مولاة بني سليم (ت ١٢٥ هـ)، وزوجها مولى لبني الحارث من الخزرج ،وهي أصل من أصول الغناء وعنها أخذ معبد، وكان لها مجلس غناء يرتاده المغنون والسامعون [٥].

وبالرغم من أن معظم المغنين من الموالي والرقيق، فهذا لا يعني أن نظرية الغناء العربي نقلت نقلاً عن الأمم المجاورة ،بل تأثرت بغنائها ذلك؛ لأن معظم المغنين نشؤا واستقروا في الحجاز، فنشؤا نشأة عربية. فتأسست نظرية عربية مستقلة في الغناء في أواخر العهد الأموي.

أمّا في العصر العباسي فقد كان للغناء دور مؤثر وفاعل في إثراء الحياة الاجتماعية في هذا العصر، الذي كان دون شك عصراً ذهبياً للموسيقى والغناء، وما رافقه من انتشار هذا الفن

١.عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق، ج١،مجلد أول ، ص٦٢١ ، الأصفهاني : الأغاني ، ج٣ ، ص ٣١ ، ٣٦ .

٢.شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص ١٤٦ .

٣.عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق ، ص٦٤٩ ، الأصفهاني : المصدر نفسه ، ج١ ، ص ٢٤٣ .

٤.الأصفهاني :الأغاني، ص ٦٥، ٢٤٦، ٣٦٣ .

٥.الأصفهاني : المصدر نفسه ، ج٨ . ص ١٩٥ .

انتشاراً يفوق الوصف بعد أن تحرر من قيود كانت تكبله في السابق، وبعد أن وجد الرعاية والتشجيع من جميع الخلفاء والأمراء الذين تعاقبوا في عصر الدولة العباسية، حيث نجد سائر الفنانين يقدمون أعمالهم المختلفة من موسيقى وغناء ورقص في المحال العامة والشوارع إضافة بالطبع الى قصور الخلفاء والأمراء وبيوت الأغنياء.وهو ما يؤكد على نمو التذوق الفني والجمالي في هذا العصر الغني بإبداعات وصور الفنون المختلفة التي سطرها أعلام كبار كان لهم بصمتهم الخالدة في العصر العباسي ،والذي كان عصر نهضة وتقدم في شتى مجالات المعرفة الإنسانية . وهذه الأمور يدلك عليها كتاب الأغاني (للأصفهاني)، ومئات من الكتب التي اندثرت وذهبت.وبهذا لايكون هناك مجالٌ للشك في أن الناس في تلك الأيام كانوا مولعين بالغناء يقدرونه كما يقدرون الشعر ،ويحسون باللفظ الجيد والقصيد، ساعد في ذلك الحرية الكبيرة التي نالها الموالي، فقد أسهموا في نقل الحياة الفنية من الحجاز إلى العراق. فانتقلت بذلك حياة اللهو والمجون والترف التي كانت سائدة في الحجاز إلى العراق ، بعد أن كان العراق يتهم الحجاز بالخنوثة ويتهم أهل الحجاز العراق بالغلظة [١] .

ولكن هذا لا يعني أنه قضي على اللهو والمجون والغناء في الحجاز، بل ظل الحجاز يرفد العراق بالمغنين والمغنيات، وبقيت مجالس اللهو عامرةً بالحجاز ، والتي شملت الغناء والرقص،وكانت هذه المجالس تعقد في جميع المناسبات من ختان وزواج أو تولية خليفة جديد ، أو حتى بدون مناسبة . وأخذ الشعراء يصفون مفاتن المرأة فظهرت قصائد غنائية في مكة والمدينة [٢]، وأصبح للغناء مصطلحات،ومعظم هذه المصطلحات جاءت من قبل الموالي حيث كان تأثير الموالي الفرس في غناء مكة والمدينة كبيراً. حيث أن المغنيات كن يجمعن إلى جمالهن عذوبة الحديث فيملأن على الشعراء وغيرهم قلوبهم وعقولهم، ومنهن من يتقن نظم الشعر ،من خلال تعليم النخاسين لهن،مما زاد في أسعارالجواري على اختلاف أنواعهن وقومياتهن.فنشأت هؤلاء الجواري بذلك نشأة فنية،فكنّ يطربن علية القوم برقصهن وغنائهن،واتخذ سراة القوم الجواري من طبقة الأرقاء مغنيات وراقصات، وكان لبعضهن تأثير في سادتهن (كورد الخال)جارية الرشيد التي اشتراها بسبعين ألف درهم.

وكان(ابن رامين)الكوفي يستقدم مغنيات الحجازإلى العراق ،ويقيم داراً واسعة يقصدها الناس؛

١- طه حسين : المرجع السابق ،ج٢ ، ص ٥٣ .
٢- ول ديورنت:المرجع السابق،ج١٣، ص١٧ .

لسماع أصوات المغنيات، وشراء ما يعجبهم من الجواري[١]. وقد أدى اهتمام الخلفاء العباسيين بهؤلاء الجواري المغنيات المجلوبات من الحجاز إلى تشجيع أصحاب المغنيات إلى استقدامهن إلى العراق، فبرزت بذلك منافسة بين الحجاز والعراق حتى في مجال الغناء على غرار المنافسة في الحياة الدينية والشعر . ومنذ عهد المهدي أصبحت بغداد مركزاً واسعاً للغناء . فاجتمع في بلاط هارون الرشيد كوكبة الموسيقيين المتألقة ،الذين أجريت عليهم الأرزاق ، وكان يقيم لهم المهرجانات الفنية ، فقد ذكر أنه اجتمع في أحد هذه المهرجانات ألفان من المغنين برعاية الرشيد ،فغنته المغنيات ،فطرب ونثر المال عليهن ،ولشدة إعجابه بمغنية من المدينة أمر بقضاء حوائج ثمانين من مواليها ،ومن غنائها:

أحسنُ ما كنّا تفرقنا وخاننا الدهرُ وما خنّا

فليت ذا الدهر لنا مرةً عادَ لنا يوماً كما كنّا[٢]

ومنذ ذلك الوقت أصبح للغناء نظريات وقواعد وكتب ورسائل مغنية . فيقول أبو دلامة من شعر له على شكل رسالة من شيخ قبيلة بني سعد إلى الخليفة :

تخطا من جواري المصر كاتبة قد طالما ضربت في اللام والألفِ[٣]

ومن آثار تطور فن الغناء أن أصبح للمغنين طبقات؛ وذلك نتيجة اهتمام الخلفاء العباسيين به . فقد طلب الرشيد من بعض المغنين ومن بينهم إبراهيم الموصلي وإسماعيل بن جامع [٤] أن يختاروا مئة صوت مختارة من الغناء ، فكانت هذه الأصوات تباع بأثمان عالية فبيع أحد الأصوات بمئة ألف دينار[٥] .

---

١. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص ٥٩ .
٢. ابن كثير :المصدر السابق ،ج١٠ ،ص ٦٥٤ .
٣. أحمد أمين : ضحى الإسلام ،ج٢، ص٩٠ .
٤. ابراهيم الموصلي ، ابن جامع : سترد أخبارهم عند التحدث عن المغنين .
٥. شوقي ضيف : العصر العباسي الأول، ص ٦٠، ٦١ .

أ- المغنون الحجازيون في العصر العباسي :

١- دحمان(عبد الرحمن بن عمرو ت ١٦٥ هـ)،مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وكان يعلم الجواري الغناء المعروف بالثقيل، وهو اللون الذي اختاره المغني معبد – كما اشرنا - . وكان دحمان قد غنى للمهدي فأعطاه مئة الف دينار ، ومن غنائه :

اذا نحنُ أدلجنا وأنتَ أمامَنا	كفى لمطايانا برؤياكَ هاديا
اذا ما طواكَ الدهر يأمّ مالكٍ	فشأن المنايا القاضيات وشانيا[١]

من خلال الإطلاع على أغاني دحمان نجد أن معظمها عبارة عن شعر يصف المرأة أو يتغزل بها ،لأنه يستهدف إثارة شجون وشعور مستمعيه.

٢- سياط (عبد الله بن وهب ت١٦٩ هـ)، مكي ، مولى خزاعة ، وكان مقدما في الغناء وهو أستاذ ابن جامع ، وإبراهيم الموصلي اللذان سيرد ذكرهما .

ومن أشهر أصوات المغني سياط :

يا أم عمرو لـقد طالبتُ ودكـم	جُهدي وأعذرتُ فيه كل أعذار
حتى سقمتُ وقد أصبحتُ سالمة	ممـا أعـالـجُ من هـمٍ وتـذكـار

وهذا الصوت من المائة المختارة للرشيد[٢].وهذا ينبئ بكفاءة سياط ورجحانته وقدرته على إعجاب السامعين ،بالإضافة إلى ذوقه في اختيار الأشعار المناسبة للغناء الذي أوصله للكمال.

٣- عطرد :مولى الأنصار(ت ١٧٥ هـ). فقيها قارئا للقرآن ومغنيا يجيد الغناء[٣].

٤- يزيد حوراء : من أهل المدينة . وكان من موالي بني ليث بن بكر، وقد غنى للمهدي فكان حسن الصوت . أسهم في تعليم الجواري الغناء مع إبراهيم الموصلي . إلا أن إبراهيم الموصلي كان يحسده ، ويرسل ابنه إسحق للتعلم منه [٤].

٥- حكم الوادي:الحكم بن ميمون(ت ١٨٠ هـ) ، مولى الوليد بن عبد الملك ، ولد بالمدينة، واشتهر بغناء الهزج ،والغناء المرتجل ،سمع منه المهدي والهادي،وتوفي بقرحةٍ بصدره . ومن أصواته :

أمدح الكـأس ومـن أعملها	واهجُ قـومـا قتلونا بالعطش
إنـمـا الـراحُ ربـيـع بـاكـر	فإذا ما وافـت المرءَ انتعش[٥]

١- الأبشيهي:المصدر السابق ،ج٢، ٢٠٨.
٢- الأصفهاني : الأغاني ،ج٦ ،ص١٦١-١٦٢.
٣- عبد السلام الترمانيني : المرجع السابق، ج١ ، مجلد أول ، ص ١٠٢٥ .
٤-الأصفهاني : ، لأغاني، ج٣ ، ص ٢٤٨ ، ٢٥٠ .
٥- الأبشيهي المصدر السابق ،ج٢ ،ص ٢٠٥.

والشعر للشاعر النابغة الجعدي(ت ٥٠ هـ) ، وهو صحابي أسلم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأدرك صفين مع الإمام علي عليه السلام [١].

٦ - ابن جامع (إسماعيل بن جامع القرشي ت١٩٢ هـ) ،وكان حافظاً للقرآن ، وعالماً به ، وهاجر من مكة إلى بغداد في عهد الرشيد . ومن أصواته :

أمست رسـومَ الديار غيّرها   هـــوج الـرياح الزعـازعُ

وكل ضـائـة لهـا زجـلٌ   مثـل حـنين الروائم الشغف[٢]

واشتهر ابن جامع بالصوت الحزين ، فأحب الرشيد سماع ذلك ، فأخبره كذباً أن أمه قد ماتت فغنى ابن جامع حتى أبكى السامعين:

كم بالدروبِ وأرضُ السندِ من قدم   ومن جماجمَ صرعى ما بها قُبرو[٣]

ومن أصواته في المائة المختارة التي تولى حصرها مع (إبراهيم الموصلي) .

سقاني فروّاني كميتٍ مُـدامة   على ظمأ منّي سلام بن مشكم [٤]

تخيرته أهـل المدينةِ واحـداً   ســواهم فلم أغبن ولم أتـندم[٥]

هذا هو ابن جامع الذي كان منافساً كبيراً لإبراهيم الموصلي رائد الغناء في بغداد.بدليل إشتراكهما معاًفي وضع مائة صوت مختارة للخليفة الرشيد.

٧- فليح بن أبي العوراء(ت٢١٠هـ) ، من أهل مكة مولى لبني مخزوم ولم يقع إلينا اسم أبيه وهو أحد مغني الدولة العباسية له محل كبير من صناعته وموضع جليل ، واشتهر بلحن النواقيس.وكان إسحاق إذا عد من سمع من المحسنين ذكره فيهم وبدأ به وهوأحد الثلاثة الذين اختاروا المائة الصوت للرشيد وكان إسحاق الموصلي يمدح غناءه ومن أصواته في المائة المختارة :

أفاطمُ إن النأي يسلي ذوي الهَوى ... ونأيكِ عني زادَ قلبي بكمْ وجدا

أرى حَرجا ما نلتُ من ودِ غيركمْ ... ونافلة ما نلت من ودكمْ رشدا [٦].

من خلال أصوات فليح نجد إن مسلكه كان أميل إلى المجون والدعابة.

٨- يحيى بن مرزوق الملكي (ت٢٤٠هـ)، مولى بني أمية ، ولكنه كان يكتم ذلك خشية من

١-تعليق على النابغة الجعدي لكتاب الهوامش ،أ.علي مهنا .
٢-الأصفهاني :الأغاني ،ج٦ ، ص ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٩.
٣- الاصفهاني: المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٢٣، ٣٢٢.
٤-سلام بن مشكم : سيد بن النضير أثناء غزوة السويق . ابن هشام : السيرة النبوية ، ص ٤٠٥ .
٥-الأصفهاني : المصدر نفسه ،ج٦، ص ٣٥٦.
٦-الأصفهاني: الأغاني ،ج٤ ،ص٣٥٣ ، ٣٥٩.

الخلفاء العباسيين،فيقول أنا مولى قريش ،وعاش مئة وعشرين سنة [١]، فالولاء لبني أمية في زمن العباسيين كانت جريمة لا تغتفر وذنباً لايمحى .هاجر إلى العراق في أول خلافة المهدي (١٥٨ هـ)، وبقي هناك مع ولده، فألف كتاباً في الأغاني وأهداه لعبد الله بن طاهر ،ومن أصواته التي أحتال عليه إبراهيم السهدي للحصول عليه:

بزينب ألممْ قبل أن يرحل الركبُ وقـل إن تُمـَلينا فما ملك القلبُ

لزينب طـيف تعتريني طوارقُه هدوءاً إذا النجم أرجحنت لواحقه[٢]

وهذا دليل على أن يحيى كان مرجعاً في الغناء ، بدليل احتياج إبراهيم المهدي المغني المشهور له، ليأخذ منه صوتاً أعجبه.

٩- بذل: من أشهر مغنّيات المدينة في العصر العباسي، عاشت أيام المأمون ، الخليفة السابع، في القرن التاسع ميلادي، ومن الذين أسهموا في تاريخ حقيقيّ للغناء العربي وحفظه من الضّياع والنسيان، وذلك بفضل كتابها القيّم في الأغاني الذّي احتوى على اثني عشر ألف صوتٍ غنائيّ، إضافة إلى كونها تُعتبر من المغنّيات المُجيدات، اللّواتي كُنّ يحفظن مئات الألوف من الأصوات.وتُحدّثنا كُتُب التّاريخ الموسيقيّ عن هذه الفنّانة أنّها كانت تحفظ وتغنّي ثلاثين ألف صوتٍ .

وقد تعلّمَت "بذل" على أيدي أعلام كبار في تاريخ هذا الفن،حيث تتلمذت على يد (أبي سعيد مولى فائد، وفليح بن أبي العوراء ،وابن جامع ،وإبراهيم الموصلي)، وغيرهم[٣]... وكما هو معلوم، فإنّ هؤلاء الأعلام كانوا ينتمون إلى عدّة مدارس فنيّةٍ، ممّا أغنى هذه الفنّانة وجعلها أكثر درايةٍ وخبرةٍ في فنون هذه الصّنعة الجميلة؛

وبهذا تُعتبر "بذل" من الفنانات القديرات اللّواتي اكتسبن ذخيرةً معرفيّة عميقة في العلوم الموسيقيّة والغنائيّة على حد سواء، أهّلها لأن تكون مرجعًا مهمًا للأصوات الغنائية القديمة والمُحدثة.ومن غنائها:

إن تـريـنـي نـاحلُ البـدن فلطول الهم والحزن

كـان ما أخـشى بـواحدتي ليته والله لـم يكـن[٤]

١٠- فريدة: مولدة ، نشأت في الحجاز ، وتعلمت الغناء في دور بني الربيع ،ثم انتقلت إلى العراق ،وصارت إلى البرامكة ،ومن أصواتها:

١- الأصفهاني : المصدر نفسه ،ج٦، ص ١٦١ ،١٦٧، ١٨٣ .
٢- الأصفهاني : المصدر نفسه، ج٦، ص ١٨٥ ،١٩٠، ١٩١ .
٣- الأصفهاني:الأغاني ،ج١٧ ،ص٨٠.
٤- الأصفهاني : المصدر نفسه، ج١٧ ، ص ٨٤ .

ويح سَلمى لو تراني		لعناها ما عناني

واقفاً في الدار أبكي		عاشقاً حُور الغواني [1]

وهذه الأغاني تعبر عن حزن المغنية على ما أصاب سادتها البرامكة ،والذي يعبر عن وفاء المغنية لهم وإخلاصها ،دون خوف من انتقام عباسي منها.

هؤلاء هم مغنو الحجاز من عرب وموالي ،والذين كان لهم فضل كبير في تطور صنعة الغناء عند العرب ، وهذا إنتاجهم في هذا المضمار،من خلال وضع علم الموسيقى ووصف القواعد والأصول ،فسموا بذلك سمو النفس الرفيعة المتعالية.

فأجادوا في تأليف الأصوات،والذي مكنهم من ذلك :انفراد كل مغني منهم بلحن من الألحان يفتن فيه ويصنع فيه الأصوات الجميلة ،حتى يفوق ألحان غيره من المغنين،كإبداع حكم الوادي بالهزج وفليح بن أبي العوراء بلحن النواقيس. بالإضافة إلى ما كان يتناوله كل منهم من عطايا الخلفاء والأمراء من الأجر .

فقهاء الدين الحجازيين والغناء :

لم يصدر عن الفقهاء أي تحريم للغناء بل كانوا يستنكرونه وينفرون منه؛ لأنه يثير الشهوات ، وبرغم ذلك قالوا: إنه ليس إثماً بذاته . وحجة إجازته وعدم تحريمه هو أن الرسول (ص) لم يحرمه، ولم يمنع النساء من الإنشاد بالدف والألحان عند استقبالهم له في المدينة المنورة بـ:

طلعَ البدرُ علينا		مِن ثنيات الوداع

وجبَ الشكرُ علينا		ما دعا لله داع [2]

وكان الإمام مالك يرى أن الغناء مهيج للقلوب ، وهو كذلك عند أكثر العلماء؛ إلا أنهُ ليس في القرآن والسنة دليل على تحريمه ، ويذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم رخص الغناء في العيدين،وقال (ص):(ما بعث الله نبياً إلا حسن الصوت)[3]، وقوله لأبي موسى الأشعري لما أعجب بحسن صوته"لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داوود" [4]. بمعنى أن التغني بالقرآن وتحسين الصوت مقصود شرعاً مالم يخرج ذلك عن العادة حتى وإن أطرب . ومن هذه الأحاديث أخذ كثير من قراء الذكر الحكيم يجيدون في تلحين أصواتهم ،وهو ما عارضه الإمام

١- الأصفهاني : المصدر نفسه، ج٤ ، ص ١١٩ .

٢- الأبشيهي : المصدرالسابق ، ج٢ ، ص ٢٠١ .

٣- شوقي ضيف : الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، ص ٤١ .

٤- ابن عبد ربه :المصدر السابق ،ج٦ ،ص٦.

مالك ، وأجازه الإمام الشافعي[١].ومعارضة الإمام مالك لتلحين القرآن

من الحديث ليس التلحين ،بل الإجادة في القراءة .و ليس كما توهم به كثير من الفقهاء أن المراد ،لمعرفته أن المراد به

تلحين الموسيقى ؛لأنّ غناء الشعر مختلف عن تلحين القرآن،فتلحين القرآن بسيط وهو محل

خشوع ، وهكذا كانت قراءة الصحابة، وكان لبعض المغنين علم كبير بالدين أو بالتعمق في

قراءة القرآن ..

وبالمقابل هناك من الفقهاء من كان يستمع للغناء كعبد الملك بن جريج ،وعطاء بن أبي رباح. وخاصة بصوت المغني ابن سريج . ومن الأصوات التي تغنى لهم بها والتي بها حكم :

اخوتي لا تبعدوا أبداً　　　　وأبلي والله قد بعدوا [٢]

وسأل الرشيد إن كان الإمام مالك يحرم الغناء: فأجيب بأنهم قد سمعوا له غناءً في عرس ابن حنظله غسيل الملائكة فيقول :

سليمة أزمعت بيننا　　　　فــأين تظنـهـا أينـا

وذكر أيضاً أن الإمام مالك مرّ على قينة وهي تغني بـ :

أنت أختي أنت حرمة جاري　　　　وحقيق عليَّ حفظ الجوار

أنا للجار ما تغيب عني　　　　حافظٌ لمغيبٍ في الأسرار

فقال مالك : لو غني به حول الكعبة لجاز ، وسمح بالغناء بمثل هذا [٣] ،وكره مادون ذلك حتى أنه استكره بيع الجارية التي فيها شرط الغناء والأعراس التي فيها معزف وضرب الدف[٤].

وهذا يعني أن الفقهاء أباحوا فقط الغناء البعيد عن الكلام الفاحش والمسيء ، والمثير للشهوة ، وذلك أنهم إنما كان يغضبهم فاحش القول والبذيء منه، وما يخرج عن الطِباع من الطرب وغيره.ومن نظر إلى لغة العرب واستعمالهم للغِناء وجد أنهم يريدون به الشعر، والكلام المسجوع ، فيسمونه غِناءً. وقد أشادوا بالغناء العفيف ، الذي يشير إلى الحكم ، والكلام الحسن؛ بحجة عدم وجود أحاديث أو آيات تحرمه .

ولكن هذه الإباحة للغناء في الحجاز لم تكن عامة من قبل جميع الفقهاء فقد حرمت مدرسة ال البيت(عليهم السلام)والمتمثلة في تلك الفترة بالإمام الصادق(عليه السلام) الغناء بجميع أنواعه ؛ لأنه يسعر القلوب، ويستفز العقول ،ويستخف الحليم فاستشهدت بآياتٍ قرآنية و أحاديث ومنها:

١- ابن خلدون :مقدمة ،ص٣١٦.

٢- الأصفهاني : الأغاني ، ج١ ، ص ٣٠٥ .

٣-عبد الغني الدقر : المرجع السابق، ص ٣١١ .

٤- مالك بن أنس: الدونة الكبرى ،مجلد ٤ ،ص٤٢١.

قوله سبحانه وتعالى { ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين * وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يَسمعها كأنَّ في أذنيه وَقراً فبشّره بعذاب أليم } [١]. (وقر = ثقل في السمع) .

وقال فيهم { وإذا سمعوا اللّغوَ أعرَضوا عنه }[٢]،وقال تعالى{وإذا مرّوا باللغو مرّوا كِراماً }[٣]،وقال جل وعلا{ فاجتنِبوا الرّجسَ من الأوثان واجتنبوا قول الزور }[٤].

ومن الأحاديث التي تدل على تحريم النبي (ص) للغناء:

- قوله(صلى الله عليه و آله وسلم):[ما رفع أحدٌ صوتَه بالغناء إلا بَعث الله شيطانين على منكبَيه يَضربان بأعقابهما على صدره حتى يُمسك][٥].

-عن صفوان بن أمية قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ جاء عمرو بن مرة فقال : يا رسول الله ، إنّ الله كتب عليَّ الشقوة ، فلا أراني أرزق إلا مِن دفّي بكفّي ، فأذن لي في الغناء من غير فاحشة . فقال عليه السلام: لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة ، كذبت أي عدوّ الله ، لقد رزقك الله طيباً فاخترت ما حرّم الله عليك مِن رزقه مكانَ ما أحلَّ الله لك من حلاله ، أما إنك لو قلت بعد هذه النوبة شيئاً ضربتك ضرباً وجيعاً [٦].

ومن الأحاديث التي تدل على تحريم الإمام الصادق(عليه السلام) للغناء:

- عن الصادق (عليه السلام)في معنى قوله تعالى { وإذا مروا باللغو مروا كراماً } أنه قال [من ذلك الغناء ...][٧].

- عن أبي بصير قال[سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عز وجل{ فاجتنِبوا الرّجسَ من الأوثان واجتنبوا قول الزور} قال : الغناء][٨].

- عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال [الغناء يورث النفاق ويعقب الفقر][٩] .

١- القران الكريم: لقمان ٣١ / ٦-٧.
٢- القران الكريم: القصص ٢٨ / ٥٥.
٣-القران الكريم :الفرقان ٢٥/ ٧٢.
٤- القران الكريم :الحج ٢٢/ ٣٠.
٥- المجلسي(محمد باقر اللمجلسي،ت١١١١هـ) : بحار الأنوار ،ج ٧٩، باب ٩٩، ص ٢٤٧ ،ح ٢٦.
٦- المجلسي : المصدرنفسه ،ج ٦٧ ،باب ٥٢، ص ١٤٦، ح ٧.
٧- النوري (حسين النوري الطبرسي)(ت١٣٢٠هـ): مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ،ج ١٣ ،باب ٧٨، ص ٢١٣ ،ح ١٥١٤٧.
٨-الحر العاملي (محمدُ بن الحسن)(ت١١٠٤هـ): وسائل الشيعة ج ١٧ ،باب ٩٩ ص ٣٠٥ ،ح ٢٢٦٠٢.
٩- الحر العاملي : المصدر نفسه ،ج ١٧، باب ٩٩، ص ٣٠٩ ،ح ٢٢٦١٦.

وهكذا يتضح أن القرآن الكريم تعرّض لذكر (الغناء) وإن لم يكن تعرُّضا بالإسم المتداول عندنا ، وأنه نهى عنه نهياً شديداً ، و تلا ذلك الوعيد عليه بالعذاب الأليم ، وكذلك دلت الأحاديث النبوية بشكل صريح على تحريم الغناء. ومن نظر إلى توافق المفسرين من الصحابة والتابعين على ذمّ الغناء الفاحش واللغو ؛ وجدَ أن ذلك من صرائح السنة وظواهر الأدلة ،مما يدل ويؤكد على حرمة هذا العمل ، وليس كما أدعى الفقهاء الذين اباحوه بحجة عدم وجود دليل من القران والسنة. فمن نظر إلى بعض المحرمات التي قد أطبق العلماء على تحريمها، ووجد قِلّةً في النصوص الواردة في السنة _ توصل إلى أن قلّة النصوص إنما كانت لأجل أن ذلك كان من المسلّمات_ .

ثالثاً- مدرسة المدينة وإسهاماتها العلمية(علم التاريخ):

التاريخ عند خليفة بن خياط : " هو ما عرف به الناس أمر حجهم وصومهم ، وانقضاء عدد نسائهم ، ومحل ديونهم "[١]. وعرفه ابن خلدون بأنه : " فنّ عزيز المذهب ، جمّ الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم " [٢] . وهو عند عبد القادر فياض : الإلمام بأحوال الماضين ، من حيث طرق عيشهم وتفكيرهم وآدابهم ، للاستفادة من أخطاء الماضي في بناء الحاضر [٣] .

وعرفه سهيل زكار بأنه : "عملية تذكر المشاهدات وروايتها وتدوينها ودراستها ، ثم الاستفادة منها بما لها وما عليها " [٤] . وقد أولت كثير من الأمم اهتمامها بعلم التاريخ منذ القديم ، فقد حفظت بلاد الرافدين تاريخها بالكتابة على الألواح الطينية ، ومصر اعتمدت على الكتابة على أوراق البردي [٥] . ووجد شيئا من الوعي والإحساس التاريخيين عند العرب في بلاد الشام والعراق؛ من خلال استقرار قسم كبير من القبائل في هذه الأنحاء ،واختلاطهم بالأمم المجاورة لهم من فرس ورومان ونقلهم قصص وروايات من أهل الكتاب ،فنقلوها إلى الجزيرة العربية أثناء مواسم الحج و التجارة .فقد كان (النضر بن الحارث)يؤذي الرسول (ص) ويتحداه خاصة عندما يجلس الرسول إلى أهل قريش ويذكرهم بما أصاب من قبلهم من الأمم من عذاب ،فيرد عليه النضر بن الحارث بقصص عن ملوك الفرس ،ويقول لأهل قريش أنا أحسن منه حديثاً فتعالوا إليّ أحدثكم[٦].

ولكن هذا الوعي والإحساس التاريخيين لم يكن لهما من النضج والوضوح بحيث يتمخض عنهما نتاج كبير في التأليف والتدوين التاريخيين.

وكانت أكثر مظاهر هذا الوعي بادية للعيان في نجد والحجاز، وقد تمثلت في اتجاهين، هما(الأيام) و(الأنساب).فبينما يكون (النسب) المحور الذي تقوم عليه القبيلة، كوحدة اجتماعية سياسية في نجد والحجاز، كانت (الأيام) التي فرضتها طبيعة الحياة العربية القبلية قبل الإسلام،

---

١ -ابن خياط: المصدر السابق، ج١ ، ص٥ .
٢ -ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٤ .
٣ -عبد القادر فياض : الصعلكة عند عرب الجاهلية ، مجلة المعرفة السورية ، العدد ٣٤٧ ١٩٩٢م ، ص ٨١ .
٤ -سهيل زكار : التاريخ عند العرب : ص ٤ .
٥ -فيصل محمد شقير : التاريخ عند الغرب وعند العرب المسلمين ، مجلة الفصل ، دار الفيصل الثقافية ، الرياض ، العدد ٣٤ / ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ م ، ص ١٢٠ .
٦ -ابن هشام:المصدر السابق،ص،١٥٠.

الوعاء الذي تحفظ فيه القبيلة ذكريات غزواتها وملاحمها مع القبائل الأخرى، وتأتي المفاخرة والمباهاة بأبطالها وشجعانها، الذين قاتلوا ببسالة في الذود عن حمى القبيلة، لتضيف إلى القبيلة مجداً وعزاً ،هي أحوج ما تكون إليه وسط بيئة لا يعيش فيها إلا الأقوياء. لذا فقد جاءت (الأيام) و(الأنساب) استجابة حضارية فرضتهما طبيعة الحياة العربية، المتوثبة، والمتحفزة دوماً لمواجهة التحدي الذي هو أحد إفرازات البيئة الصحراوية القاسية، فلا غرر أن أصبحت القبائل تولي أيامها وأنسابها منتهى الاهتمام، فتغرس في أطفالها ويافعيها، في مجالس السمر القبلية، حب هذا الإرث، والإخلاص له، والمحافظة عليه، وإضافة أمجاد جديدة عليه حين يشبوا،فكل قبيلة من هذه القبائل كانت تؤرخ بيوم من الأيام المشهورة لهم ،فالأوس والخزرج أبناء حارثة أرخوا منذ عام الآطام (الحصون والقلاع)،وقبيلة تميم تؤرخ بعام الكُلاب وهي المعركة التي نشبت بين ربيعة وتميم[1].

ويمكن تقسيم المادة التاريخية للعرب قبل الإسلام إلى نوعين :

أ- دينية :من القصص الوثني واليهودي و المسيحي نقله الأحبار والرهبان ، وحفظه العرب بالسماع أو التدوين ، من ذلك ما كان يرويه (النضر بن الحارث بن كلده) لقريش منافسة منه للنبي في القرآن ، وبعضه يروي تراثا مثل (الأيام) التي تحكي الحروب الهائلة بين القبائل ولا تخلو من المبالغات والخرافات .

ب- الأنساب : وقد قام على أساسها نظام القبائل عند العرب والقبيلة كانت الوحدة السياسية التي تنسب لها العرب . وهي دولته وحماه والملجأ الذي يدافع عنه . وحرص العرب على حفظ أنسابهم.

على أن ظهور الإسلام شغل العرب في بداية الدعوة الإسلامية وعصر الراشدين عن كل ما سواه، عن الأيام والأنساب، وأخبار اليهود والنصارى، والفرس والروم، والأحباش وأخبار ملوك اليمن فلما ظهر الإسلام على الشرك في الجزيرة العربية، وظللتها رايته، وأصبحت كل أرجائها تخضع لحكومته في المدينة، بدأ المسلمون عملية إعادة النظر فيما تضمنه القرآن الكريم من قصص لأنبياء ورسل، وأمم وشعوب وقبائل، وما أصاب المكذبين منهم من دمار وفناء، وما لاقى الصالحون من فلاح ونجاح.ونستشهد من القرآن الكريم على ذلك بشاهد"وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

---

[1] – المسعودي: التنبيه والإشراف، ج٢ ،ص ٣٥٢، ٣٥٣.

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠) ...... وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥)"[١].

إن هذا العرض يبين العروض القرآنية في الزمن،ويظهر مبادئ أساسية حول تركيب الإنسان،والعلاقة بين السماء والأرض، بالإضافة إلى تكوين صيغة متكاملة للعرض التاريخي بأسلوب قصصي ،لواقعة مهمة في تاريخ الإنسان.ولكن لا يعني ذلك أن كل معطيات القرآن التاريخية تحمل طابعها القصصي كما يتبادر للذهن . إن هذه القصص جاءت في القرآن الكريم بقصد العبرة والاتعاظ، وقد حفز هذا المسلمين على التساؤل عن تلك الأمم ومواطنها وأزمانها وصلتها ببعضها أو بالعرب .. ولأن أكثرها كانت من العرب كعاد وثمود، وأصحاب شعيب .. إلخ، فقد كان القرآن المحفز لدراسة التاريخ العربي القديم، إلى جانب التاريخ العام، في حين كان الحديث النبوي الشريف المحفز للاهتمام بجمع وتدوين التاريخ الإسلامي.

ولأن رسالة الإسلام كانت امتداداً تاريخياً لرسالات سابقة، نوح وإبراهيم وموسى عليهم السلام، ولأن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد أصبح للماضي - كما أسلفنا- قيمة كبيرة في نظر العرب المسلمين، لأنه يمثل العمق الذي تمتد فيه جذور رسالة الإسلام.

وقد أصبح مفسرو القرآن الكريم بحاجة ماسة إلى المعلومات التاريخية، عند تفسيرهم للآيات القرآنية التي يرد فيها ذكر بعض الأنبياء وأقوامهم، فكان ذلك سبب اهتمامهم بالماضي وقد أفاد من هذا التراث بعد الإسلام،الكتاب المسلمون، واستمدوا الكثير من معلوماتهم عن حياة العرب قبل الإسلام، وخاصة تلك التي تتعلق بنجد والحجاز وعرفت حواضر الحجاز (مكة والمدينة) الكتابة والتدوين منذ القرن السادس الميلادي بعد بروزها تجارياً ، وسيطرتها على خطوط التجارة ، فكانت مضطرة إلى الأخذ به ،فنقلت إلى مكة أبجدية الحيرة التي انتقلت إلى الحيرة عن طريق الأنباط . أما بالنسبة لعرب البوادي فقد كانوا أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، وحفظوا أيامهم ووقائعهم ، وما قيل من خطب وأنسابهم عن طريق الروايات وقول الشعر ؛ (لأن الشعر ديوان العرب) . فكل جيل يرويه للأجيال القادمة .

و كان مفهوم التاريخ عند العرب قبل الإسلام هو : الإعلام بالوقت ، وتاريخ شيء من الأشياء أي ما وقع خلال هذا الوقت من حوادث ووقائع ، وهي كلمة عربية الأصل ، ولم

١- القرآن الكريم: ١/٣٥، ٣٠.

تظهر كاصطلاح بمعنى الإنسان والزمان إلا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب. فالناس في المناطق الحضرية في الحجاز كانوا يؤرخون من الدهر الأول من هبوط آدم ، فلم يزل ذلك حتى بعث الله نوحاً ، فأرخوا من دعائه لقومه والطوفان،وانتهوا إلى تاريخ مهاجرة الرسول (ص)من مكة إلى المدينة، فاتخذوه بداية للتاريخ الإسلامي[١].

فبدأ اشتغال مؤرخي المسلمين بكتابة سيرة الرسول صلوات الله عليه وسلامه، وحولها تفجرت ينابيع أفكارهم فقدمت مادة تاريخية غزيرة عن المدينة المنورة ؛ تجلت في وصف الأماكن والأحداث التي كانت لها علاقة بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في المدينة ؛ وكذلك الحال بالنسبة لكتب المغازي فقد وردت فيها أخبار عن بعض الأماكن .التي مر عليها جيش الإسلام في طريقه إلى غزواته .

وعندما ازدهرت الحركة العلمية عند المسلمين في القرن الثاني الهجري ظهر نوع جديد من الكتابة التاريخية،وهو التأريخ للمدن الإسلامية، ومكة والمدينة أقدسها؛ فكانت عنايتهم بمكة المكرمة والمدينة المنورة فائقة ؛ وكان من أشهر من كتب عن المدينة المنورة محمد بن الحسن بن زبالة ؛ وأبو عبيدة معمر بن المثنى ؛ وعلي المدائني، والزبير بن بكار ؛ وعمر بن شبة ؛ ويحيى العلوي ؛ وغيرهم ممن تفرقت أخبارهم في المصادر.وكان للمؤرخين المذكورين شرف السبق في تناول تاريخ المدينة المنورة في كتب مفردة لهذا الغرض مما جعل لهذه المؤلفات أهمية كبيرة لدى المؤرخين الذين جاؤوا بعدهم فكانت كتبهم تلك هي المصادر التي اعتمدوا عليها ونقلوا منها ؛ ومن المحزن أنه لم يصلنا من مخطوطاتها سوى كتاب واحد هو كتاب (تاريخ المدينة لابن شبة) الذي عثر الباحثون على نسخة منه وطبع محققا ؛ أما بقية تلك الكتب المؤلفة في المرحلة الأولى فلم تعرف منها نسخ مخطوطة ؛ وإنما وصلنا نصوص منقولة منها في كتب كثيرة متفرقة .وقبل أن نتعرف على تلك المؤلفات التي وُضعت في تاريخ المدينة إبّان القرنين الثاني والثالث الهجريين، نلقي الضوء على بداية الكتابة التاريخية عند المسلمين ؛ ودوافع التأليف التاريخي وارتباط التاريخ بالحديث ؛ ثم كيف وصل المؤرخون لهذا النوع الجديد من الكتابة التاريخية وهو التأريخ المحلي للمدن وعلى الأخص التأليف عن تاريخ المدينة المنورة.

---

١ - خليفة بن خياط: المصدر السابق ، ج١ ، ص٦ ، ٧. المبرد: المصدر السابق،ج٢،ص٦٧٢.

لقد بدأ المسلمون الاهتمام بتدوين التاريخ بعد تحقيق وحدة شبه الجزيرة العربية حيث اجتازت جيوش العرب مملكتي الفرس والروم .... ومن الأسباب التي اقتضت جمع الأخبار المتصلة بكل ذلك وتدوينها :

١ ـ لتخليد ذكرهم ،ومباهاةً للأمم الأخرى بعد الفتوحات ، بعد مباهاة الموالي والعجم بماضيهم ، فرد العرب على هؤلاء بتدوين حضاراتهم قبل الإسلام وبعده.

٢ـ دور العلوم الدينية من تفسير آيات القرآن ومعرفة أسباب نزولها ، والحديث من خلال جمع الأحاديث لتفسير القرآن ، واستنباط أحكام الدين ، وهذه كانت أساس كتب المغازي والسير .

٣ ـ دور فقهاء اللغة الذين جمعوا الشعر القديم ، وشرحوه، فقدموا خدمة قيمة للتاريخ عندما جمعوا قدراً كبيراً من المواد[١] .

٤ ـ كان للنظام المالي في الحكومة الإسلامية دور في حركة التدوين؛لأنّ نظام الضرائب (الخراج) على البلدان المفتوحة تتباين حسب فتحها صلحاً أو عنوة أوبعهد .ودور نظام العطاء منذ عهد (عمر بن الخطاب) حيث أعطى الأموال حسب الأسبقية في الإسلام ،والقرابة من الرسول (ص)[٢].

٥ـ رغبة المسلمين الذين لم يعاصروا الرسول (ص)، ولم يعرفوه في معرفة تاريخ حياته،حتى يتخذوها مثلاً أعلى لهم،وحتى يفهموا الإسلام بشكل أفضل.فكان هذا من الدوافع نحو جمع أخباره وتاريخ حياته .

٦ ـ اهتمام بعض الخلفاء كمعاوية بن أبي سفيان(٤٠ -٦١ هـ) ، وأبي جعفر المنصور(١٣٦-١٥٨هـ) بالاطلاع على سياسات الملوك ومكايدهم [٣] ؛ليتأسوا بهم في حكم رعاياهم .

٧ـ سهولة التنقل بين أنحاء الدولة الإسلامية ، حيث حملت كثيراً من طلاب العلم والمؤرخين إلى السفر في طلب الرواية ، وأخذها عن الشيوخ ومشاهدة عجائب آثار البلدان.فوجد بذلك مصدر هام للمادة التاريخية هو المشافهة والمشاهدة .وقد اقترنت بدايات التدوين التاريخي عند العرب المسلمين بدراسة سيرة الرسول (ص) وأعماله من خلال الروايات والأحاديث المروية ، ونجد أن مصدر هذه الدراسة هو المدينة . وتضمنت هذه الأحاديث أخباراً متنوعة في بعض مناحي الحياة العربية قبل الإسلام وأوضاع القبائل ، فظهرت السيرة والمغازي على شكل أحاديث تدور في المجالس الخاصة ، عن طريق تحدث رجال الدين إلى تلاميذهم وطلاب العلم القادمين من جميع

١ـ هاملتون جب:دراسات في حضارة الأسلام،ص١٤٦.
٢ـ اليعقوبي:المصدر السابق،ج٢ ،ص١٥٣.
٣ ـ ج هرنشو : المرجع السابق، ص ٣٦ .

الأمصار الإسلامية ، ويسند رجال الدين أحاديثهم إلى رواتها ، فتكسب أحاديثهم صفة الصدق .

وأقدم من كتب في السيرة و المغازي ،واعتمد الإسناد عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٣ هـ) الذي دون السيرة بناءً على طلب (عبد الملك بن مروان ،٦٥ ـ ٨٦ هـ)، فتناول فيها هجرة الحبشة ، ووقعة بدر ، وفتح مكة،وزواج النبي،وأعمال النبي (ص) في المدينة،و مغازيه ، وأخبار الفتوح ، وأيام الزبير بن العوام [١].

ومن الكتاب أيضاً إبان بن عثمان(ت ١٠٥ هـ)،ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري(ت١٢٤هـ)جامع الأحاديث.ولكن هذه الكتابات بالرغم من ارتباطها بالحديث فقد دخل عليها التحريف ؛ نتيجة اعتماد كثير من الرواة على أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أعلنوا إسلامهم ككعب الأحبار(ت٣٤هـ)ووهب بن منبه (ت١١٠هـ)،والذي كتب تاريخ وطنه اليمن في رسالة خاصة تسمى(كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم)[٢] .

ولم يصلنا هذا الكتاب بل وصلنا كتابه (التيجان في ملوك حمير) . وتصرف به عبد الملك بن هشام الحميري (ت ١١٨ هـ) ، تصرفه بسيرة محمد ابن إسحاق. وقد كان وهب بن منبه بعيداً عن مدرسة المدينة فهو يماني من اليمن يختلف بوجهته عن أهل الحديث وأنه كان من أصحاب الاخبار والقصص.

من هنا نصل إلى أن التاريخ الإسلامي قد ولد ونشأ وترعرع، ووصل درجة النضج والكمال في ظل الإسلام (القرآن والسنة) ، كذلك فإن غزارة التأليف والتدوين في حقل التاريخ كانت من قبل العرب المسلمين، في العهدين الراشدي والأموي.

وفي العهد العباسي فقد تطور علم التاريخ وتغير مفهومه تماماً ؛فلم يعد يقتصر على انتصارات الملوك والسياسيين والأعيان ،بل تعدى ذلك إلى الاهتمام بتاريخ الشعوب والتطورات الحضارية في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والتشريعية والنظم السياسية ،الأمر الذي جعل علم التاريخ أكثر حيوية في مضمونه ،كما تطرقت إلى تفسير التاريخ ومناهجه ،وبالتالي ظهرت مدارس تاريخية عدة ،كل منها له مزاياه وعيوبه ،على اعتبار أنه لا يمكن لنظرية بعينها أن تفسر حركة التاريخ بصورة متكاملة وموضوعية ولم تعد هذه الكتابة حكراً على العرب من أبناء الصحابة بل انتقل العمل بها ، وجمع الأخبار والتحليل إلى الموالي ،فبرز عدد كبير منهم، أمثال :

١- حسين نصار : المرجع السابق، ص ٢٩ ، ٣٠.
٢-الحموي : معجم الأدباء،ج٧ ،ص٢٣٢.

(محمد بن إسحق ، وموسى بن عقبة ، ومحمد بن عمر الواقدي ، وأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع) . وأسهم هؤلاء الموالي في نقل الحركة الفكرية منذ القرن الثاني الهجري من الحجاز إلى العراق بعد انتقال عاصمة الخلافة الإسلامية إليها.

فظهرت مدرستين في الكتابات التاريخية ، حيث انتقلت المنافسة بين الحجازوالعراق إلى التدوين التاريخي بعد أن كانت في العلوم الدينية والمدرستان هما :

أ. مدرسة الحديث في المدينة :

وتعرف هذه المدرسة باسم مدرسة الحديث ،وحيناً آخر مدرسة الحجاز.وقد استأثر الاهتمام الإسلامي بهذه المدرسة ، إذ كانت المدينة مهد الإسلام وفيها السابقون في الإسلام من المهاجرين والأنصار، والمسرح الذي جرت عليه أحداث المغازي ،ثم انطلقت منها جيوش الفتوحات الراشدة . وكان الرواة من أبناء وأحفاد المهاجرين والأنصار وأبطال ذلك التاريخ الزاهر. فمن المدينة انتقلت الأضواء للحواضر الإسلامية الجديدة في البصرة والكوفة وبغداد ودمشق في عصر الدولة العباسية، وانتقلت المدينة إلى الظل بعد أن ظلت عاصمة للمسلمين طيلة العهد الإسلامي الزاهر. وفي ذلك العهد الذي أقفرت فيه المدينة سياسياً كانت رواية أحداث التاريخ الإسلامي للرسول عليه السلام وعلى الخلفاء الراشدين ، فوجد أبناء المدينة في العناية برواية هذا التاريخ استرجاعاً لمجدهم الخالد وإحياء لذكرى إسلامهم ، فكان من الطبيعي أن تكون المدينة أكثر احتفاءً بصناعة الحديث ورواية المغازي وتاريخ الخلفاء الراشدين لأنها تؤرخ لمجدها وتاريخها.وهي مدرسة التاريخ العلمي الدقيق الذي يعنى بالسيرة و المغازي، وينحو منحى علم الحديث ، ويعنى بالأسانيد. ثم تطورت مادته،وشملت تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.وأطلق على ممثليها اسم(المحدثين)أي المتخصص في رواية الحديث ، والمحدث هو الذي يكتب ويسند بالأحاديث أي يمثل مدرسة علم حديث المدينة [1].

وهو أشرف موضوعاً ، وأسمى منزلة من الإخباري ، ويرجع ذلك إلى شرف موضوع الحديث من جهة، وإلى أن الأخبار وخصوصاً قديمها كانت معرضة للتلفيق والتحريف.وقد بلغ الأمر بأصحاب هذه المدرسة إلى أنهم كانوا يضعفون المحدث إذا قال وتخصص بالأخبار،كما فعلوا مع(محمد بن إسحق)الذي كان محدثاً،وصار يحمل عن اليهود الذين أسلموا،فلم يرضوا للفقيه المختص بالأحكام الشرعية على طلب الأخبار.وبالرغم من ذلك تحول كثير من المحدثين إلى

---

[1]- ج هرنشو : المرجع السابق، ص ٣٧ .

الأخبار ومنهم :محمد بن إسحاق و محمد بن عمر الواقدي(ت٢٠٧ هـ)، وعلي بن محمد المدائني (ت ٢٢٥ هـ). فكل كان محدثاً و إخبارياً معاً ، ولكنهم ظلوا يعتمدون على الإسناد وهذه ميزة هذه المدرسة [١] .

وهذا يدل على أن تضعيف ابن إسحق ؛لأنه مال إلى الأخبار فقط وترك الحديث،ولأنه حمل عن اليهود والنصارى والذين أسماهم أصحاب العلم الأول على حدّ قوله . بدليل عدم تضعيف كل من الواقدي و المدائني ،اللذين تحولا إلى الأخبار ولكن مع الاعتماد على الإسناد ؛لأن مدرسة الحديث اعتبرت المحدث الذي يترك الاعتماد على السند لا مصداقية له، وسيقع في الخطأ. ولم يشمل تضعيف محمد بن إسحق جميع أصحاب مدرسة الحديث ،بدليل طلب محمد بن إدريس الشافعي ممن يريد التبحر بالمغازي أن يعتمد على ابن إسحق ،وكذلك قول سفيان بن عينيه فيه:"سمعت الزهرهري يقول:لا يزال بالمدينة علم جمّ مادام فيها ابن إسحق[٢]. لذلك اعتمد أصحاب هذه المدرسة على النقد التاريخي في تدوينهم . فقد بين القرآن الكريم في آيات كثيرة في ضرورة إعمال العقل فيما يرى الإنسان و يسمع. وأكد على مفهوم البينة و الحجة و البرهان..ووجوب التثبت من الخبر . وكلها أمور توجه الفكر إلى النقد العقلاني للأمور. وقد نبه الرسول (ص) في أحاديثه إلى ضرورة تبين الصدق من الكذب. أي نقد ما يرى و يسمع. ومن ثم أوجد علماء الحديث تدريجياً أصولاً نقدية للتمييز بين الصحيح و الموضوع من الأحاديث. و لتصنيفها حسب قربها من الحقيقة. وقد وضع ابن خلدون عدة أسباب للوقوع في الخطأ والكذب وهي:

" - الذهول عن المقاصد - توهم الصدق – الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنيع- تقرب الناس فيه الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب والثناء "[٣].

ومن ممثلي مدرسة المدينة (الحديث ، الروائيين):

- عروة بن الزبير بن العوام (ت ٩٤ هـ) وإبان بن عثمان(ت ١٠٥ هـ)- كما ذكرنا سابقاً- .

- عاصم بن عمر(ت١٢٠هـ) الذي اشتهر بنقل أحاديث والده قتادة الأنصاري، وأحاديثه عن حياة الرسول (ص)ونقل عنه كل من ابن إسحق ، ومحمد بن عمر الواقدي[٤] .

١- ج هرنشو: المرجع السابق، ص ٣٧ .
٢- الذهبي : سير أعلام النبلاء،ج٧،ص ٣٦ .
٣- ابن خلدون :مقدمة ،ص٣٤.
٤- ابن خلكان: المصدر السابق،ج٣ ،ص٣١٨.

- محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤ هـ) ، حيث طلب منه كتابة السيرة على رأس المائة الهجرية من قبل الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز – كما أشرنا-

وكتابه كان عن قبائل العرب الشمالية . ولكنه لم يصل إلينا وهو أول من قارن بين الأحاديث المختلفة المصادر في موضوع واحد ، وإدماجها في حديث واحد إجماعي يصدر بأسماء الرواة مجتمعين ، وصارت أحاديثه أساساً لكتب المغازي [1].وعده ابن الجوزي في الطبقة الرابعة من الفقهاء فقد ذكر قولاً فيه نقلاً عن إبراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال مالك بن أنس"ما رأيت فقيهاً محدثاً غير واحد،فقلت من هو ؟ فقال ابن شهاب الزهري"[2].

فيكون له بذلك الدور الأكبر في مدرسة التاريخ في المدينة ؛حيث وضعها على أسس راسخة ورسم وجهة الدراسة التاريخية فيها وتزداد أهمية دراسته في ضوء أنها تمكننا من تقرير ما إذا كانت أصول المغازي ترجع إلى الدراسات الجدية التي قام بها المحدثون وتلامذتهم .

- موسى بن عقبةمولى آل الزبير،وتتلمذ على يد الزهري،وألف مجلداً في المغازي(ت١٤١ هـ)[3]. وبما أن موسى تتلمذ وتأثر بالزهري ؛فهذا لابد قاده إلى الأهتمام بالأسانيد.

- محمد بن إسحق(ت ١٥٠ هـ) الذي كان محدثاً ، واختص بالأخبار وحمل عن اليهود والنصارى الذين أسلموا .فابتعد بذلك عن مدرسة الحديث ،وهذا سبب أتهامه بالدجل من قبل الإمام مالك.ومن كتابات ابن إسحق: ألف كتاباً شمل علوم جميع ما تقدمه ، ووصل إلينا كتابه عن طريق ابن هشام الحميري (ت ١١٨ هـ) ، فشمل كتابه بدء الخليقة حتى عهده ، ونقل عن تابعين من أهل المدينة ، ولم ينقل فيه عن أحد من العراق . وقد قسمه إلى ثلاثة أقسام ، المبتدأ ، والمبعث ، و المغازي[4] . وعدم نقل ابن اسحق عن أحد من العراقيين دليل على أنه ألف كتابه في المدينة.

-نجيح بن عبد الرحمن أبو معشر السندي(ت ١٧٠هـ) :مولى بني هاشم ،وكان على علم كبير بالمغازي، نشأ في المدينة ثم انتقل إلى بغداد(١٦١هـ)بناءً على طلب الخليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ) وبقي حتى وفاته [5].

١- ابن سعد : المصدر السابق، ج ٤ ،١٠٢.
٢- ابن الجوزي:المصدر السابق،ج٢،ص ١٣٦.
٣ - ابن كثير :المصدر السابق ،ج ١٠ ،ص٤٩٤ ،سهيل زكار: التأريخ عند العرب ،٣٩.
٤- الحموي: معجم الأدباء ،ج٦،ص، ٤٠٠، ٤٠١ .
٥ - ابن سعد:المصدر السابق،ج٥، ص٤١٨ ، الحموي:معجم الأدباء ،ج٧ ،ص٥٨.

- محمد بن عمر الواقدي(ت ٢٠٧ هـ) مولى لبني سهم ، عندما أسلم تحول من المدينة إلى بغداد ، فجمع بين الحديث والأخبار مع المحافظة على السند ، وهو عالم بالمغازي والسير واختلاف الناس بالحديث ، واتصل بكل من (مالك بن أنس ، سفيان بن عينية) شيوخ مدرسة الحديث في المدينة في الفقه ، ومن كتبه(كتاب التاريخ الكبير ،كتاب غلط الحديث)[1] .

- علي بن محمد بن عبد الله المدائني (ت ٢٢٥ هـ)، بالرغم من ولادته في العراق وسكنه بها . إلا أنه كان من مدرسة الروائيين ، واعتمد منهج الإسناد ،ثم جمع بين الحديث والأخبار في مؤلفاته ومن كتبه (فتوح النبي)(ص)،المنافقين، عهود النبي (ص) ،المغازي ،أخبار قريش[2] .

- أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع : المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠ هـ) وهو ابن لمولى من المدينة ، واهتم بالحديث . ومعظم من أخذ عنه من المحدثين ، وكان ثقة وله كتاب (أخبار النبي ص")وكان كاتباً للواقدي[3] .

ب- مدرسة الرأي في العراق (الإخباريين) :

كان العراق قبل الإسلام مهدا للثقافات اليونانية والفارسية في المنطقة . ثم جاءت الفتوحات العربية الإسلامية بالتيار الثقافي الإسلامي فغطى إلى حين على الثقافات الأجنبية ، ثم أتاحت الدولة العباسية الفرصة للعودة أمام الثقافات فعادت عن طريق الترجمة والاحتكاك بين المدارس اليونانية والفارسية والمدارس الإسلامية . وبإنشاء مدينتي البصرة والكوفة كانت المراكز الأولى للثقافة الإسلامية العربية في العرب والموالى ، وذلك التنوع الشديد في ظروف العراق الجنسية والثقافية أثر بلا شك على مدرسته التاريخية .

وقد عنيت هذه المدرسة بكل تيارات التاريخ الجاهلي والإسلامي وتاريخ الخلفاء واستمرت الاتجاهات القبلية نحو العناية بالإنسان والأيام والشعر،ودراسة الأقاليم .

لذلك نجد مادة إقليم العراق و أحداثه مفصلة ومطولة.بينما باقي الأقاليم لا تنال إلا إشارات. وقد تأثرت هذه المدرسة بتواريخ الأمم المجاورة وخاصة الفارسية ؛ نتيجة مساهمة أعداد كبيرة من الموالي بها ، ونشاط حركة الترجمة في العراق والتي بدأت بترجمة ابن المقفع[4]عن الفارسية (١٤٠هـ) ككتابه كليلة ودمنة[5] ، في تاريخ الفرس وأحوالهم.

١- ابن سعد :المصدر السابق ، ج٥ ، ص ٤٢٥ .
٢- الذهبي:سير أعلام النبلاء،ج١٠،ص ٤٠١ ،ابن النديم : المصدر السابق،ص٩٩، الحموي:معجم الأدباء وطبقات الأدباء ،ج٥،ص٣١٢.
٣- ابن النديم : المصدر السابق،ص١٠٠.
٤- ابن المقفع(عبد الله بن المقفع بن داذويه ت١٤٢هـ).
٥- كليلة ودمنة : وهو كتاب نقل عن اللغة الفهلوية الهندية ، عمر فروخ :المرجع المتقدم،ص٥٤.

ومن أشهر أخباريي هذه المدرسة :

- محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦ هـ) ، ويعد مقدماً في الأنساب،وله كتاب في تفسير القرآن[1] .

- عوانة بن الحكم(ت ١٤٧ هـ)،وكان محدثاً قبل أن يترك الحديث؛لإنه يبغض الإسناد. وجمع أخبار بني أمية ، وهو من قبيلة بني كلب، كانت على علاقة قوية مع البيت الأموي (مصاهرة).مما أفاده كثيراً وقد كتب كتاباً على أساس التسلسل التاريخي،وله كتاب (التاريخ)،وكتاب(سيرة معاوية وبني أمية)[2].وقد تكلم عنه الباحث حسين نصار كثيراً، نقلاً عن الهيثم بن عدي،فذكر أنه يظهر العثمانية خوفاً من الأمويين ،ويستفسر من الجالسين إذا كان أحد عيون الأمويين حاضراً، فلما يتأكد أن لا أحد حاضر يمدح ويترحم على محمد بن عبد الله بن الحسن (النفس الزكية)[3].فوقع بذلك حسين نصار في خطأ كبير لأنه أغفل إن(محمد النفس الزكية)قد قتل على يد أبي جعفر المنصور، وليس على يد الأمويين، الذين لم يبق لهم أي دور أو قوة في العهد العباسي.

- أبو مخنف بن لوط الأزدي (ت ١٥٧هـ) : وله كتب منها:(في الردة ووقعة الجمل ووقعة صفين وأخبار الخوارج ،وكتاب عن مقتل الإمام علي (عليه السلام)،وكتاب في مقتل حجر بن عدي، وكتب كتاباً عن فتوح العراق وأخبارها.

- سيف بن عمر التميمي (ت ١٧٩ هـ) ، وله كتاب في الفتوح[4].

- هشام بن محمد السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ) ، وله كتاب في أخبار الأوائل وأيام العرب ، وأنسابهم وأخبار الإسلام [5].وهو ابن محمد بن السائب الكلبي (ت١٤٦هـ) الغزير العلم بالأنساب ،فلابد من أن يكون ابنه أخذ هذا العلم منه فبرع به.وجملة القول إن أهل السيرة (المحدثين ، الروائيين ، الإخباريين) قد رسموا في أواخر القرن الثاني الهجري الأبواب الأساسية للتاريخ عند العرب وهي : ١ ـ أحوال العرب قبل الإسلام . ٢ ـ أخبار الماضين . ٣ ـ السيرة . ٤ ـ أخبار الدولة الإسلامية .

١- ابن النديم : المصدر السابق،ص٩٥.
٢- ابن النديم : المصدر السابق،ص٩١، الحموي :معجم الأدباء ،ج٦،ص٩٤.
٣- حسين نصار:المرجع السابق ،ص٥٦.
٤- الحموي :المصدر السابق،ج٦،ص٢٢١.
٥- ابن كثير :المصدر السابق ،ج١٠ ،ص٦٩٤ ، شكران خربوطلي،سهيل زكار:تاريخ الوطن العربي القديم، ص٣٢.

واعتمدت المدرستان في مصادرهما في التدوين التاريخي على :

١ - القرآن الكريم - ٢- السنة النبوية - ٣- شعر الجاهلية ٤ - رواية النسابة

٥ - الروايات الشفهية نقلاً عن رجال القبائل .

وشهد القرن الثالث الهجري زيادة جوهرية في المادة التاريخية ودقة وتحرراً في مصادرها.فقد استقرت الدواوين لدى الدولة العباسية،ولاسيما ديوان الإنشاء والجند والخراج ،وتمكن المشتغلون بالتاريخ من الوصول إليها فانتفعوا بها؛لأنها تمثل الجانب الرسمي في الدولة ، وقويت حركة النقل بين اللغات الأجنبية [١].

وبتعاظم هذه المادة وتحرر مصادرها، أصبح للتاريخ علماً تقبله كبار الفقهاء من رجال الدين والعلماء . فلقد أوجدت الضرورة حركة التدوين التاريخي عند العرب وطورتها الحاجة، فجاءت من إبداع عربي خالص .وشمل علم التاريخ عند العرب مختلف النواحي، حيث شهد القرن الثالث الهجري مرحلة جديدة و هي مرحلة التطور الثقافي فقد تجمعت مادة ضخمة من الروايات التاريخية التي رويت أو كتبت،فأنتج ذلك فكرة وحدة التاريخ و قد انتهت بذلك مرحلة الاخباريين إذ وضعوا خطوط علم التاريخ عند العرب وركزوا الأفكار التاريخية التي تم الاعتماد عليها وأخذ المؤرخون دورهم المتميز بين فئات المجتمع .والحقيقة أن أكثر ما كتبه المتقدمون قد فقد وضاع ،أو لحقه التحريف وأضيف إليه ما لم يكن به ،ولم يصل إلينا كاملاً سوى سيرة ابن هشام (عبد الملك بن هشام)،وهي مختصرة من سيرة ابن أسحق.ولكن جهد هؤلاء المؤرخين لم يذهب عبثاً، فقد مهدوا السبيل لظهور كبار المؤرخين المسلمين في القرن الثالث الهجري منهم:ابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) صاحب كتابة تاريخ الرسل والملوك، وأحمد بن أبي يعقوب صاحب التاريخ المعروف باسمه (اليعقوبي ،ت ٢٨٤ هـ)، وابن قتيبة الدينوري (ت ٢٩٠ هـ)، صاحب كتاب الإمامة والسياسة . ويعود الفضل لهؤلاء المؤرخين ولغيرهم من مؤرخي القرن الثالث الهجري في وضع المادة الأساسية التي يعتمد عليها كثير من المؤرخين إلى يومنا هذا .

مما تقدم نجد أنه لولا الحديث لما خلصت الروايات من التدليس ولجاءت مشوبة بالكذب ولفسد هذا العلم وما بني عليه وهذا ما رفع من شأن مدرسة الحديث على عكس مدرسة الرأي والتي اعتمد علماؤها على ترديد الرواية دون تثبت وتوقي، فيجحدون فائدة الإسناد ولا يرون له خطراً كبيراً ،ثم لا يجدون في سلسلة تلك الأسماء التي توصل بها الأخبار إلا لغواً تاريخياً .

١- ج هرنشو : المرجع السابق، ص ٤٠ .

خاتمة

إنّ هذه الدراسة هدفت إلى معرفة أوضاع الحجاز من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بعد انتقال مركز الحكم إلى الأمصار.لأنّ الحجاز قد يكون فقد مكانته السياسية كونه مركز الإسلام الرئيس؛ وذلك بانقضاء العهد الراشدي وقيام حكم بني أمية ، ونقلهم مركز الحكم إلى دمشق ،ومن بعدهم العباسيون الذين نقلوا المركز إلى العراق ولاشك أنّ لهذا التحول تأثيرا كبيرا على النواحي الاجتماعية والاقتصادية ، والعلمية والثقافية في الحجاز .

ففي الناحية الاجتماعية في الحجاز حدثت فيها تحولات كبيرة متأثرة بثلاثة أمور:

الأول: نقل مركز الحكم:حيث انتقل معه أعداد كبيرة من وجوه المجتمع الحجازي وخاصة الأثرياء والعلماء .

الثاني: الفتوحات والتي انتقلت معها أعداد كبيرة من قبائل الحجاز وبعض بطونها إلى الأمصار المفتوحة لاسيما بلاد الشام والعراق .

الثالث: ضعف القبيلة أو النظام القبلي: وذلك بعد أن قلّ اهتمام الحكام بالقبائل خاصة المجال العسكري حيث كانت القبيلة تشكل نواة الجيش الذين استبدلهم الخلفاء بعناصر جديدة غير عربية ليس لها ولاء لبيت أو لقبيلة مما أضعف مركز القبيلة بشكل عام ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إدراك العباسيين لما لعبته القبائل من دور في زوال حكم بني أمية ، ورغبتهم في أن لا يتكرر هذا الامر.

وفي مقابل تراجع العنصر العربي في الحجاز كماً وكيفاً إن صح التعبير، نما و تزايد عنصر الموالي والعبيد فيها، الذين ربما شكلوا غالبية سكانه على الأقل في الحواضر، وما كان لهم من دور واضح في الحياة الاقتصادية ، كما كان لهم دور في أحداث تبدلات في بعض القيم والعادات الاجتماعية وإدخالهم لقيم وعادات جديدة على المجتمع الحجازي كمظاهر اللهو والمجون التي قمعها الإسلام منذ ظهوره .

كما نلاحظ أن مكانتهم قد علت وتغيرت نظرة العرب نحوهم بعدما ساندوا العباسيين ضد بني أمية فلم يعد دورهم مقتصرا على الإشراف على بيوت سادتهم وتربية أطفالهم والقيام بأعمالهم الاقتصادية (التجارية ، و الزراعية) ، بل تعداه إلى وصول بعضهم إلى مناصب عُليا في الدولة والقيام بدور سياسي في بعض الأحيان كقيامهم في الثورة في المدنية ضد أبي جعفر المنصور، كذلك ظهرت طبقة جديدة في المجتمع عرفت بطبقة المولدين الذين كانوا من آباء عرب وأمهات أعجميات .

أما الناحية الاقتصادية كانت قد تأثرت كثيراً في مطلع الحكم العباسي لا سيما في عهد أبي جعفر المنصور ،وعقب ثورة محمد النفس الزكية ، وقيامه بمعاقبة الحجاز بحصاره مدة ثلاثة عشر عاماً عانى خلالها الحجاز أوضاعاً اقتصادية سيئة وصلت بسكانه إلى حد الثورة . إلا أن الحجاز استعاد عافيته الاقتصادية بمجيء المهدي خليفة لأبيه حيث أنهى الحصار وأجزل على أهلهِ العطاء ،مما جعل الحجاز يشهد خلال تلك الفترة تطوراً ونشاطاً ملموسين في المجال الاقتصادي خاصة بشقيهِ التجاري و الزراعي على الأقل .

وهذا الإزدهار لا يعني أنه يعود لاهتمام بعض خلفاء بني العباس به من خلال تطويرهم للموانئ وتأمين الطرق وتنظيم الأسواق وإغداقهم العطايا على أهله لصرفهم عن التفكير بأمور الحكم ، بل لما يمتلكه الحجاز من مقومات كبيرة وخاصة في مجال التجارة التي برع فيها سكانه من زمن ماقبل الإسلام . أمّا الزراعة وعلى محدودية إمكاناتها وقلتها بسبب طبيعة الحجاز الجغرافية والمناخية ، فقد شهدت هي الأخرى بعض التطور؛ بسبب تشجيع الإسلام على العمل فيها ، ولما أخذت تدره من إيرادات كبيرة على من عمل فيها، بالإضافة إلى أنها كانت من ناحية أخرى عاملا مساعداً على توطين البدو وبعثهم على الاستقرار .

أمّا من الناحية الثقافية فنجد تبايناً ملحوظاً من حيث تطور العلوم الدينية وكذلك الانتشار الواسع للشعر والغناء ،وظهور علم التاريخ.

فمن الطبيعي أن تتطور العلوم الدينية ويكثر الاهتمام بها ، وذلك كون الحجاز مهد الدين الإسلامي ،وفيه أهم مقدسات المسلمين حيث الكعبة المشرفة في مكة المكرمة ومسجد النبي (ص) في المدنية المنورة وموسم الحج المعلوم الذي يجتمع فيه مختلف علماء المسلمين في كل عام في وقت واحد ومكان واحد. وفي تلك الفترة ظهرت المذاهب الأربعة المشهورة وما كان لأصحابها وأتباعها من دور كبير في توضيح أمور الدين ومعالجة محدثات العيش الجديد .فعلم الحديث مثلا أصبح علماً مستقلا وغير مرتبط بالسير والمغازي وظهرت له مدرسة سميت بمدرسة الحديث كان مركزها الحجاز حتى إنها كانت أعلى سنداً من باقي الأمصار وأمتن صحة وذلك لاستبدادهم بشروط النقل من العدالة والضبط وابتعادهم عن قبول المجهول واتصال السند إلى أن يبلغ النبي (ص)،فكان لهذا العلم فائدةً عظيمة هي حفظ الحديث النبوي من الخلط أو الدس والافتراء عليه ،وتلك الفائدة هي غاية في الأهمية ولها دور كبير في:

١- حفظ الدين الإسلامي من التحريف والتبديل .

٢- تنقية الأذهان من الخرافات ،وذلك أن الأسرائيليين وغيرهم حاولوا نشر مالديهم من الأقاصيص والخرافات الكاذبة والأباطيل .

٣- مهدت لظهور علم الفقه والتفسير .

٤- التعرف على سيرة النبي الكريم (ص) ،وأخذ العبر منها.

أمّا علم الفقه ونتيجة لإدراك العباسيين لأهمية الدور الذي يمكن أن يلعبه الفقهاء في مصائر الدولة وانطلاقاً من هذا عمل العباسيون على استقطاب ماستطاعوا استقطابه من علماء، وحبس وجلد من وقف ضدهم أو خالفهم .

لكن المحنة الكبرى التي تعرض لها فقهاء الحجاز كانت في مطلع القرن الثالث الهجري عندما تبنى المأمون (١٩٨- ٢١٨هـ) مذهب المعتزلة ، مما زعزع المكانة الدينية للحجاز بشكل عام. وكما هو الحال في المجالين الاقتصادي والاجتماعي برز الموالي بوصفهم عنصراً أساسياً من عناصر المجتمع الحجازي لا سيما الحضري منه ،فقد برزوا في العلوم الدينية كافة حتى إن بعضهم كانوا أعلاماً بهذه العلوم .

وفي الجانب الآخر فقد تطور الشعر وتعددت أغراضه؛نتيجة للاختلاط الكبير بين العرب والأمم المجاورة ، كما أسهم الموالي كثيراً في إدخال كثير من الكلمات غير العربية ويمكن القول: إن الشعر في تلك الفترة انتقل من صفاء البادية إلى تعقيدات المدنية ،وقد رافق الشعر فناً آخر منبثقاً عنه مساهماً في انتشاره هو فن الغناء الذي ظهر في زمن بني أمية لكن التطور كان في العهد العباسي ؛ من خلال ظهور نظريات وقواعد وكتب،وغدت الحجاز مدرسة لتخريج المغنين وتصديرهم إلى بقية الأمصار الأخرى.

وكان للمدينة المنورة إنجاز آخر من الناحية الثقافية من خلال إغناءعلم التاريخ الذي انبثق عن العلوم الدينية ؛من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ،وحفظ الأشعار.وذلك أن التاريخ خبر،فهو يشابه الحديث و الفقه والشعر،لأنها هي الأخرى أخبار، غير أن الفرق بين التاريخ كونه خبراً، وبين الأطر الأخرى في الثقافة العربية الإسلامية باعتبارها أخبارا كالفقه والحديث، هو في (تعيين الوقت) لحادث من الحوادث .. فالخبر التاريخي يحدد أو يعين زمن وقوع حدث أو شيء بالنسبة لشيء حدث قبله ضمن إطار تقويمي معين . فأ أصبح مفسرو القرآن الكريم بحاجة ماسة إلى المعلومات التاريخية، عند تفسيرهم للآيات القرآنية التي يرد فيها ذكر بعض الأنبياء وأقوامهم، فكان ذلك سبب اهتمامهم بالماضي .

وكانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم المحفز الآخر للاهتمام بالسيرة، فهو مثال المسلمين الأعلى في الحياة، وأقواله وأفعاله تعد الركن الثاني في التشريع الإسلامي الذي كان قانون الدولة، لذا بدأ الاهتمام مبكرا بجمع كل ما يتعلق بحياته فيما سمي بعد ذلك بـ(السيرة)، ثم اتسع

نطاق هذه الدراسة لتشمل ما عرف بـ(المغازي)، والتي تغطي الجوانب السياسية والعسكرية من حياته ، حيث لم تعد الجوانب الاجتماعية، والتي رأيناها في السيرة مثار الاهتمام لوحدها، بل صار كفاحه وجهاده في سبيل نشر رسالته، بما في ذلك كفاحه المسلح، أي سراياه وغزواته، مثار المزيد من الاهتمام،ثم أكتمل تطوره في العهد العباسي من خلال ظهور المدارس التاريخية في كل من الحجاز(مدرسة الحديث)، والعراق(مدرسة الرأي) ،وتميز كل مدرسة بنوع محدد في طريقة التدوين .

من هنا، فإن التاريخ الإسلامي قد ولد ونشأ وترعرع، ووصل درجة النضج والكمال في ظل الإسلام (القرآن والسنة) ، وصل حداً بحيث لا نكاد نجد أمة تتفوق عليهم .

وأخيراً نستنتج أنّه كان هناك عاملان رئيسيان كان لهما الدور الرئيس فيما حدث من تبدلات وتطورات في الجوانب الاقتصادية الاجتماعية والثقافية في الحجاز في تلك الفترة ألا وهما : سياسة خلفاء بني العباس ومآربهم، وعنصر الموالي والعبيد .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

أ-المصادر:

١- القرآن الكريم.

٢- إنجيل متى :الأصحاح١٨،السفر٢٥.

٣- الكليني(محمد بن يعقوب بن إسحاق، ت الربع الأول من القرن الرابع الهجري)، الكافي(ج٥-ج٦)،تعليق علي أكبر الغفاري ،دار جندري ، طهران،ط٣،ت ١٣٦٧هـ .

٤- الحر العاملي (مُحمّد بن الحسن،ت١١٠٤هـ):
- وسائل الشيعة، تحقيق مؤسّسة آل البيتِ عليهم السلام لإحياء التُراثِ، قم - دورشهر،(د ،ت) .

٥- البخاري (محمد بن إسماعيل ت٢٥٦هـ): صحيح البخاري بحاشية السندي ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المباركفوري صححه عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة بيروت/لبنان ج ٤/ص٧٣ دار الفكر الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٦- مالك بن أنس(١٧٩هـ):
- المدونة الكبرى ،رواية سحنون بن سعيد التنوخي عن عبد الرحمن بن القاسم العتقي ،(مجلد٤)، دار صادر ،بيروت ،(د،ط).

٧- البكري(عبد الله بن عبد العزيز البكري،ت٤٨٧هـ)
- المسالك والممالك،تحقيق أدريان فان ليوفن،أندري فيري،الدار العربية للكتاب ، ١٩٩٢م،(د،ط).

٨- العسقلاني(أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،ت ٨٥٢هـ):
- فتح الباري في شرح صحيح بخاري،(ج٤)، دار السلام ،الرياض،دار الفيحاء ، دمشق ،ط١٩٩٧،١م.

٩- المبرد (أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت٢٨٥ه):
- الكامل في اللغة والأدب،تقيق محمد أحمد الدالي،(ج٢)، مؤسسة الرسالة ، بيروت،ط ٣ ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

١٠النوري (حسين النوري الطبرسي،ت١٣٢٠هـ)،
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسّسة آل البيتِ عليهم السلام لإحياء التُراثِ، قم - دورشهر، (د ،ت).

١١- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي ، ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)،
- الكامل في التاريخ ، (ج٥-ج٦)،دارصادر ،بيروت،ط٦، ١٤١٥هـ/١٩٩٦م.

١٢ - ابن الجوزي(جمال الدين أبي الفرج الجوزي،ت٥٩٧هـ)
- صفة الصفوة ،تحقيق محمود فاخوري،محمد رواس قلعجه جي ،دار المعرفة ، بيروت، (ج٢)،ط٢ ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

١٣ابن المجاور(يوسف بن يعقوب ،ت في النصف الأول من القرن السابع الهجري)،
- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى(تاريخ المستبصر)، مراجعة ممدوح محمد ،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ،١٩٩٦م،(د،ط).
١٤-ابن العماد (شهاب الدين أبي الفلاح ،ت١٠٨٩هـ)،
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج٢ ،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط ،دار ابن كثير ،دمشق بيروت ، ط١ ،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
١٥-ابن الوردي (زين الدين عمر بن مظفر ، ت ٧٤٩هـ)،
تاريخ ابن الوردي ج١،دار الكتب العلمية بيروت،ط١، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م
١٦-ابن بطوطة(محمد بن إبراهيم اللواتي ،ت ٧٧٩هـ)،
رحلة ابن بطوطة ،دار صادر ،دار بيروت، بيروت ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
١٧- ابن جبير (أبو الحسن محمد ابن أحمد بن جبير الكناني ،ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)،
رحلة ابن جبير،دار صادر بيروت ، دار بيروت، ،بيروت ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م.
١٨-ابن حوقل (أبي القاسم محمد النصيبي ، ت ٣٧٦هـ/١٩٧٧م)،
صورة الأرض ، مكتبة الحياة ،بيروت ١٩٧٩م.
١٩-ابن خرداذبه (عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه ،ت٣٠٠هـ/١٩١٢م)،
- المسالك والممالك ، تقديم خير الدين محمود قبلاوي ،منشورات وزارة الثقافة ، دمشق،١٩٩٩م.
٢٠- ابن خلدون(عبد الرحمن ابن خلدون، ت٨٠٨هـ/١٤٠٦م)،
- مقدمة ابن خلدون ،دار صادر بيروت ،ط١، ٢٠٠٠م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(ج٣) ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط٣ ،١٤٢٧هـ|٢٠٠٦م.
- العبر وديوان المبتدأ والخبرفي أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر(ج٣) ،مؤسسة الأعلمي ،بيروت،(د،ط).
٢١-ابن خلكان (شمس الدين أحمد ،ت٦٨١هـ)،
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،(ج١،ج٢،ج٤،ج٦) ،تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة ،لبنان .
٢٢-ابن خياط (خليفة بن خياط العصفري ،ت٢٤٠هجري)،
تاريخ خليفة ابن خياط ،(ج١)،رواية بقي ابن مخلد ، تحقيق سهيل زكار
٢٣-ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد البصري ،ت٢٣٠هـ/٨٤٤م)،
الطبقات الكبرى،(ج١-ج٦)،دار صادر،بيروت (د.ت)
٢٤-ابن شبة النميري،ت ٢٦٣ هـ.
- تاريخ المدينة المنورة (ج٢)،تحقيق فهيم شلتوت (د.ت).

٢٥- **ابن ظهيرة:**
- الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة،تحقيق مصطفى السقا،كامل المهندس ، دار الكتب ،١٩٦٩، (د،ط).
٢٦- **ابن عبد ربه**(أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي،ت٣٢٨هـ)،
العقد الفريد(ج٥)، دار إحياء التراث العربي ،بيروت ، ط ١ ،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
٢٧-**ابن قتيبة**(أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري،ت٢٧٦هـ/٨٨٩م)،
- الإمامة والسياسة(ج١-ج٢)، تحقيق طه محمد الزيني ،دار المعرفة،بيروت(د.ت)
- الشعر والشعراء،تقديم حسن تميم،دار إحياء العلوم،بيروت،ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٢٨-**ابن كثير**(أبو الفداء الحافظ ،ت٧٧٤هـ/١٣٧٤م)،
- البداية والنهاية(ج١،ج٢)،تدقيق عبد الرحمن اللاذقي ،محمد غازي بيضون، دار المعرفة،بيروت،ط١ (١٤١٦هـ-١٩٩٦م).
٢٩-**ابن هشام** (**عبد الملك ابن هشام ابن أيوب،ت ٣٥٦هـ**)،
- سيرة ابن هشام،دار المعارف،بيروت،طبعة منقحة،١٤٢٦هجري/٢٠٠٥م.
٣٠- **أبو الفرج الأصفهاني**(**علي ابن الحسن ابن محمد،ت ٣٥٦هـ**)،
- الأغاني مجموعة أجزاء ،تعليق علي مهنا ،سمير جابر ،دار الفكر،بيروت، ط٣،١٤١٥هـ/١٩٩٥م.
- مقاتل الطالبين،تحقيق كاظم المظفر،دار الكتب الحيدرية ،النجف،ط٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م.
٣١-**أبو حنيفة الدينوري**،ت ٢٨٢هـ/٨٩٥م.
من كتاب الأخبار الطوال،تقديم يحيى عبادة،وزارة الثقافة،دمشق،ط١، ت ١٩٨٦م.
٣٢-**ابي البقاء**،(محمد بن أحمد بن الضياء،ت ٨٥٤هجري)،
- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة،تحقيق علاء إبراهيم الأزهري وأيمن نصر الأزهري،دار الكتب العلمية ، بيروت،ط١،ت١٤١٨هجري.
٣٣- **ابي زيد** (محمد بن أبي الخضاب القرشي توفي أوائل القرن الرابع الهجري) ،
- جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام (ج١)، تحقيق محمد علي الهاشمي،دار العلم ،دمشق ،ط٣ ،١٤١٩ هـ/١٩٩٩م .
٣٤- **الأبشيهي**(**شهاب الدين أحمد،ت ٨٥٠هـ/١٤٤٦م**)،
المستطرف في كل فن مستظرف(ج٢)،دار كرم،دمشق.
٣٥- **الإدريسي**(**أبو عبد الله محمد ابن محمد ابن الله،ت٥٦١هـ/١١٦٦م**)،
نزهة المشتاق في اختراق الأفاق (ج١)،(د،د).
٣٦- **الاصطخري**(**إبراهيم بن محمد الفارسي،ت٩٥٧هـ/١٥٥٠م**)،
المسالك والممالك ، تحقيق محمد جابر وعبد العال الحسني ،مراجعة محمد شفيق غربال،دار العلم،دمشق،١٣٨١هـ/١٩٦١م.

٣٧-البلاذري(أحمد بن يحيى البغدادي،ت٢٧٩هـ/٨٩٢م)،
- فتوح البلدان (ج١)،المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة.
- أنساب الأشراف(ج٢،ج٤)،تحقيق محمود الفردوسي العظيم،قراءة صبحي نديم الماريديني،(د،د).تحقيق سهيل زكار ،رياض زركلي ،دار الفكر ،بيروت،ط١ ،١٩٩٧م.
٣٨- الجاحظ (عمرو بن بحر الجاحظ،ت ٢٥٥هـ)،
- البيان والتبين ،دار أحياء التراث العربي،بيروت ،(د،ط).
٣٩-الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان، ت ٧٤٦هـ)،
- دول الإسلام ، الأعلمي ،بيروت،١٤١٥هـ/١٩٨٥م.
- العبر في خبر من غبر(ج٢)،تحقيق محمد سعيد بسيوني،دار الكتب العلمية بيروت(د،ت).
-سير أعلام النبلاء،(ج ٨ ،١٠)،مؤسسة الرسالة،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٤٠-السويدي: أبي الفوز محمد أمين البغدادي،ت ١٢٤٦هـ.
سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب،دار الكتب العلمية،بيروت ١٤٠٩هجري-١٩٨٩م.
٤١- السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن السيوطي،ت٩١١هـ).
- تاريخ الخلفاء،دار الجيل،بيروت،ط٢.(د،ت).
- الأتقان في علوم القرأن ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٣٧٠هـ/١٩٥١.
٤٢- الطبري(أبو جعفر محمد بن جرير ،ت ٣١٠هجري)،
تاريخ الأمم والملوك(ج١)، دار صادر، بيروت،(د،ت).
٤٣-الطوسي(محمد بن الحسين، ت ٤٦٠ هـ)،
تهذيب الأحكام(ج٦)،تعليق حسن الموسوي،مطبعة خورشيد،طهران ط٤، ت ١٣٦٥ هجري.
٤٤- الفيروز آبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب ،ت٨١٧هـ)،
المغانم المطابة في معالم طابة ،ج٣/١٠٩٦، ط١/١٤٢٣هـ.
٤٥- القلقشندي(أحمد بن علي ، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)،
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩١٣م.
٤٦-الغزالي(أبي حامد محمد الغزالي،ت ٥٠٥هـ)،
إحياء علوم الدين (ج٢)،دار الوعي،حلب،ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.
٤٧- المجلسي(محمد باقر المجلسي،ت١١١١هـ)،
- بحار الأنوار ،ج ٧٩
٤٨-المسعودي(علي ابن الحسين،ت ٣٤٥ هـ/٩٥٦م)،
- التنبيه والإشراف،تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي،دار الصاوي،القاهرة (د،ت).
- مروج الذهب ومعادن الجواهر (ج٣) دار بيروت.
٤٩- المقدسي(محمد بن أحمد المقدسي،ت٩٩٠ه)،
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،تقديم شاكر لعيبي ،دار السويدي ،الأمارات العربية المتحدة،ط٣،٢٠٠٣م.

٥٠- الهمداني(أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ،ت ٣٣٤هـ)،
- صفة جزيرة العرب،تحقيق محمد بن علي الأكوع الحوالي،دار اليمامة،الرياض،(د،ط) .
٥١- اليعقوبي(أحمد بن يعقوب بن واضح ، ت ٢٧٤ هـ/٨٩٧م)،
- تاريخ اليعقوبي،(ج١-ج٢) ،دار صادر،بيروت ،ت ١٩٦٠م.
٥٢- عبد الله بن المعتز،ت١٩٣هـ ،
طبقات الشعراء،تحقيق صلاح الدين الهواري،دار ومكتبة الهلال، ت ٢٠٠٢.
٥٣- محمد بن سلام الجمحي(ت٢٣١هـ):
- طبقات فحول الشعراء ،شرح محمود شاكر ،دار المعارف،بيروت،(د،ط).
٥٤- ياقوت الحموي:(شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ، ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)،
- معجم البلدان (ج٣-ج٤) ،دار صادر، بيروت ، ت ١٩٧٩م.
- معجم الأدباء وطبقات الأدباء(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)،تصحيح د.س مرجليوث، مطبعة هندية ،مصر ،ط١ ،١٩٢٧م.
٥٥- يحيى بن الحسين بن القاسم(ت ١١٠٠هـ):
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور،محمد مصطفى زيادة ،(ج١)، دار الكاتب العربي، القاهرة ، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م،(د،ط).

مراجع عربية

١) **إبراهيم بيضون**
- الحجاز والدولة الإسلامية، دار النهضة العربية،بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٢) **أحمد إبراهيم الشريف**
- دور الحجاز في الحياة السياسية العامة،دار الفكر العربي،القاهرة،ط١، ١٩٦٨م.

٣)**أحمد الزيلعي**
- مكة وعلاقاتها الخارجية،عمادة شؤون المكتبات،جامعة الرياض،١٩٨١م.

٤) **أحمد السباعي**
- تاريخ مكة،(ج١)، (د،د)،١٩٩٩م.

٥) **أحمد أمين**
- فجر الإسلام،(ج١)،دار نوبليس،القاهرة،ط١ ،٢٠٠٦م.
-ضحى الإسلام،(ج١،ج٢)،دار الكتاب العربي،القاهرة،ط٢ ،١٣٥٧هـ/١٩٣٨م

٦) **أحمد بدر**
-الحضارة العربية الإسلامية،جامعة دمشق،،١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٧) **أحمد شلبي**
- دراسات في الحضارة الإسلامية ،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط٢ ١٩٦٧م.

٨) **أسعد داغر**
- حضارة العرب،دار المقتطف،مصر،ط٢ ،١٣٣٧هـ/١٩١٩م.

٩)**جميل نخلة المدور**
- حضارة الإسلام في دار السلام،المطبعة الأميرية ببولاق،القاهرة ،١٩٣٦،

١٠) **توفيق برو**
- تاريخ العرب القديم،دار الفكر،دمشق،ط١ ،١٩٨٤م.

١١) **جرجي زيدان**
- تاريخ التمدن الإسلامي(ج٣،ج٤)،تعليق حسين مؤنس،دار الهلال،ط٥ ١٩٤٧م.

١٢) **جواد علي**
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام(ج١،ج٧)،دار العلم للملايين، بيروت، ط٢ ،١٩٦٧م.

١٣) **حسن إبراهيم حسن**
- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي(ج٢)،مكتبة النهضة القاهرة،ط٧ ١٩٦٤م.

١٤) **حسين نصار**
- نشأة التدوين التاريخي عند العرب،مكتبة النهضة،مطبعة السعادة،مصر،(د،ت).

١٥)**حنا الفاخوري**
- تاريخ الأدب العربي،(د،د)،(د،ت).

١٦) خالد عزام
- موسوعة التاريخ الإسلامي في العصر العباسي،دار أسامة عمان،ط٢٠٠٣،١م.
١٧)داوود العطار
- موجز علوم القران،دار الاعلمي،بيروت،ط١٤١٥،٣هـ/١٩٩٥م.
١٨) سعدي أبو حبيب
- أحمد بن حنبل،دار ابن كثير،دمشق،بيروت،ط١٤١٨،١هـ/١٩٩٨م.
١٩) سهيل زكار
- التاريخ عند العرب،دار الفكر،بيروت،(د،ت).
٢٠) سهيل زكار وشكران خربوطلي
- تاريخ الوطن العربي القديم،جامعة دمشق، دمشق،٢٠٠٣م.
٢١) سحاب فكتور
- إيلاف قريش (رحلة الشتاء والصيف)،كومبير نشر،بيروت،ط١ ،١٩٩٢م.
٢٢) شاكر مصطفى
- المدن في الإسلام(ج٢)،دار طلاس، دمشق ،ط٢ ،(د ،ت).
٢٣) شكري فيصل
المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجري،دار المثنى،بغداد،١٣٧١هـ/١٩٥٢م.
٢٤) شوقي ضيف
-العصر الجاهلي، دار المعارف،مصر، (د،ت).
- العصر الإسلامي،دار المعارف،مصر،ط ٧ ،(د،ت).
-العصر العباسي الأول،مديرية الكتب الجامعية،حلب،٢٠٠١م.
الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية،دار المعارف ،مصر،ط ٣.
٢٥) طه حسين
- من تاريخ الأدب العربي(ج٢)، دار العلم،بيروت،ط١٩٦٧،٢م.
٢٦) عادل زيتون
-العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ،دار دمشق، دمشق، ط ١ ، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٢٧) عارف عبد الغني
- تاريخ أمراء مكة،دار البشائر،دمشق،ط١٤١٣،١هـ/١٩٩٢م.
٢٨)عبد الحميد الجندي
- الإمام جعفر الصادق،تحقيق محمد توفيق عويضة، دار الأهرام، القاهرة،١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
٢٩)عبد الحميد السحار
- محمد رسول الله والذين معه(ج١١)، دار مصر،القاهرة،(د،ت).
٣٠) عبد السلام الترمانيني
- أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين(ج١)،مجلد أول،دار طلاس، دمشق،ط١٤٠٨،٢هـ/١٩٨٨م.

٣١) **عبد العزيز الدوري**
-التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في المدينة في القرن الأول الهجري،دار الطليعة، بيروت، ط ١، ١٩٦٩ م.
- مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي،دار الطليعة،بيروت،ط١ ، ١٩٦٩م.
٣٢) **عبد الغني الدقر**
- الإمام مالك بن انس،دار القلم،دمشق،ط٢ ،١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
٣٣)**عماد الدين خليل**
- دراسة في السيرة،دار النفائس،بيروت،ط٢ ،١٤١٢هـ/١٩٩١م.
٣٤)**عمر أبو النصر**
- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية،مكتبة هاشم،بيروت،(د،ت).
٣٥) **عمر رضا كحالة**
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة(ج١)،دار العلم للملايين، بيروت،١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
- جغرافية شبه جزيرة العرب، تعليق أحمد علي، مكتبة النهضة الحديثة،مكة، ط٢ ،١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.
٣٦) **عمر فروخ**
- تاريخ الأدب العربي(ج٢)،دار العلم للملايين،بيروت،ط٢ ،١٩٧٥م.
٣٧) **فاضل الأنصاري**
- الجغرافية الاجتماعية،جامعة دمشق، دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
٣٨) **قصي الحسين**
- موسوعة الحضارة العربية، دار البحار، بيروت،ط١ ، ٢٠٠٥م.
٣٩) **محمد أبو الفضل وعلي محمد البجاوي**
- أيام العرب في الإسلام ، دار أحياء التراث العربي، بيروت،ط٣ ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.
٤٠) **محمد أبو زهرة**
- مالك،مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
٤١) **محمد أسعد طلس**
- تاريخ العرب(ج٥،مجلد ثاني)، دار الأندلس، بيروت، ط٢ ،١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.
٤٢) **محمد هادي اليوسفي**
- موسوعة التاريخ الإسلامي(ج٢)، دار الهادي، قم، ط ١ ،١٤١٧ هـ.
٤٣) **محمد الخضري بيك**
- الدولة العباسية،تحقيق محمد العثماني، دار القلم، دمشق، ط١ ، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
٤٤) **محمود المقداد**
- الموالي ونظام الولاء، دار الفكر، دمشق، ط١ ، ١٩٨٨م.

٤٥) **محمود شكري الالوسي**
- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب(ج١) ، شرح محمد بهجت الأثري، منشورات أمين دمج ، بيروت، دار الشرق العربي، بيروت ، ط١ ،١٣١٤هـ .
٤٦) **هاشم الحسيني**
- سيرة المصطفى، دار التعارف،بيروت،١٤١٦هـ/١٩٩٦م.
٤٧)**وهبي سليمان غاوجي**
- أبو حنيفة النعمان، دار القلم، دمشق،ط٥ ، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

مراجع مترجمة

١)**ألبرت حوراني**
- تاريخ الشعوب العربية، ترجمة أسعد صقر، دار طلاس، دمشق، ط١ ، ١٩٩٧م.
٢) **اندريه ميكيل**
- جغرافية دار الإسلام البشرية(ج١، قسم ثاني) ، ترجمة إبراهيم خوري، وزارة الثقافة، دمشق،١٩٨٣م.
٣) **ج هرنشو**
- علم التاريخ، ترجمة عبد الحميد العبادي، دار الحداثة، بيروت، ط٢ ، ١٩٨٢م.
٤) **جيرالد دي غوري**
- حكام مكة، ترجمة محمد شهاب، مراجعة محمد علي سويد، مكتبة مدبولي، ط١ ، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٥)**روم لاند**
- الإسلام والعرب، ترجمة منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١ ، ١٩٦٢م.
٦) **كارل بروكلمان**
- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢ ، ١٩٩٣م.
٧) **كلود كاهن**
- تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم، دار الحقيقة ، بيروت، ط٢ ، ١٩٧٧م.
٨) **لويس اميلي سيدو**
- تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، ط٢ ،١٩٦٩م.
٩)**فيليب حتي**
- العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ،١٩٦٨م.

٥) فيصل محمد شقير
- التاريخ عند الغرب وعند العرب المسلمين، مجلة الفيصل ، دار الفيصل،الرياض، العد ٣٤ ،١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
٦) هيلاري كيلبا تريك
- الشاعر العربي في القرون الوسطى وحدود حرية التعبير ، مجلة المعرفة، العدد ٢٠٥-٢٠٦، ١٩٧٩م.

أطروحات جامعية

١)هدى احمد العبسي:
- الإدارة العباسية لإقليمي الشام والحجاز منذ تأسيس الدولة العباسية حتى المتوكل،رسالة دكتوراه ،إشراف سهيل زكار،مكتبة الأسد، دمشق ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٢)رياض زركلي:
- دور الحجاز في الحياة السياسية في العصر العباسي، رسالة ماجستير، إشراف سهيل زكار، مكتبة الأسد،ط٤٠٩، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
٣) شكران خربوطلي:
- الحياة الاجتماعية في الحجاز قبيل ظهور الإسلام، رسالة ماجستير ، إشراف سهيل زكار ، مكتبة الدراسات الطلابية، دمشق،١٤١٠هـ/١٩٩٠م

الملاحق

ملحق رقم ([illegible])

طرق القوافل في إقليم الحجاز

طرق القوافل
في أقليم الحجاز

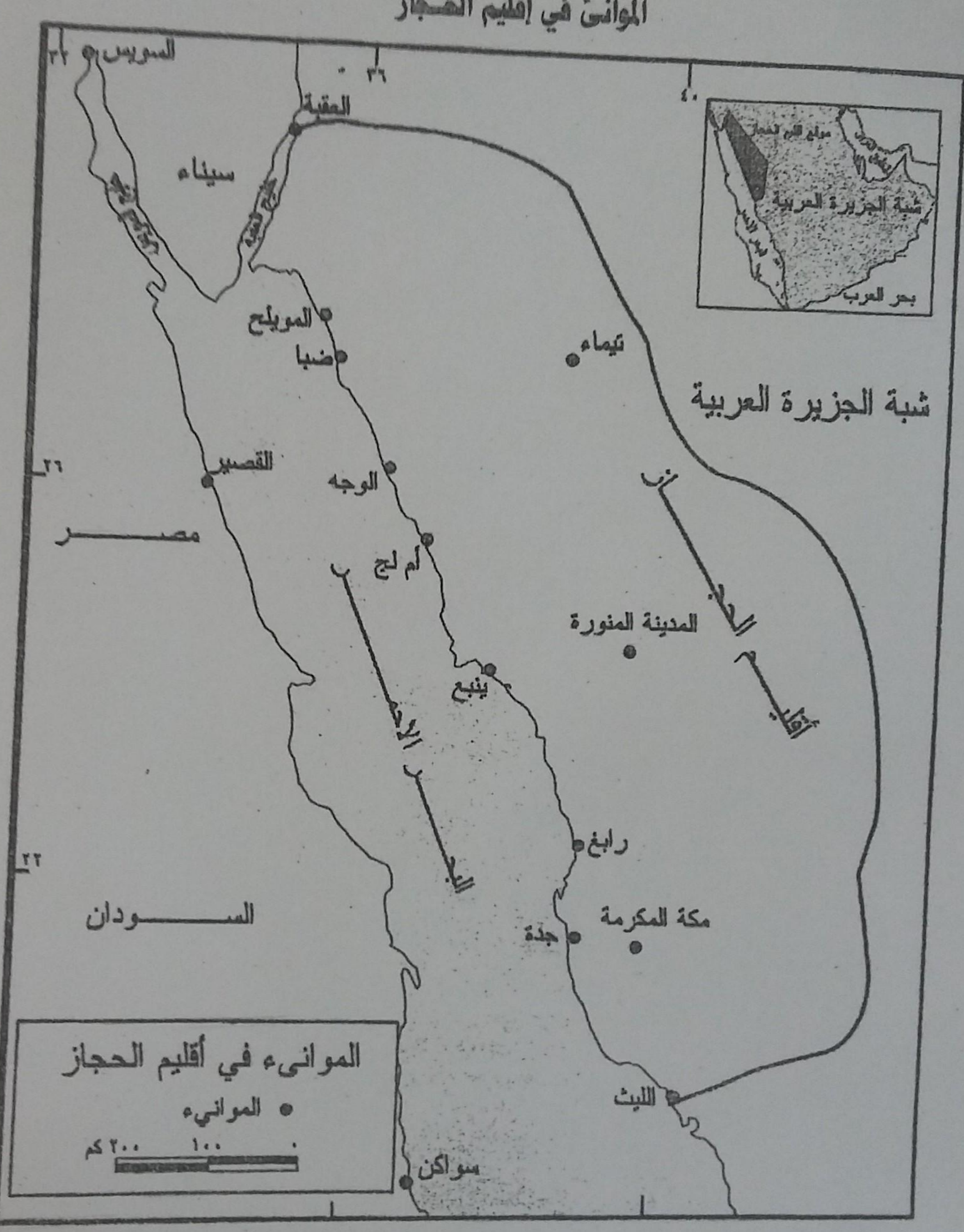
شبة الجزيرة العربية

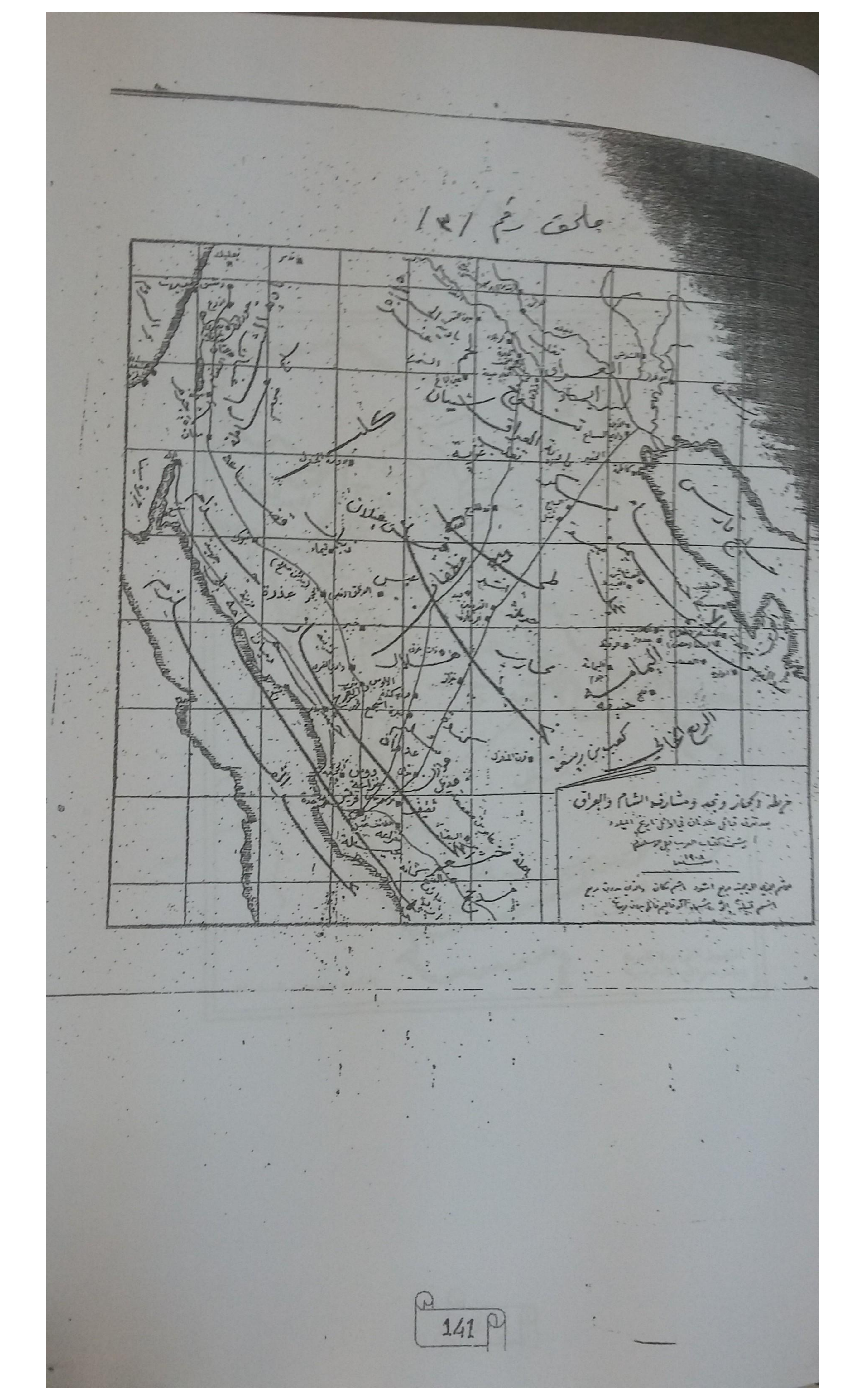
٢٠٠ كم



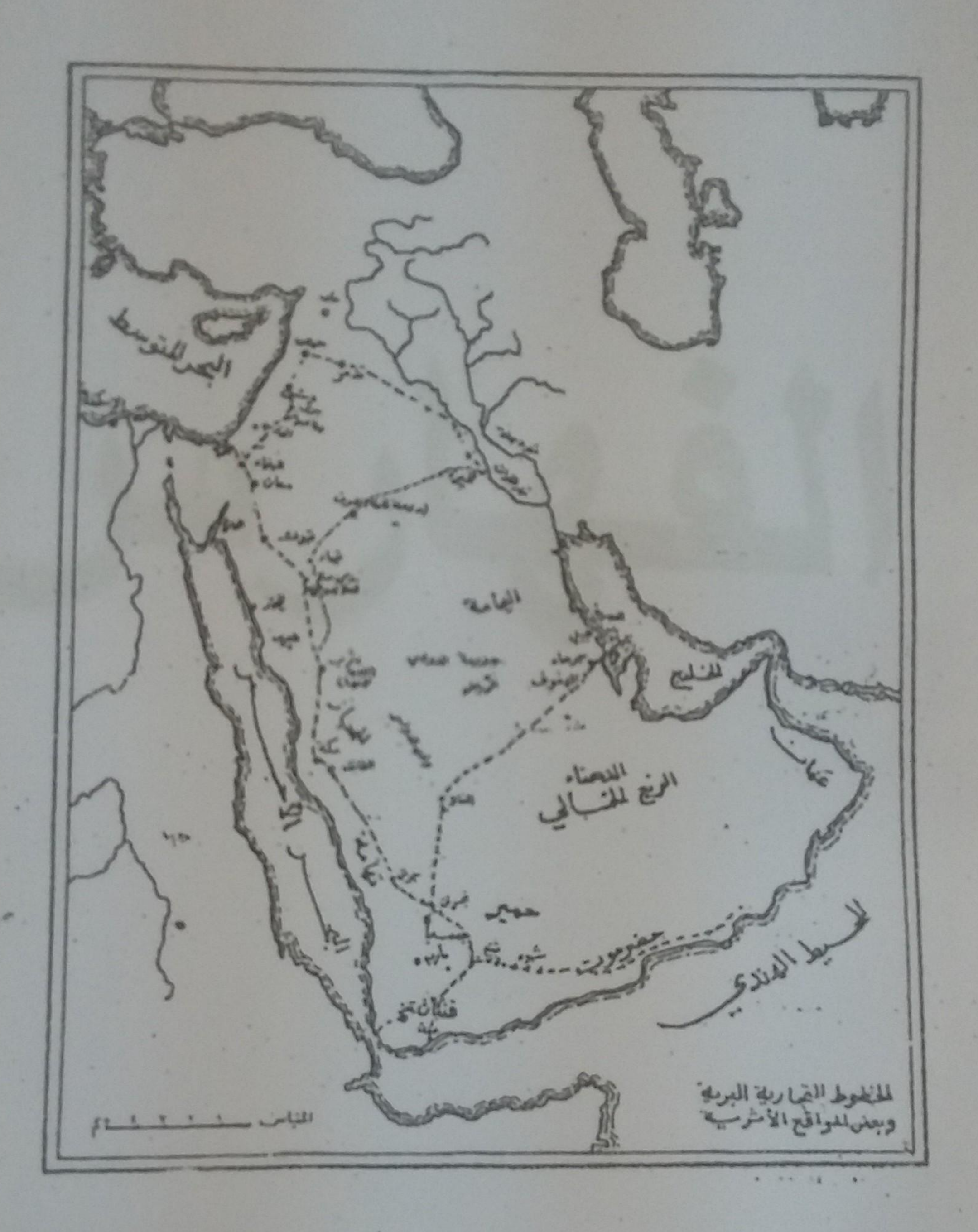
ملحق رقم (٢)

الموانئ في إقليم الحجاز




ملحق رقم /٣/
خريطة الحجاز ونجد ومشارف الشام والعراق
كلب
غطفان
عبس
عذرة
هلال
ثقيف
هذيل
اليمامة
كعب بن ربيعة
الربع الخالي
العراق
141

ملحق رقم /٤/


البحر المتوسط
اليمامة
الخليج
عمان
الاحساء
الربع الخالي
حمير
حضرموت
المحيط الهندي
المقياس
الخطوط التجارية البرية
وبعض المواقع الأثرية

الفهارس

فهرس الأعلام

قبائل

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأماكن والبلدان

الفهرس